التعريب

مَجلة نصف سنويّة مُحكَمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

اللغة العربيّة هُويّتُنا القوميّة

المنظمة العربيّة للتربيَة وَالثقافة وَالعلوم

20

السنة العاشرة
العدد العشرون

رمضان 1421 - كانون الأول (ديسمبر) 2000 م

التعريب

التعريب

مجلة نصف سنوية

العدد العشرون

رمضان 1421 . كانون الأول (ديسمبر) 2000

المدير المسؤول
الأستاذ الدكتور غسان حلبوني

رئيس هيئة التحرير
الأستاذ الدكتور محمود السيد

مجالات اهتمام المجلة

تتركز اهتمامات المجلة على الإسهام في تحقيق أهداف المركز في مجال تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره، ومتابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة في العالم للتعريف به وتعريب الجيد الملائم منه، وكذلك ترجمة روائع الفكر العربي في العلوم والآداب والفنون إلى اللغات الأجنبية العالمية.

وفي هذه الأطر تفتح المجلة صفحاتها للدراسات والبحوث الجادة والأصيلة فكراً وموضوعاً في أحد المجالات التالية:

* تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.
* بحوث ودراسات معربة أو مترجمة.
* التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره.
* من أعلام الحضارة العربية والإسلامية.
* عروض للجديد من الكتب والرسائل الجامعية.
* الإعلام عن الأنشطة العربية والدولية في مجال أهداف المركز.

إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تمثل بالضرورة رأي المنظمة أو المركز

يسمح باستعمال ما ورد في هذه المجلة من مواد بشرط الإشارة إلى مصدرها

التعريب: مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

دمشق . ص.ب: 3752 . هاتف 3334876 البريد الالكتروني: acatap@net.sy،

صفحة الانترنيت: www.acatap.htmlplanet.com

السنة الأولى: 1991 . دمشق ع/15/12/2000

في هذا العـدد

الصفحة

*** بحوث ودراسات في التعريب والترجمة**

- من جهود المجمع العلمي العراقي في التعريب 11
  أ. د. اقصد ياسر الزيدي
- مظاهر التعريب في العصر الأموي 27
  أ. د. علي أحمد
- في المصطلح العربي (قراءة في شروطه وتوحيده) 41
  أ. د. علي توفيق الحمد
- التفاعل بين الإنسان والآلة في الترجمة الحاسوبية 65
  أ. د. سلمان داود الواسطي

*** بحوث معربة أو مترجمة**

- الترجمة وطرق تدريس الأدب 83
  أ. د. أحمد رامز قطرية
- الترجمة المتخصصة فرنسي ـ عربي (عمل المترجم) 109
  د. محمد أحمد طجو

* **بحوث ودراسات في التعليم العالي**

- عصرنة التراث 123

أ. د. محمود أحمد السيد

- مناهج التأريخ قبل الإسلام وبعده 137

أ. د. عبد اللطيف البرغوثي

* **من أنشطة المركز خلال النصف الثاني من عام 2000** 163

* **قواعد النشر في المجلة** 181

* **إصدارات المركز من الكتب المعربة**

افتتاحية

بقلم الأستاذ الدكتور غسان حلبوني
مدير المركز

نتقدم إلى قرائنا الأعزاء داخل الوطن العربي وخارجه بالعدد العشرين من مجلتهم "**التعريب**" وهي تنهي عامها العاشر.

عشر سنوات و"**التعريب**" تناضل دفاعاً عن لغة الضاد وأصالتها وحيويتها من خلال الكلمة البينة والرأي السديد، وقد آلت على نفسها أن تكون المنبر الصادق للغيورين على العربية والمدافعين عن عزتها وكرامتها.

وإذا كنا نلحظ بين الآونة والأخرى انطلاق بعض الأصوات التي تدعو إلى المضي في التدريس باللغات الأجنبية في كليات الطب والهندسة، وحتى في بعض كليات العلوم الأساسية، بدلاً عن اللغة الأم العربية، حتى إن بعضهم قد دعا إلى العدول عن التدريس بالعربية في بعض الكليات واعتماد الانكليزية محلها، فإننا نظل واثقين كل الثقة بأن العربية ستعود لتتبوأ مكانتها الجديرة بها ما دام هناك أناس يتمسكون بهويتهم اللغوية ويذودون عن لغتهم رمز كيانهم وعنوان شخصيتهم.

وفي هذا الإطار عقد المركز ندوته الثالثة: "ندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي" تحت رعاية السيد الدكتور محمد مصطفى ميرو رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية العربية السورية وبالتعاون مع اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم وبمشاركة وزارة التعليم العالي والجمعية العلمية السورية للمعلوماتية، وذلك في دمشق في المدة

ما بين 9 – 11 تشرين الأول/ أكتوبر 2000. وقد شارك في أعمال هذه الندوة خمسة عشر باحثاً من أساتذة الجامعات من 12 دولة عربية، تقدموا للندوة بأربعة عشر بحثاً غطت وبشكل وافٍ جميع محاور الندوة.

ولقد شدد الباحثون المشاركون من خلال مناقشاتهم ومداخلاتهم على أمور جوهرية تتصل بكيان الأمة العربية حاضراً ومستقبلاً، وبالحفاظ على ذاتيها الثقافية وصيانة أمنها الثقافي الذي يتعرض لمحاولات الغزو والاختراق.

ومن هذه الأمور أن استخدام اللغة العربية على وجه الشمول في مجمل أنشطة أبناء الأمة الفكرية والاجتماعية والعلمية عنصر أساسي في عملية التنمية الشاملة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي نسعى على الدوام لتحقيقها. ومن هنا تبرز أهمية التعريب ولا سيما تعريب التعليم العالي، في الجامعات والمعاهد في جميع الدول العربية، وضرورة إنجازه واستكماله في أقرب وقت ممكن.

هذا ولقد رأيت من المفيد أن يضم هذا العدد من "التعريب" التقرير الختامي والتوصيات التي توصلت إليها هذه الندوة، سائلاً المولى تعالى أن يعيننا على تطبيق أكبر قدر منها ووضعها موضع التنفيذ، والله ولي التوفيق.

بحوث ودراسات

في التعريب

من جهود المجمع العلمي العراقي في التعريب

القسم الثاني: ما يتعلق بخصوص التعريب

أ.د. ماگصد ياسر الزيدي
قسم اللغة العربية – كلية التربية للبنات
جامعة بغداد

يراد بالتعريب في مفهومه العام الشامل في العصر الحديث: إيراد لفظ عربي دال على لفظ أعجمي (أجنبي)، وهو الذي يطلق عليه اسم (الدخيل)، وهذه هي (الترجمة). أو إحداث تغيير في اللفظ الأجنبي المراد نقله إلى العربية، من ناحية الصوت أو البنية أو كليهما[1]، وهذا هو (التعريب) بمفهومه الخاص. فالمعرّب لفظ طوّعته العرب بأَلسنتها، فغيرّت فيه بالحذف والزيادة والإبدال في الأصوات، بما يوافق قوانينها في التعبير والاستعمال[1]. وهو الذي يسميه بعض المعاصرين بـ (الآقتراض). وهي تسمية قد لا تفي بمتطلبات التعريب؛ لأن اللفظ المقترض، قد ينقل من لغته كما هو، فلا يكون عندئذ معرّباً. فالاقتراض إذن أعمّ من التعريب وأشمل.

وقد عاملت العرب المعرّب معاملة العربي، فاشتقوا من اشتقاقهم من العربي، ولذلك أجاز الخليل بن أحمد الفراهيدي[2] أن يُشتق من كلمة (باشِق)، وهو الصقر الصغير، الفعل (بَشَقَ)، فقال: "ولو أُشتقُ من فعل الباشق: بَشَقَ لجاز، وهي فارسية عرّبت للأجدل الصغير".

---

[1] ينظر كتابنا: فقه اللغة العربية ص 313.

[2] العين 46/4 (بشق).

ومما اشتقه العرب من الاسم المعرّب قولهم في الاشتقاق من (الدِرْهَم): "دَرْهَمَتِ الخُبّازى" أي استدارت في شكلها حتى صارت كالدرهم، وقولهم كذلك "رَجلٌ مُدَرْهَمٌ"، أي: كثير الدراهَم[3]، فاشتقوا منه فعلاً، ووصفاً هو اسم المفعول: مُدَرْهَم. وأصل هذا اللفظ (دراخما). ثم عُرّب مصوغاً بزنة عربية، وقد عده سيبويه مما ألحقته العرب ببناء كلامها، وأنها ألحقته ببناء (هِجْرَع)[4] وبالمثل اشتق العرب من (اللجام)، وهو اسم معرَّب[5] فعلاً، فقالوا: ألجم فلانُ الفَرَس، واشتقوا منه كذلك وصفاً، فقالوا: الفَرَس مُلجَم، ثم تصرفوا فيه دلالياً، فاستعملوه استعمالاً مجازياً، فقالوا: ألجمَ فلانٌ فلاناً، إذا منعه من الكلام، وقطعه عنه. وهكذا تلَعَبّت العرب باللفظ الأعجمي ليكون معرّباً، تلعُّبها بالعربي من حيث التصريف فيه صيغة ودلالة، ذلك أنهم لما ألحقوه بالعربي، جعلوا له حكمه فعاملوه معاملته. وقد صار هذا المفهوم سائداً بعد ظهور الإسلام أيضاً. وآية ذلك وصف القرآن بأنه عربي في عدة مواضع. منها قوله تعالى: (إنا أنزلناه قُرآناً عربياً لعلكم تعقلون)[6]، مع أنّ فيه ما هو معرّب بلا شك.

أما اللغويون العرب القدامى، فقد فرّقوا بين (العربي) و(المعرَّب) و(الدخيل)، فالعربي معروف، والمعرَّب ما أوضحناه سالفاً، ويختلف عنهما الدخيل من حيث إنه لم يكن أصيلاً كالعربي، ولا مغيَّراً في الصوت أو البنية أو كليهما كالمعرَّب، بل ينقل إلى العربية بصورته التي كان عليها في لغته. وما يزال الدخيل لا يبرأ من غربة في الصوت، وغربة في الزنة، وهذا كثير في ما هو ناتج عن علم وصناعة من الألفاظ التي دخلت العربية، في عصر النهضة وما بعده. وهذا جلي في مثل كلمة (نويزفلتر)؛ إذ ينطقها كثير من الناس عاقلاب الأعجمية، لا الفاء العربية. وهي مع ذلك تنطق بزنتها (فَعَلْيون)، وهي زنة غريبة على العربية ولذلك يصدق

---

(3) الخصائص 358/1.

(4) الكتاب 303/4، وكتاب في التعريب، لابن كمال باشازاده ص 27.

(5) ابن منظور: لسان العرب 60/16 (لجم).

(6) سورة يوسف: 2.

على هذه اللفظة اسم (الدخيل). ومن هنا عمد كثير من الأدباء والكتاب إلى تعريبها، وشاع هذا التعريب، فقالوا: (تِلفاز)، متمثلاً بجانبيه: الصوتي والبنيوي، إذ أبدلوا ءاثلابفاء، وجعلوا له زنة اسم الآلة (مِفعال). وهو التعريب الذي آرتآه المجمع أيضاً(*).

على أن أوزان الدخيل إذ تخالف في كثير من الأحيان أوزان العربية، فإنها إما أن تكون مفردة كما تقدم بيانه في (نويزثلتـ). وإما مركبة من لفظين يصبحان بعد التعريب عند العرب لفظاً واحداً، يخفى على سامعه أصله، فلا يعرفه إلا بعد البحث. فمن ذلك (سَهْ مَرّه) الفارسية، التي تعني: ثلاث مرات. وأريد بها استخراج الخراج ثلاث مرات. فلما عرّبت صارت (سَمَرَّج)[7] بزنة (فَعَلَّل) العربية المعروفة، مثل (فَرَزْدق)[8]، وقد وردت في أرجوزه للعجاج يقول فيها:

يومّ خراجٍ يُخرِجُ السَمَرَّجا[9]

فيلحظ أن التعريب حذف صوت (الهاء) من (سَهْ)، وأبدله في (مَرّهْ) جيماَ، مثلما أبدله في (اسْتَبْرَه) قافاً، فقيل: (اسْتَبْرَق) إظهاراً لوجه التعريب فيها، وتغييراً لصورتها الأعجمية، لئلا تكون دخيلة عند استعمالها. وهي كلمة قرآنية، آستعملها القرآن بالقاف، في مواضعها الأربعة[10] التي وردت فيه.

ولقد عُرف اصطلاح (معرَّب) و(تعريب) في كتابات اللغويين العرب القدامى، كأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ)، وابن قتيبة (ت 276 هـ). غير أن من المتأخرين من خلط بين المعرّب والدخيل، على نحو ما نجد في كتاب شهاب الدين الخفاجي (ت 1069 هـ)، الذي سّماه: (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل)، إذ سمّى طائفة من الألفاظ المعربة دخيلة. وبمثل

(*) تنظر نشرة المجمع العلمي العراقي الصادرة سنة1987 ص 313 (التاء).

(7) أدب الكاتب، لابن قتيبه 286، وينظر كتابنا: فقه اللغة العربية ص 316 عند الكلام على التعريب (الاقتراض).

(8) الممتع في التصريف، لابن عصفور 70/1 (باب الخماسي المجرد).

(9) أدب الكاتب 286.

(10) وهي الآية 31 من الكهف، و 53 من الدخان، و 54 من الرحمن، و 21 من الإنسان.

ذلك سمّى بعض من ألف في فقه اللغة من المعاصرين، مثل الدكتور علي عبد الواحد وافي[11]، والدكتور محمد خضر[12]، وهي تسمية ليست بسديدة؛ لأنها لا تفرّق بين لونين مختلفين من الألفاظ ذات الأصول غير العربية، وهما المعرّب والدخيل.

ومن المعاصرين من جعل الزمن فارقاً بين المعرّب والدخيل، فالدخيل، عنده ما أخذته العربية من لغة أخرى في مرحلة متأخرة من حياتها عن عصر العرب الخُلّص، الذين يُحتج بلسانهم، سواء أكانت اللفظة أخذت كما هي، أم بتغيير يسير فيها. على حين جعل هؤلاء المعرّب: ما استعاره العرب الخلّص في عصر الاحتجاج باللغة واستعملوه في لسانهم [13].

والحق هو أن هذا التفريق المبني على أساس العصر لا وجه له، لأن مدار الفرق بين النوعين: المعرّب والدخَيل، يقوم على صورة اللفظ إن كان قد لحقه تغيير بما يلائم أساليب العربية، أم بقي على حاله من غير تغيير، وليس مدار ذلك على عنصر الزمن، تقدّم أو تأخر. وهذا التفسير الذي ذكرناه يعضده دلالة المعرّب والدخيل في اللغة أيضاً.

أساليب المجمع العراقي في التعريب

عند التأمل في الألفاظ المعرّبة التي تضمنتها نشرة المجمع العلمي العراقي، يتبين الآتي:

(1) إنّ المجمع جرى في عمله هذا على ما يوجبه (التعريب)، من وجوب صياغة اللفظة المعرّبة صياغة عربية من جانبيها: الصوتي والبنيوي. فحين نقل مثلاً لفظة (شكولاته)، الحلوى المعروفة الشائعة في عدة أقطار عربية بهذه الصورة من اللفظ، جعلها عند تعريبها (شُكْلَة)[14]، مختاراً لها صيغة (فُعْلَة) العربية الشهيرة، قياساً على نظائرها في الزنة مما

---

[11] فقه اللغة 185.

[12] فقه اللغة 193.

[13] ينظر في هذا كتابنا: فقه اللغة العربية ص 314.

[14] نشرة المجمع العراقي ص 314، حرف (الجيم).

يؤكل، مثل (قُرْصة) و(لُقْمة) و(خُبزة) و(بُلْعه)، مع صفة القلة والصغر عموماً. وهو ما اتسمت به هذه الحلوى، وهذه النظائر. فعمد المجمع بهذا الصنيع إلى تعريبها بدلاً من ترجمتها أو إبقائها على صورتها في لغتها.

ويلحظ أيضاً أن المجمع تحاشى تعريبها إلى (جُكْلِيْته) العامية الشائعة لدى عامة الناس في العراق؛ لما فيها من عجمة واضحة متمثلة بهذا الصوت المزدوج: (چ) ch. ويبدو أن لشيوع اللفظة دخلاً في هذا الاختيار، فكأن المجمع لم يشأ أن يترجمها مثلاً، فيأتي بلفظ لا يهتدي به السامع إلى هذه المادة الغذائية التي هي ضرب من الحلوى، بل جاء بما هو قريب جداً من لفظها الأصل، عن طريق التعريب. فُوفّق المجمع في ذلك . في رأينا . إلى الأيسر الأفضل.

(2) وقد يختار المجمع عند التعريب اللفظ المشهور الشائع لدى عامة الناس، ما دام في أصواته وزنته موافقاً للعربية. على نحو ما نجد في لفظة: "Biscuitus" إذ بيّن أنها من أصل لاتيني[15]، وجعلها في التعريب: (بِسْكِت)، وهو اللفظ العراقي المشهور المتداول.

ولسنا نرى في هاذ الاختيار ضيراً لسببين: أحدهما أنه قريب إلى الأفهام، نظراً لتداوله وشهرته. والآخر: أنه قيس على نظائر له في العربية بزنة (فِعْلِل)، والاسم الرباعي المجرد. إذ صاغت العرب على زنته (زِبْرِج)[*] و(عِنْفِص) و(زِهْلِق)[16]، أسماء وأوصافاً.

(3) وقد يكون التعريب بإسقاط صوت صامت، كالنون مثلاً في (سينما) Cinema فقد ذكر إزاءها هذه العبارة (بحذف النون)[16]. وهو تعريب أصاب توفيقاً كثيراً؛ إذ وافق العربية في أنّ

---

[15] نشرة المجمع ص 311 حرف (الباء).

[*] الزِبْرِج: الزينة، والعنفص: المرأة غير الجسيمة. والزهلق: السريع الخفيف.

[16] نشرة المجمع ص 319 حرف (السين).

(السيماء) العلامة[17]، فإذا خففت الهمزة بإسقاطها صارت (سِيْما)، ونَسَب المجمع إليها، فقال في ترجمة (السيناريو) "Senario" "نَصٌّ سِيْميّ"[18].

وقد يكون التعريب بإسقاط عدة أصوات من الأصل الأجنبي، ليصاغ على وزن عربي، كما في (إيشارپ) echarpe[19] ؛ إذ عرّبها المجمع (شَرْب)، وذكر إلى جانبها (ج: شُرُوْب)، دالاً بذلك على جمعها على (فُعُول)، إذ كان مفردها على (فَعْل)، فقيس الجمع على نظائره في العربية، مثل (بَيْتِ وبُيُوت) و(قَصْر وقُصُور)[20]. واللفظة معروفة بصورتها الأجنبية (إيْشارْپ) في استعمال عدد من الأقطار العربية وهي معروفة في بعض مدن العراق، ومنها الموصل. ويلحظ أيضاً أن المجمع أبدل (ڤلاء) الأعجمية (باء) عربية، فتم بذلك عمدتا التعريب: الزنة والصوت.

(4) وقد يكون التعريب بإسقاط أكثر من صوت، وإلحاق صوت في آخر الاسم عند تعريبه فمن هذا الوادي (هامْبُرْرگُ)، إذ كتب المجمع بجانبها (غذائية)؛ تبييناً لما هيتها في الحياة اليومية. فلما عرّبها جعلها (هَمْبُرْ ـةيگ)[21]، فإسقط منها صوتين هما الألف والراء، وألحق بها صوتين هما الياء المشدّدة التي تبدو هنا كأنه "ياء النسبة" حين تلحق الأسماء المنسوبة، والتاء بعد هذه الياء.

---

[17] مفردات ألفاظ القرآن للراغب 319 (السين)، والقاموس المحيط 133/4 (سوم).

[18] نشرة المجمع ص 318 حرف (السين).

[20] ومثله: صَقر وصُقور وفَهد وفُهود، ينظر: الممتع في التصريف 61/1.

[19] نشرة المجمع ص 311 حرف (الهمزة).

[20] ومثله: صَقر وصُقور وفَهد وفُهود، ينظر: الممتع في التصريف 61/1.

[21] نشرة المجمع ص 328 (الهاء).

و(الهامْبُررگ) لحم خالص بقطعة عجين، وهو من الأكلات اليومية السريعة، التي يعمد إليها كثير من الناس خارج البيت. ويلحظ هنا أن المجمع لم يشأ عند التعريب أن يذهب بصورة اللفظة في أصلها اللاتيني، بل أبقى على أكثر أصواتها؛ لُتعرف عند سماعها فلا تغمّ على مسامعها.

غير أن الذي يبدو لنا هو أن لجنة الاصطلاحات ـ شكر الله جهدها ـ كان لها أن تجعلها في التعريب: (هَبْرِيّة)، فنحسب أنه لفظ سائغ له ما يعضده؛ للإيجاز أولاً، ولأنّ له وشيجة بالاستعمال العربي، إذ يُؤخذ عندئذ من (الهَبْرَة)، وهي قطعة لحم لاعظم فيها، أو قطعة مجتمعة منه[22]. وهي معروفة جداً لدى العراقيين، كثيرة الاستعمال عندهم فإذا نسبناها فجعلناها (هَبْرِيّة)، لم نبعد عن الأصل الأجنبي من جهة ولا عن اللفظ المعرّب من جهة ثانية. يضاف إلى هذين المسوّغين شهرتها في الاستعمال اليومي، وفصاحتها في العربية.

ويلحظ أن المجمع لم يعرّب مادة لها وشيجة بها، وهي (ستيك)، بل ترجمها بـ "شريحة بقرية"[23] وكأنه رأى أن ترجمة (هامبررگ) لا تخلو من تعقيد، فالتعريب لها أفضل؛ ذلك أنها ينبغي أن تتضمن عند الترجمة قطعة اللحم الخالصة، وما توضع فيه ويوضع معها عند إعدادها للأكل. على حين أن هذا الإشكال لا ينال الـ (ستيك) بحال؛ لأنها قطعة لحم بقر خالصة قبل أن تُعدّ للأكل. ولهذا لم تكتب اللجنة بجانبها (غذائية) مثلاً. فهذا ما بدا لنا من عدم تعريبها.

التعريب والصوائت

وتناول التعريب إحداث تغيير في عدد من الصوائت Vowels، سواء أكانت صوائت طويلة Long Vowels، أم صوائت قصيرة Short Vowels، فالطويلة: الألف، والواو والياء إذا سبقتا بحركة مجانسة لهما. والقصيرة: الفتحة والضمة والكسرة.

---

[22] القاموس المحيط 156/2 ـ 157 (هبر).

[23] نشرة المجمع ص 317 (السين).

فأما ما يتعلق بالصوائت الطويلة، فله عدة صور منها:

(أ) إسقاط الصائت الطويل عند التعريب، وصولاً إلى ما يلائم الوزن العربي، كما في كلمة (جَوارِيب)، إذ صارت (جَوارِب)[24] عند التعريب، فعُدل بها عن (فَواعِيْل) في اللفظ الأعجمي إلى (فَواعِل) في اللفظ المعرَّب. وهَذه اللفظة (جَوارِيب) دائرة على ألسنة العراقيين، وهي عندهم جمعٌ مفرده: (جُوْارب)، أي: أنه على زنة (فُوْعال)، وهو قليل مستعمل في العربية مثل (طُوْمار) التي تعني الصحيفة، وجمعها (طَوامِير)[25]. وعلى هذا يصح (جَواريب) قياساً على (طوامِير). فجاء في استعمال الناس إذن على هذا القياس، فلما قررت اللجنة تعريب اللفظ، غيرت فيه بإسقاط الصائت الطويل (الياء)، فصار (جوارِب)، فوافق زنة العربية، لأن (فواعِل) كثير شائع فيها، مثل: جَوائز، وحَوائط، وحَواسر[26]... هذا إلى الخفة التي لحقت اللفظ عند تعريبه بإسقاط صوت المدّ. وهي صفة ومنهج حريّ بأن يُلحظ عن التعريب؛ تيسيراً على الناطق، وتمييزاً للمعرَّب من الدخيل، وهو ما عمدت إليه لجنة الاصطلاحات في المجمع العراقي هنا.

(ب) وقد يكون التعريب بإضافة صائت طويل يقتضيه الوزن، مع إبدال صائت قصير بآخر مثله. وذلك مثل (دَمَلُوك)[27]، وهي المادة الصفراء التي تستعمل في صبغ الأثاث بعد إضافة سائل مذيب لها. فقد عربها المجمع: (دُمالُوك)[27]، ولم يترجمها؛ إذ التعريب هو المعرِّف لها؛ لاشتهارها على ألسنة الناس، فلو عدل بها إلى الترجمة لغمَّت ولم تُتَبيْن؛ إذ يشاركها في الدلالة العامة والاستعمال كثير من الأشياء التي يصبغ بها. وقد جرى التعريب بصورتين

---

[24] نشرة المجمع ص 314 (الجيم).

[25] القاموس المحيط 79/2 (طمر).

[26] الممتع في التصريف 113/1.

[27] نشرة المجمع ص 315 (الدال).

تتعلقان بالصوائت إحداهما: إحلال الضمة محل الفتحة في فاء الكلمة (الدال)، والأخرى: إضافة ألف بعد عين الكلمة (الميم)، فصارت: (دُمالُوك) بدلاً من (دَمَلُوك).

وأحسب أنه كان في إمكان اللجنة ترك اللفظة على حالها عند تعريبها، إذ إن وزن (فَعَلُول) معروف في العربية، اسماً ووصفاً. فمن الاسم: (قَرَبُوس)[28] و(قَرَقُوس)[29]، ولا سيما أنها بأصلها الذي على هذا الوزن متداولة في كلام العراقيين، وقد تركت اللجنة ألفاظاً من هذا القبيل على حالها، لشهرتها على الألسنة، وموافقتها العربية، مثل (بَكَرْه)[30] و(فيتامين)[31]، إذ كتبت اللجنة بجانب الثانية منهما: "تعريباً". ولا شك أن هذا التعريب أوجب وضع الفاء العربية في هذه الكلمة محل (ء ا ث ا ل) الأجنبية.

فهذه أمثلة مما يتعلق بالصوائت الطويلة عند التعريب، إضافة أو حذفاً.

فأما ما يتعلق بالصوائت القصيرة: فأمثلته كثيرة، منها:

(آ) إحلال السكون محل الصائت القصير، تعريباً للفظ؛ إذ وضع السكون محل الفتخة في لفظة (كَعَك) فصارت (كَعْك)[32] بزنة (فَعْلْ) بدلاً من (فعَلَ)، وهي في الدلالة جمع؛ لأن مفردها . كما هي متداولة لدى الناس (كَعْكَة) . وهي مشهورة في الأقطار العربية، وإن كانت في العراق تطلق على قطع صغار من هذا النوع. فجعلت اللجنة التغيير الصوتي بإسكان المتحرك، ضرباً من التعريب، وهو عمل صحيح، إذ كثيراً ما يحرك العوام الساكن تسهيلاً للنطق بما يسميه المعاصرون من اللغويين: (التماثل) أو (الانسجام) الصوتي: Assimilation، وسّماه

---

[28] وهو الصلب الشديد، ينظر القاموس المحيط 239/2 (قربوس).

[29] وهو القاع الصلب الأملس الغليظ، ينظر القاموس 240/2 (قرموس).

[30] نشرة المجمع ص 311 (الباء).

[31] نشرة المجمع ص 321 (الفاء).

[32] نشرة المجمع ص 322 (الكاف) وكتب بجانبها: "بتسكين ثانيه تعريباً".

ابن جني[33] تقريب الصوت من الصوت". فضلاً عما في خفة الفتحة من التخفيف من شدة (الكاف)، الذي هو صوت انفجاري Plosive. إلا إن للتعريب أصوله وقواعده، فكان إسكان العين من اللفظة أمارة على تعريبها، كما في عبارة اللجنة: "بتسكين ثانيه، تعريباً".

غير أن هناك إشكالاً في تعريب كلمة (كُرْكَمُ) الذي هو ضرب من التوابل الشهيرة الكثيرة الاستعمال في العراق. وقد ذكر له اللغويون القدامي أكثر من دلالة، فقال الفيروز آبادي[34]: "الكُرْكَم" بالضم . يقصد ضم الكافين . الزَعْفران، والعِلْك، والعُصْفُر..". وهو في معناه الحديث المتداول في العراق وبلاد عربية أخرى: ضرب من (البهار)، وهي التوابل، أصفر اللون ذو رائحة، يوضع على الأطعمة. ووزنه في الأصل اللغوي (فُعْلُلُ)، وقد عرّبتة اللجنة بهذه الزنة أيضاً، فلم تزد في نشرتها القيمة على العبارة الاتية: "كُرْكُمْ: غذائية" ثم ذكرت إزاءها: "كُرْكُم": "تعريباً"[35].

ولا يبدو أي تغيير في أصوات هذه الكلمة ولا في بنيتها. وأغلب الظن أن عبارة (تعريباً) بعد نقل الكلمة كما هي في الأصل، أريد بها إبقاؤها على أصلها من غير مجافاة لأصول التعريب وقواعده، إذ هي بزنة (فُعْلُل)، وهو وزن كثير الاستعمال في العربية، مثل: (لُؤْلُؤ)، و(طُرْطُب)[36]، فإذا أبُقيتْ على تلك الزنة التي كانت عليها في أصلها الأجنبي، كان ذلك من قبيل التعريب لها، إذ إنها زنة موافقة للعربية، كثيرة الدوران فيها.

(ج) وقد يكون التعريب المتعلق بالصوائت حذفاً لصائت طويل مع بقاء حركة القصير السابق له الموافق له على حاله. وبذلك يجري ضرب من الاختزال عند التعريب، وهو سمة من سماته

---

[33] الخصائص 141/2.

[34] القاموس المحيط 171/4 (كركم)

[35] نشرة المجمع ص 322 (الكاف).

[36] الممتع في التصريف 152/1. والطُرْطُب: الثدي، ينظر القاموس المحيط 97/1 (الطُرْطبَة).

في عدة كلمات. ويتجلى ذلك في كلمة (أُوكْسِيْد) التي عربها المجمع (أُوكْسِيْد) بإسقاط واو المدّ فيها؛ تركاً للزنة الأجنبية: (أُفْعِيْلُ)، وجلباً للزنة العربية (أَفْعُوِيل)، ولم نلحظ في نشرة المجمع ذكراً لكلمة (أُوْمْلِيْت)، اللفظة الغذائية المعروفة لدى العراقيين، إذ تصنّع من لحم وبيض وعجين. وزنتها زنة (أوكسيد) تماماً، فلو عُرّبت لصارت (أُوْمْلِيْت)، بزنة (أَفْعُوِيل) أيضاً. وعربت اللجنة كلمة (كاكاو)، بإيرادها كما هي، إذ ورد في النشرة الآتي: كاكاو cocoa ← كاكاو (تعريباً)[37]. ولما كانت أصوات هذه الكلمة في أصلها الأجنبي غير نابية عن الأصوات العربية، فلم يبق للتعريب إذن إلا الزنة، وهي (فاعال)، إذ عددنا الواو فيها صوتاً أصيلاً، وهو ما يقتضيه الظاهر والتبادر. فلو نطقت (كَكاو) عند التعريب، لكان ذلك أجدى وأدلّ على تعريبها، ولا سيما أن هذا الوزن كثير جداً في العربية، إذ يستعمل (فعَال) في الفصيح والعامي. فضلاً عن أن هذه اللفظة معروفة في استعمال العراقيين وغيرهم. وإن كان الناس يقصرونها بحذف الألف في استعمالهم اليومي، فيقولون: (كَكَو)، وهي مادة تشرب شرب القهوة والشاي، بُنيّة اللون.

وكان من المتوقع أن تعمد اللجنة عند تعريبها إمّا إلى استعمال هذه الزنة المعروفة في العربية الفصيحة: (فَعِال)، وإما الزنة الثانية، التي هي معروفة أيضاً، فزنة (كَكَو): (فَعَل)، وهي من الشهرة بمكان. وهذا يتّسق ولمنهج اللجنة في ألفاظ أخرى مثل (بَسْكَوِيْت) التي عربتها (بِسِكت)[38] مراعية بذلك موافقة زنتها العربية (فِعْلِل)؛ لشهرتها في الاستعمال اليومي حديثاً، ولكثرة دورانها على الألسنة في القطر. وقد تقدم الحديث عنها. فلو تأملنا في تعريب (بَسْكَوِيْت) بهذه الصورة، لتبيّن لنا أن الكلمة المعرّبة احتازت عدة صفات جعلتنا نطلق عليها صفة (اللفظة الميّسرة). ذلك أن عجمة الأصل وغربته اختفتا في استعمال اللفظة المتداولة التي شذّبتها أفواه

---

[37] نشرة المجمع ص 322 (الكاف).

[38] نشرة المجمع ص 313 (الباء).

الناس وسلائقهم العربية، فاكتفوا بعد إسقاط الواو الياء، العمل على إحداث "انسجام صوتي" بين الصوائت القصيرة، لتصبح الكلمة: (بِسْكِت)، بزنة (فِعْلِل) قياساً على نظائرها في هذه الزنة، لا عن عمد وتحكّم مقصود، بل عن ذوق وإحساس بخفتها وموسيقيتها، وهو فارق كبير واضح بين هذا الاستعمال، وذلك الأصل اللاتيني الذي نبّه عليه المجمع، ووصفه بهذه الصفة.

ومما عرّبه المجمع بتغيير طفيف فيه، حفاظاً على شهرة الأصل، وكثرة دورانه على الألسنة، كلمة (فيتامين)، إذ هي في الأصل بالفاء Vitamin، فأبقاها المجتمع على لفظها، مع إبدال هذه الفاء العجمية بفاء العربية وكتب إلى جنبها (تعريباً)، فصارت: (فيتامين)[39]، وهي الصورة الشائعة على الألسنة في العراق وأقطار عربية أخرى.

وواضح أن المجمع لم يعمد إلى ترجمتها، إذ لا تخلو هذه الترجمة من العنت والتكلف. فغدا تعريبها بعد هذه الشهرة الواسعة، أفضل وأيسر. وهذا ـ في ما نرى ـ من منهج المجمع في ما نطلق عليه عبارة: (تيسير التعريب). وهو جزء من مهمات المجمع بلا ريب، بل المجامع العربية كلها. وللمجمع المصري في هذا المجال مواقف، تنبئ عنها قراراته.

وقد يقول قائل: فأين التعريب واللفظ باق على صورته هنا؟ والجواب: إنّ اللفظ حدث فيه تغيير صوتي، وهو إبدال (ف ا ث ل ا): (فاء)، فخضع للتعريب. وهذا يكفي، إذ ليس بالضرورة أن يكون التغيير بالزنة أيضاً، ما دام هناك ثمة مسوّغ. وهو ما ذكرناه آنفاً من شهرة الأصل وكثرة دورانه على الألسنة، فوق سهوله نطقه.

على أن أبا منصور الثعالبي (ت 428 هـ)، ذكر أن العرب ربما عرّبت ألفاظاً أو تركتها كما هي، وضرب لذلك مثلاً: الكوز والطشت، والخِوان، والسُكرجّة، والإبريق[40]. ولا شك أن

---

[39] نشرة المجمع ص 321 (الفاء).

[40] الثعالبي: فقه اللغة وسرّ العربية ص 453، فصل في فيما اضطرت العرب إلى تعريبه أو تركه كما هو.

(الإبريق) معرَّب، وقد ورد مجموعاً في القرآن المجيد، وهو قوله تعالى في وصف هل الجنة: (يطوف عليهم ولدان مخلّدون بأكواب وأباريق)[41]. وليس في القرآن دخيل، بل فيه العربي، وألفاظ يسيرة من المعرّب.

ويجدر بنا في ختام الكلام على التعريب في جهود المجمع العلمي العراقي ـ شكر الله جهوده ومساعيه ـ أن نشير إلى ما كنا قد اقترحناه على المجمع عقيب ظهور نشرته ودراستنا لها بناء على توجيه من جامعتنا، إذاك، وهي جامعة الموصل، ثم عدولنا عما رأيناه الوجه، وذلك بعد تأمل فيه. والكلام يتعلق بالتركيب: (حامُضْ حُلُوْ)، وهو المتعارف عليه لضرب من الحلوى الصغيرة الصلبة، التي يولع بها الصغار كثيراً. وهي عادة تجمع في طعمها بين الحلاوة والحموضة. ولذلك سمّاها الناس بهذه التسمية، وغلب هذا الاسم عليها، حتى صار عَلَماً لها، ولو لم تكن فيها حموضة.

والذي رأيناه في نظرة عجلى عند صدور النشرة، التعبير عنها بلفظة (مُزٍّ)، وهي اللفظة المعروفة في العربية، لما يجمع في طعمه بين الحلاوه والحموضة، كالرّمان، وغيره. غير أن الذي نراه هو ما ذهب إليه المجمع من إعراب الكلمة، وجعلها (حامِضٌ حُلْوٌ)[42] بتنوين الضم على آخر كل منهما. إذ إن هذا الإعراب قد أخرج التركيب من عاميته المسكّنة للفظين كليهما فيه. ويشهد لهما أن اللفظ لو كان أعجمياً، ثم أعرب، لخرج بذلك من عجمته، ودخل في كلام العرب.

وهذا ما قرره أبو علي النحوي (ت 377 هـ)، وتلميذه النابغ ابن جني فلو قيل ـ في رأيهما ـ "طابَ الخُشْكُنانُ"[43]، "فهذا من كلام العرب؛ لأنك بإعرابك إياه، أدخلته في كلام العرب". يريدان

---

[41] الواقعة: 18.

[42] نشرة المجمع ص 314 (الحاء).

[43] الخصائص، لابن جني 359/1.

بذلك: بوضع حركة الضم عليه، لوقوعه فاعلاً. هذا إذا كان اللفظ أعجمياً، فكيف إذا كان عربياً مثل كلمتي (حامِضٌ حُلْوٌ) لا شك أنه سيكون أطوع للعربية، وأبين لفصاحتها؛ إذ لم يتعدّ التغيير، نقل اللفظ من عامّيته إلى عربيته الفصحية، لا من عجمة إلى عربية فصيحة.

وبهذا فإن كلمة (مزّ) التي اقترحناها على المجمع عند صدور النشرة، لا توفّ دلالة هذه الحلوى حقها، لأنها إنما تعبّر عن الطعم دون المادة نفسها، لأن التركيب: (حامض حلو)، يعبّر عن ضرب من الحلوى معروف، له هذا الطعم المزدوج.

ولا يسعنا في الختام إلا أن نبارك جهود المجمع العلمي العراقي، في ما قدّمه في نشرته هذه من جهد لغوي، نطمح أن نرى له نظائر على الدوام. والله سبحانه الموفق.

المصادر والمراجع

1. أدب الكاتب، ابن قتيبة، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط 4، مطبعة السعادة ـ مصر 1963.
2. الخصائص: أبو الفتح بن جني، تحقيق محمد علي النجار، صورة الطبعة دار الكتب ـ بيروت.
3. العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق المخزومي والسامرائي ـ بغداد 1986.
4. فقه اللغة وسرّ العربية: أبو منصور الثعالبي، مطبعة السعادة ـ مصر 1959.
5. فقه اللغة العربية: الدكتور اكصد الزيدي، مطبعة دار الكتب ـ جامعة الموصل 1987.
6. القاموس المحيط: مجد الدين الفيروزآبادي، دار العلم للجميع ـ بيروت.
7. الكتاب: سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط1 ـ القاهرة 1966.
8. لسان العرب، ابن منظور، صورة لطبعة بولاق سنة 1308 هـ.
9. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق نديم مرعشلي، القاهرة 1972.
10. الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق فخر الدين قباوة ـ بيروت 1979.
11. نشرة المجمع العلمي العراقي سنة 1987 ـ بغداد.

مظاهر التعريب في العصر الأموي

أ.د. علي أحمد
كلية الاداب ـ جامعة دمشق

العصر الأموي[1] من العصور العربية العزيزة على كل عربي، يؤمن بوحدة الأمة العربية ويسعى من أجل تحقيقها وتجسيدها أمراً واقعاً في الحياة العربية. فهو العصر الوحيد الذي اتسعت خلاله رقعة الدولة العربية، فوصلت إلى حدود الصين في الشرق، وإلى حدود الدول القسطنطينية في الشمال، وإلى قريب من منابع النيل في الجنوب، وإلى بواتييه في جنوب فرنسا في الغرب. يضاف إلى هذا الاتساع في رقعة الأرض، أن الأمويين تمكنوا بقوة وتصميم أن يحافظوا على وحدة هذه الرقعة عزيزة كريمة، يحدوهم في ذلك إيمانهم الراسخ في استمرار الحياة العربية، من أجل المساهمة في تعزيز مسيرة الحضارة الإنسانية وتمكينها.

وقد انفرد الأمويون عن غيرهم من عرب الجاهلية، أو الذين حكموا من بعدهم بميزة خاصة، هي التمسك بالعروبة القاسم المشترك الذي يجتمع عليه العرب في كل ديارهم في كل الأوقات، فراحوا يدققون في أنساب الخلفاء وأنساب كبار موظفي الدولة، ولا سيما الولاة منهم، فكانوا يعتمدون ذوي الأصول العربية الصافية، ذلك لأنهم كانوا يؤمنون بأن العرب وحدهم هم الذين يمكنهم النهوض بأعباء أمتهم وشعبهم دون الاخرين. وقد برهنت الفترات اللاحقة بعد سقوط دولة الأمويين صحة رأيهم، فقد أدى الاعتماد على العناصر غير العربية إلى نتائج سلبية قاسية،

[1] بدأ هذا العصر في سنة 40 هـ/ 661م وانتهى في سنة 132 هـ/750م.

عملت بقوة على تدمير الأمة العربية وتفتيتها إلى العديد من الأقسام والدويلات، وأهمل الجناح الغربي من ديار العروبة المتمثل بصورة خاصة بالمغرب الكبير منذ العصر العباسي الأول[1] وظل كذلك حتى نهاية العصور الوسطى. هذا بالإضافة إلى هذه المزية الهامة، فقد سعى الأمويون منذ وقت مبكر إلى دفع عملية البناء الحضارية في كل الميادين الفكرية والمعمارية والإدارية على أسس عربية خالصة مستقلة عن المؤثرات الخارجية قدر الإمكان، وكأنهم كانوا يرون بنظرة دقيقة، أن استمرار الدولة العربية قوية وطيدة الأركان، لن يكون ولن يتحقق إلا بتعزيز الحركة العلمية والحضارية وتقويتها على الأسس العربية المتينة.

من أجل هذا كله نذر الأمويون أوقاتهم لتحقيق ذلك، وكانت أولى النتائج التي تمخصت عن هذا الواقع، أن حُرم العديد من شخصيات بني أمية من استلام منصب الخلافة، بحجة أنهم لم يكونوا عرباً خلصاً من ناحية آبائهم وأمهاتهم. والأمثلة على هذا الواقع كثيرة في التاريخ الأموي، نذكر منها على سبيل المثال، مسلمة بن عبد الملك، الذي اشتهر كشخصية بارزة في العصر الأموي في الميدان العسكري وبخاصة على الجهة الشمالية حيث الجهة البيزنطية، التي بقيت ملتهبة طوال هذا العصر، ذلك لأن الأمويين كانوا يحلمون منذ أن كان معاوية بن أبي سفيان والياً على الشام بفتح مدينة القسطنطينية عاصمة بيزنطية وإنهاء اسطورتها من الوجود. وقد اشتهر مسلمة بن عبد الملك بشكل خاص في زمن الوليد بن عبد الملك وسليمان ابن عبد الملك، وظل يعين لقيادة الجيش على هذه الجبهة حتى أمر بعودة الجيش الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز[2] ومع ذلك فقد استبعد عن منصب الخلافة لأن أمه لم تكن من أصل عربي صريح.

---

[1] بدا هذا العصر سنة 132 هـ/ 750م وانتهى في سنة 247 هـ/ 862م.

[2] كان ذلك في سنة 99 هـ. انظر: الطبري . تاريخ الرسل والملوك ج6 ص 434 . ابن الأثير . الكامل في التاريخ ج 4 طبعة دار صادر بيروت ص 521 . العدوي . الأمويون والبيزنطيون طبعة ثانية الدار القومية للطباعة والنشر ص 216.

كذلك فإن من أحد الأسباب المباشرة، التي أدت في النهاية إلى مقتل الخليفة الأموي الوليد الثاني، أنه كان يخطط لجعل ولاية العهد في ابنيه الحكم وعثمان، وهما لأمين من الجواري غير العربيات[1].

ولعل خير الأمثلة على هذا الواقع، يتجسد في شخصية الخليفة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، الذي لم ينفعه ماضيه الحافل بالأعمال العسكرية الجليلة، من أن يجعل وصوله إلى الخلافة من الأمور المبرزة أو العادية، بسبب أن والدته، هو الآخر، كانت أمة غير عربية، وقد اعتاد الناس أن يكون الخليفة عربياً صميماً من جهة أبيه وأمه، أضف إلى ذلك أن الخلافة لم تصله عن طريق الإرث الشرعي المسالم، الذي كان يتجسد ببيعة جماعيه من معظم رعايا الدولة، لذلك عُدَّ مغتصباً للخلافة، مما أثار عليه موجة من المعارضات والمشاكل شغلته طوال فترة حكمه[2]. وقد أثرت هذه الحالة على موقف المحاربين معه ضد العباسيين في معركة (الزاب) الشهيرة، حيث لم يقفوا معه الموقف المناسب، الأمر الذي أدى إلى هزيمة الأمويين وسقوط دولتهم سنة 132هـ/ 750م كما هو معروف[3].

لكن على الرغم من تمسك الأمويين بمبدأ الاعتماد على العنصر العربي، فقد ظلوا غافلين طوال الوقت عن الأصل الحقيقي الصحيح لسكان المغرب الكبير، الذي يتفق عليه معظم الباحثين على أنه عربي سامي وحامي على حد سواء، وهكذا استمروا في تسمية سكان المغرب الكبير تسمية ظالمة هي تسمية (البربر) ولم يعلموا أنها لا تدل على جنس أو عرق بحد ذاته، بقدر ما تدل على أنها صفة أطلقت على كل الشعوب التي لا تتكلم اليونانية أو الرومانية، والذين أطلقوها على المغاربة هم اليونان والرومان[4]. ومن هذا المنطلق قام والي المغرب الكبير عقبة

---

(1) تاريخ الطبري ج7 ص 232.

(2) فلهاوزن . تاريخ الدولة العربية . ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ص 364.

(3) انظر تفاصيل واسعة حول هذه الأمور . تاريخ الطبري ج 7 ص 312 وتاريخ خليفة بن خياط . القسم الثاني ص 566 . 567.

(4) انظر حول ذلك: محمد علي دبوز . تاريخ المغرب الكبير ج 2 طبعة القاهرة 1963 ص 17.

بن نافع أثناء قيادته لعملية الفتح العربي في المغرب، قام بمعاملة المغاربة معاملة قاسية، فلم يساو بينهم وبين المشارقة في مسألة توزيع العطاء والغنائم، وظل حتى نهاية حياته ينظر إليهم نظرة ازدراء بعكس نظرته إلى العرب المشارقة، الذين اعتمد عليهم وأكرمهم غاية الإكرام، وقد أدت به هذه السياسة غير المتوازنة إلى الموت على يد زعيم قبيلة (أوْربة) كسيلة في معركة تهودة (سيدي عقبة) الشهيرة، وذلك سنة 65 هـ/ 685م[1] بينما أدت سياسة أبي المهاجر دينار، الذي تولى قيادة عملية الفتح في المغرب لمدة سبع سنوات بعد عزل عقبة بن نافع نتيجة سياسته غير المتكافئة مع المغاربة[2] إلى دخول عدد كبير من المغاربة في الإسلام. وقد تجلت سياسته بتطبيق المساواة والعدالة بين العرب المشارقة وإخوتهم المغاربة في عملية العطاء العام وكذلك في ميدان القيادة والمسؤولية، مما جعل فترة قيادته من أزهى الفترات التي سبقت مجيء حسان بن النعمان الغساني، الذي جسد المساواة بين الجميع حقيقة واقعة في الحياة المغربية[3] كما أدت من جهة أخرى إلى وقوف عدد كبير من المغاربة إلى جانب الفاتحين العرب، يساعدونهم في الأعمال الحربية ويدلونهم على عورات البلاد المغربية وثغراتها، التي يمكن من خلالها تنفيذ الخطط العربية بسهولة ونجاح.

مع ذلك فقد بقي العرب ولا سيما القادة منهم، يتفاخرون بأنهم أولاد وأحفاد أولئك المجموعة من الرجال، الذين فتحت على أيديهم أمصار واسعة في شتى بقاع الأرض في الشرق والغرب وفي الشمال والجنوب، أي في أراضي قارات ثلاث هي إفريقية وأسيا وأوروبا، وأدى بهم هذا التفاخر إلى التعالي على الجميع والزهو في وقت رأوه مناسباً لذلك. نضرب على ذلك مثلاً حياً

---

(1) سعد زغلول عبد الحميد . تاريخ المغرب العربي طبعة القاهرة 1965 ص 169.

(2) استمر أبو المهاجر دينار في هذه المهمة الجليلة من سنة 55 . 62 هـ.

(3) انظر: ابن عبد الحكم . فتوح مصر والمغرب تحقيق غاتوا طبعة الجزائر 1948 ص 194 . المالكي رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية ج 1 تحقيق حسين مؤنس القاهرة 1951 ص 37، 38 . ابن عذاري المراكشي . البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج1 تحقيق كولان وليفي بروفنسال طبعة ليدن 1948 ص 35.

من بعض الزعماء القياديين بالأندلس في عصر الولاة[1] وهو الصميل بن حاتم، الذي هاجر إلى الأندلس مع الذين أرسلهم هشام بن عبد الملك إلى المغرب لقمع ثورة الخوارج هناك، ومن المغرب انتقل إلى الأندلس مع الشاميين بعد الاتفاق مع والي الأندلس آنذاك عبد الملك بن قطن. وقد مرّ ذات يوم بمعلم في أحد شوارع قرطبة، وكان يعلم في مجموعة من الصبيان الآية القرآنية الكريمة القائلة "وتلك الأيام نداولها بين الناس" فما كان منه إلا الاعتراض على المعلم، وإن الآية في رأيه كما يعلمها المعلم خطأ وقال: "وتلك الأيام تداولها بين العرب"[2] الأمر الذي يفهم منه، أنه لا يريد مشاركة أحد من غير العرب في أمور الحكم مهما كانت إمكاناته العامة، وذلك لأنه كان مقتنعاً تماماً، أن السيادة يجب أن تبقى حكراً للعرب دون غيرهم من المسلمين الموالي[3].

ولابد من أن الباحث المتعمق سيرى بوضوح، أن هاجس الأمويين على الدوام كان يتمحور حول مسألة تجسيد الروح العربية في جميع مناحي الحياة، فما أن تخلص عبد الملك بن مروان من مشاغله الداخلية، التي تجسدت في قمع حركات التمرد، التي أقضت مضجع البيت الأموي إلى حد كبير، لأنها كثيراً ما هددت الحكم الأموي بالسقوط والزوال في وقت مبكر. ما إن انتهى من هذه الحركات، حتى بدأ في أكبر عملية حضارية، أراد أن يقوي من خلالها جذور الوجود العربي وأركانه، هذه العملية هي عملية التعريب، التي شملت دواوين الدولة برمتها، وكذلك عملة الدولة المتداولة بين الناس. فتعريب الدواوين يؤدي إلى تدعيم سلطة الدولة العربية إدارياً بعد إن بسطت الدولة سلطتها السياسية على مختلف أرجاء الدولة، وكذلك الأمر بالنسبة لتعريب النقود. وكل هذا يساعد حتماً على نشر اللغة العربية والتخلص من الموظفين غير العرب، وإتاحة الفرصة للعرب للوصول إلى أرفع المناصب الإدارية وأهمها شأناً، بعد أن كان ذلك يقتصر على غير العرب، الأمر الذي كان يضعف تكوين الدولة القومي، ويتناقص مع سياسة الدولة العامة،

---

[1] دام هذا العصر في الأندلس من 97 . 138 هـ.

[2] ابن القوطية . تاريخ افتتاح الاندلس طبعة مدريد 1926 ص 62.

[3] الموالي هم المسلمون من غير العرب.

ويوهن الثقة بين الدولة والإدارة، ولا يمكن أن تقوى هذه الثقة ما دام موظفوها ليسوا عرباً، وما دامت لغتها غير عربية.

لهذا فقد كان لفكرة التعريب أثرها العظيم في رفع شأن اللغة العربية، حتى غدت اللغة الرئيسية بعد أن كانت تُعد لغة أجنبية كسواها بالنسبة لأهل البلاد المفتوحة.

وكان من أهم الدواوين التي شملتها عملية التعريب في عصر عبد الملك بن مروان، ديوان الجند، وديوان الخراج، وديوان الرسائل، وديوان المغانم، وديوان البريد. وكان الذي يقوم بإدارة هذه الدواوين الهامة قبل عملية التعريب، اليونانيون في الشام، والفرس في العراق، والأقباط في مصر، وفي المغرب الكبير الذين يعرفون اللاتينية اليونانية[1] وقد تخلصت عملية تعريب العملة بإلغاء جميع العملات السابقة، واستبدال الدنانير العربية بها، التي تبلورت في صورتها النهائية في سنة 77 هـ/696 م. وهذه العملة العربية الجديدة المسكوكة باللغة العربية، خلعت على الدولة العربية شخصية مستقلة، وجعلت لها وجاهة بين العرب أنفسهم، وكذلك لدى الدوائر الأخرى. ومنذ ذلك الحين ازدهرت اللغة العربية، وأصبح مقياس التعلم أن يتمكن الرجل من قراءة اللغة العربية وكتابتها[2]. وفيما بعد العصر الأموي أصبحت اللغة العربية أداة التفاهم اليومي في كل الولايات، التي حكمها الأمويون في الشرق والغرب، وحلت أداة للثقافة العامة محل اليونانية والفارسية والآرامية والسريانية واللاتينية وغيرها. وقد أدى هذا الأمر في الأندلس إلى تطورات خطيرة، كانت ستؤدي إلى خسائر كبيرة، لولا أن الدبلوماسية شغلت دوراً إيجابياً في هذا الشأن. وملخص ما حدث في الأندلس، أن اللغة العربية أصبحت لغة الثقافة في عصر الإمارة الأموية وكذلك لغة الإدارة، واجتذب ازدهار هذه الثقافة إعجاب المستعربين[1] فأقبلوا على تعلمها والاطلاع على إبداعاتها الثقافية بروح المتعلم لا بروح الناقد.

---

[1] المقريزي . المواعظ والاعتبار ج 3 ص 59 . الصولي . أدب الكتاب ص 192.

[2] البلاذري . فتوح البلدان ج 5 ص 651 . 652 وانظر تاريخ الطبري ج 6 ص 256.

[1] المستعربون، هم مجموعة من سكان إسبانيا بقوا على دينهم، لكنهم تأثروا بالثقافة العربية واصطبغوا بصبغتها.

وتراجعت أمام هذا المد الثقافة اللاتينية، وبدت اللغة وكأنها مقياس لامتداد حضارة وانحسار أخرى، مما جعل حماة الثقافة اللاتينية والحضارة القديمة ومعظمهم من رجال الدين، يقومون بعمل يائس لخلق حاجز دموي بين أتباع الحضارتين، من أجل منع التماذج الذي أصبح وكأنه انصهار في بوتقة الحضارة العربية الإسلامية. ودعيت عمليتهم باسم الاستخفاف لدى العرب، وباسم الاستشهاد لدى المستعربين. وكانت عبارة عن قيام بعض أعضاء الحركة بشتم الرسول محمد (ص) وتحقير الدين الاسلامي، على الرغم من أنهم كانوا يعرفون بذلك المصير، الذي ينتظرهم فيما لو أحيلوا إلى دائرة القضاء حيث سيطلب القاضي منهم التراجع عن أقوالهم وإعلان التوبة، فإن أصروا على ما هم فيه أُعدموا. لكن هذه الحركة لحسن الحظ لم تستمر طويلاً، فقد تحرك فريق آخر من المستعربين من كبار الموظفين لدى الدولة العربية، وانضم إلى هذا الفريق بعض رجال الدين، بعد ان تأكد لهم أن هذه الحركة غير مجدية، وستنزل الأذية بمصالح المستعربين واستطاع هذا الفريق أن يحصل على حكم كنسي باعتبار هذا العمل مارقاً ومنافياً لأحكام الدين المسيحي[2].

ولا ترانا نبتعد عن الواقع والصواب، إذا قلنا أن عملية التعريب هذه كانت أبعد أثراً من المعارك والفتوح في باب توطيد أركان وأسس الدولة العربية، وبخاصة أنها ساعدت على التحرر الاقتصادي العام من السيطرة الأجنبية، وأعطت الدولة فرصة ذهبية للإشراف على شؤونها العامة.

وعلى الرغم من أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، كان قد ركز بشكل خاص على إعادة المثل الإسلامية العليا إلى الحياة العامة، فإنه أي عمر بن عبد العزيز، أعطى أوامره للسمح بن مالك الخولاني والي الأندلس للأمويين، أن يقوم بتخصيص جزء من أراض الخراج هناك ويعطيها لمجموعات عربية تسكن فيها بصورة دائمة، بعد أن أقنعه السمح بن مالك بضرورة بقاء العرب هناك، لأن عمر بن عبد العزيز كان عازماً في بداية حكمه على سحب العرب من

---

[2] أحمد بدر . تاريخ الأندلس طبعة دمشق 1983 ص 23.

الأندلس بسبب مخاوفه على مصيرها في شبة الجزيرة الإيبيرية (الأندلس) النائية والمحاطة بالمياه من معظم جهاتها. وكان يهدف من خلال توزيعه للأرض، الذي يسمح به في مناطق أخرى كالعراق والشام ومصر، أن يجعل العرب يتطلعون إلى الاستقرار في الأندلس بصورة دائمة، الأمر الذي يساعد على انتشار وتجذير مفاهيم العروبة والإسلام. ولعله استوحى خطته هذه من بعض التصرفات المشابهة، التي قام بها صحابة أجلاء كعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب، الذين أرادوا من خلال هذه الأفعال تعريب الأقاليم المفتوحة، وذلك لأنهم وجدوا من خلال نظريتهم الثاقبة، أن عملية التعريب لن تتم إلا بتثبيت العناصر العربية في هذه البلاد المفتوحة، وبالتالي جعل العرب يشعرون بأن مصالح لهم فيها أصبحت أمراً واقعاً وهاماً في حياتهم[1]. وكذلك فعل في بعض مناطق خراسان، بعد أن اقتنع بحيوية حركة انتشار الإسلام هناك، بعد أن قابله وفد من أتراك هذه المناطق، وأعلموه بأن ولاة خراسان، يرفضون دخول الأتراك في الإسلام، بحجة أن أموال الجزية ستغدو قليلة، وبالتالي فإن بيت المال سيعاني من نقص في الأموال، وسيقف عاجزاً عن تمويل مشاريع الدولة واحتياجاتها العامة[2].

من ناحية أخرى فقد كانت مظاهر وملامح ما يكنه الأمويون تجاه العرب والعروبة، تظهر بوضوح في أقوالهم وأفعالهم في كثير من المناسبات الوطنية، وبرهنوا من خلال هذه الأقوال عن عظيم تمسكهم في المسيرة العربية، التي كانت عندهم من أقدس المقدسات، ولا بد من وضعها في طليعة كل النواحي الأخرى. ولعل أهم ما يجسد هذا الواقع الطيب في تاريخ الدولة الأموية، ذلك القول المشهور للخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، حينما سمع بخبر هزيمة الوالي المغربي عبيد الله بن الحجاب أمام ثورة الخوارج، التي اندلعت في المغرب الأقصى[1] بقيادة ميسرة المتغري سنة 122هـ/739م التي كانت ثورة ضد الدولة الأموية برمتها. قال هشام بن عبد الملك

---

[1] انظر: البلاذري . فتوح البلدان ج 1 ص 43 . 44 وتاريخ الطبري ج 7 ص 36.

[2] ابن عساكر . تاريخ دمشق ج 1 طبعة دمشق 1329 هـ ص 182 وما بعدها.

[1] المغرب الأقصى هو الأرض الممتدة من وادي ملوْية إلى المحيط الأطلسي ويتمثل اليوم بالمملكة المغربية.

"والله لأغفبن لهم غفية عربية ولأبعثن لهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي"[2]. ويدل قول هشام بن عبد الملك في المقام الأول على مدى اعتزاز خلفاء بني أمية بانتمائهم إلى مدرسة العروبة، هذه المدرسة العظيمة التي لا يختلف عليها أحد.

لكن هذه السياسة العربية الثابتة للأمويين، أدت من ناحية ثانية إلى نتائج سلبية، وكانت في طليعة الأسباب التي عملت وساهمت في سقوط الدولة الأموية على أيدي العباسين، الذين جاؤوا إلى الحكم بعد عمل متواصل من التنظيم والدعاية والإعلان ضد الأمويين، تحت شعار العمل من أجل إعادة الحق إلى أصحابه الحقيقيين، هذا الحق الذي تجسد بمنصب الخلافة، التي عمل العباسيون من أجلها تحت شعار (الرضا من آل محمد). وحينما نجحوا في عملهم ضد الدولة الأموية، تنكروا لأصحاب الحق من آل بيت الرسول (ص)، وكانوا في معاملتهم مع آل البيت أقسى من الأمويين بأضعاف مضاعفة.

إن الذي ساعد العباسيين على الفوز بمنصب الخلافة، هو اعتمادهم على استغلال وضع الموالي من غير العرب، الذين حرموا حقوقهم في العصر الأموي، ووعدهم العباسيون بتحقيق هذه الحقوق فيما إذا وقفوا إلى جانبهم في حربهم ضد الأمويين. وبالفعل فقد وقف الموالي إلى جانب العباسين، ولا سيما في ولاية خراسان بقيادة أبي مسلم الخراساني، حيث انطلقت الثورة العباسية التي كان من نتيجتها سقوط الدولة الأموية، التي وصفت بأنها دولة عربية أعرابية[1].

فالأمويون كما هو معروف عنهم، أنهم اعتقدوا على الدوام أن الدين الإسلامي، لن يتمكن من أن يصبح القاسم المشترك لجميع الشعوب التي دخلت الإسلام، لأن هذه الشعوب وبخاصة

---

[2] مؤلف مجهول . أخبار مجموعة في فتح الأندلس طبعة مدريد 1867 ص 23 ابن عذاري . البيان المغرب ص 59 . الرفيق القيرواني . تاريخ إفريقية والمغرب . تحقيق المنهجي الكعبي طبعة تونس 1968 ص 115.

[1] فاروق عمر . طبيعة الدعوة العباسية طبعة أولى بيروت 1970 ص 6 وما بعدها عبد الحي شعبان . الجذور الاجتماعية والسياسية للثورة العباسية في خراسان طبعة هارفارد 1960. كلودسن هن . تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ج 1 ص 71.

الفرس والترك بقيت وفيه مخلصة لانتمائها القومي الخالص، وظل تأثير الإسلام فيها هامشياً باهتاً. لذلك نرى أن الأمويين تعصبوا لعروبتهم وجعلوها سابقة على كل معتقد، فكانت في نظرهم القاسم المشترك الذي يجتمع عليه العرب، ومن ناحية أخرى كانت المظلة الوحيدة التي يستظل بظلها كل العرب. وقد أصاب الأمويون في هذه النظرة البالغة النضوج، لأنهم كانوا يعرفون تمام المعرفة أن الشعوب الأخرى من غير العرب والتي دخلت في الإسلام، لا يمكن أن تتخلى عن مشاعرها الوطنية والقومية الخاصة، وهذا ما حدث بالفعل في العصور التالية حينما تعصبت هذه الشعوب ضد العرب، وضربوا هيبة الخلافة والمصالح العربية طوال العصور الوسطى[2].

وقد رد الحاقدون على النظرة العربية عند الأمويين، بأن كالوا لهم التهم الظالمة، التي كان من أخطرها أنهم ابتعدوا عن الاسلام ودعوا خلفاءهم بالملوك لنفي الصفة الدينية عن فترة حكمهم[3] ولابد أن هذه التهم وهذه الادعاءات ابتعدت عن الحقيقة، لأنه من باب الوفاء للإسلام أن ننفي عن الأمويين مثل هذه التهم الظالمة، لأنهم رأوا أن مصلحة الإسلام لا تتعارض مع مصلحة العرب، ذلك لأن العرب بشكل عام هم مادة الإسلام وقوته وزخمه، وما كان للإسلام أن ينتشر ويتطور ويبقى دون العرب، ذلك لأن القرآن الكريم الذي يُعد المصدر الرئيسي للشريعة الإسلامية، كتب بلغة العرب. وهذا ما أقره وأكده الأمويون في كل تصرفاتهم السياسية. وقد بدأ بذلك معاوية بن أبي سفيان، فقام بتمتين صلاته مع بني كلب بالشام، فتزوج امرأة منهم هي ميسون بنت بجدل الكلبية، وقد سارع الكلبيون في الدخول في الإسلام بعد ذلك. وقد أثرت سياستها في نفوس الآراميين من سكان البلاد الأصليين، وشعروا أن قربهم من الخليفة سيساعدهم كثيراً على تحسين أحوالهم، فأسلم بعضهم وبقي بعضهم الآخر على مسيحيته، فعاملهم برفق ولم يشعرهم أن هناك فرقاً بين مسيحي ومسلم، انطلاقاً من أن الجميع عرب يتساوون في الحقوق والواجبات[1] وحينما جاء عمر بن عبد العزيز إلى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك، قام بالعديد

---

[2] كما فعل الترك والفرس في العصر العباسي وكذلك السلاجقة والمماليك.

[3] نبيه عاقل . دراسات من تاريخ العصر الأموي طبعة رابعة جامعة دمشق 1992 ص 326.

[1] السيد عبد العزيز سالم . المآذن المصرية طبعة القاهرة 1959 ص 59.

من الإصلاحات الإدارية والمالية، منطلقاً بذلك من أسس شرعية إسلامية، لأنه هو الخليفة الأموي الوحيد الذي أراد إحياء الشريعة الإسلامية وجعلها الموجه العام لسياسة الدولة، فاعتبره الأمويون نكسة كبيرة لمشروعهم السياسي العربي، الذي يفصل بين السياسة والشريعة، فظلوا يلا حقونه في السر حتى تمكنوا من قتله بواسطة السم في منطقة حلب بشمال سورية[2] فمن أعمال عمر بن عبد العزيز على سبيل المثال، والتي كان الأمويون يعملون بعكسها، أن قام بتوزيع العطاء على العرب وغير العرب من الموالي، الذين كانوا يحاربون مع العرب في العديد من البلدان، كخرسان والمغرب والأندلس. بينما كان العطاء في الفترة السابقة لحكمه، لا يخضع لقانون معين أو أساس ثابت، بل كان القادة الأمويون في المعسكرات هم الذين يتولون توزيع العطاء وتقسيمه على الجنود، ولكن ذلك كان يخضع في كثير من الأحيان إلى مشيئة القائد ونظرته إلى المقاتلين، فكان يلغي الجنود من غير العرب، ويسجل الجنود العرب في سجلات العطاء، مما جعل الكثير من الجند يشعرون بالمرارة والظلم والحرمان، فكانوا يتذمرون ويطالبون القادة بمنحهم حقوقهم، التي هي حقوق مشروعة في نظرهم[3]. بعد وفاة عمر بن عبد العزيز عاد الأمويون إلى سابق عهدهم، من حيث اعتمادهم على الشعور العربي والابتعاد عن الشعور الديني، وكان في مقدمة خلفاء الأمويين في ذلك هشام بن عبد الملك، الذي ابتعد كثيراً عن الاهتمامات الدينية، واعتبرها من اختصاص المشايخ والفقهاء، وركز على تعزيز مسيرة الدولة على أساس التفوق العربي على جميع الصعد. وتُعد نظرته هذه نظرة متقدمة جداً في هذا الميدان، ويجب أن تعمم في الحياة العربية، كما عممت في بلدان أوروبا منذ سنين طويلة، مما ساعد الأوروبين على التخلص من ازدواجية السلطة بشكل عام. لكن نظرته المتقدمة هذه جلبت عليه المشاكل، واتهمه المعارضون بتهم قاسية، كان في طليعتها أنه سمح لواليه على العراق خالد

---

[2] كان ذلك في سنة 101 هـ. انظر البلاذري . فتوح البلدان ج 4 ص 512.

[3] تاريخ الطبري ج 6 ص 570 وج 7 ص 36.

القسري بالاستمرار في ولاية العراق، على الرغم من اتهامه بأنه كان يميل إلى المانوية[1] ويصادقهم. واتهمه بعضهم بأنه كان من أوائل الزنادقة في الاسلام، وأنه بنى لوالدته كنيسة بالكوفة قبالة المسجد، وأنه تسامح كثيراً مع اليهود حتى استخدمهم في جباية الأموال والخراج وما إلى ذلك من أعمال إدارية ومالية[2].

مهما كانت صورة الأمر، فلم يكن الأمويون يقصدون من تصرفاتهم الإساءة إلى الاسلام، بقدر ما كانوا يريدون أن يعلموا الناس طريقة في غاية التقدم والنضوج، هي الفصل بين الحكم والدين، أو كما يعرف بالمصطلح المعاصر، الفصل بين الدين والدولة. ولو كان الأمويون ضد الدين كما اتهمهم بعض المؤرخين، لما كانوا قربوا بعض رجال الدين، ففي عصرهم اشتهر الأوزاعي ورجاء بن حيوة وغيرهما[3] لكن الذي عزز عند الناس مبدأ بعد الأمويين عن الإسلام، هو عدم قدرتهم على فهم متطلبات الحكم وقيادة الدولة، فتغافلوا عن أشياء كثيرة عن قصد أو غير قصد، مما أدى في النهاية إلى إحباط وتدمير مشروعهم السياسي العربي والحضاري. فعجزوا عن إقامة أركان العدل بين الناس، وعجزوا عن فهم الحرية التي نادى بها الإسلام، وهي سيادة القانون وتطبيقه على القوي مثل الضعيف، وذهبوا إلى السعي الحثيث لإكثار ثرواتهم وأملاكهم والاستئثار بخيرات البلاد على حساب أصحاب الحق والحاجة من أهل البلاد. كما وقعوا في غلط كبير حينما جعلوا من آل بيت رسول الله (ص) أعداء ألداء لهم، فتوسعت شقة الخلاف بين الطرفين، ووصل الأمر إلى مستويات محزنة للغاية، تجسدت بسفك الدماء

---

[1] المانوية نسبة إلى ماني وهو مؤسس الديانة الثنوية الفارسية القديمة القائمة على القول بإلهين، إله الخير والنور، وإله الشر والظلمة.

[2] تاريخ الطبري . ج 7 ص 131 فلهارون . المرجع السابق ص 320 . 321.

[3] عاصر رجاء بن حيوة ثلاثة من الخلفاء الأمويين هم، الوليد بن عبد الملك وأخوه سليمان وعمر بن عبد العزيز، وهو الذي أشار على سليمان بن عبد الملك أن يعين عمر بن عبد العزيز للخلافة من بعده.

واغتصاب الحقوق. أضف إلى ذلك فقد غلبت عليهم الميول العصبية القبلية في معظم الأحيان، فانقسم الناس في عصرهم إلى عصبتين متناحرتين، هما القيسية واليمانية[1].

مهما كانت صورة الأمر، فإن الأمويين على الرغم من أغلاطهم الكبيرة، فإنهم سيظلون في نظر أهل الوعي ومحبي العروبة والمؤمنين بها، رجالاً عظاماً وضعوا للعرب بعامة نظرية خالدة، هي أن بلوغ المجد والرقي، لا يتأتى إلا من خلال التعاون العربي الصادق في كل ميادين الحياة، من أجل أن نعود نحن العرب إلى ما كنا عليه في عصر الأمويين من قوة فاعلة وحية بين الشعوب والأمم المختلفة، وهذا لن يتحقق إلا بالتغلب على الإقليمية والفردية والقبلية والأنانية تحت مظلة العروبة. وهذا إن طبقناه في مستقبل الأيام، فإننا نكون قد استفدنا من تجربة الأمويين، التي تثير في النفس عند ذكرها مشاعر الأسى والحزن على أول دولة عربية قوية، عصفت بها ريح الخلافات وغياب الوعي. وإذا لم نفعل ذلك نكون قد وضعنا أنفسنا أمام مجاز صعب، لن يؤدي في نهاية المطاف إلا إلى حتمية الفناء والذوبان في محيط الأقوياء.

فالدولة العربية في عصر الأمويين، كانت من أكبر وأهم الدول في العالم بإطلاق، وقد جاءت أهميتها في المقام الأول من أن حكامها جعلوها عربية خالصة، ولا سيما بعد أن أنجزوا عمليات التعريب في ميدان الإدارة والنقد، التي عُدت من أعظم المنجزات في العصر الأموي، لأنها ساعدت على تقوية الحكم العربي بعد أن حولت كل شيء في جهاز الدولة إلى العربية، وبخاصة نشر اللغة العربية في الدواوين والتخلص من الموظفين غير العرب، فازدهرت اللغة العربية في هذا العصر، وأصبح مقياس التعلم أن يتمكن الإنسان من قراءة العربية وكتابتها، حتى أصبحت أداة التفاهم اليومي من بلاد فارس حتى بواتيه، وحلت كأداة للثقافة محل اللغات القديمة الأخرى.

ومن يطلع على الأحداث السياسية والثقافية في العصر، الذي تلا عصر الأمويين وهو عصر العباسين، يرَ بوضوح أن ما فعله الأمويون على صعيد التعريب، كان ضرورة استراتيجية

---

[1] انظر حول ذلك: كتابنا ـ تاريخ الأمويين السياسي والحضاري ص 3 وما بعدها.

ومهمة وطنية وقومية عملاقة، كان من واجب الجميع أن يستمروا في الحفاظ عليها، لا التخلي عنها كما حدث في عصر حكم بني العباس، فقد أدى تخلي العباسيين عن هذه الاستراتيجية الإيجابية، إلى ظهور توصيات أخرى على حساب العرب، وكان في مقدمة هذه القوميات القومية الفارسية التي تمثلت بحركة الشعوبية، التي أعلن أصحابها راية الحرب ضد الوجود العربي على كل صعيد. وكذلك فعل الأتراك والسلاجقة، حينما حجروا على الخليفة العباسي وأصبح اسماً لا قيمة له على وجه الإجمال، حتى جاء المغول في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر الميلادي فأتموا عملية التخريب والقضاء على الرمز العربي الأخير، الذي كان يمثله الخليفة العباسي المستعصم بالله، الذي قتله المغول بعد فترة قصيرة من دخولهم بغداد.

وبالجملة فقد نفذ الأمويون زرع جذور ورايات التعريب في كل ميدان من ميادين الحياة العامة، معتمدين في ذلك على إيمانهم الراسخ بأن العرب لن يُكتب لهم الخلود إلا بالاعتماد على أنفسهم من خلال ثرواتهم الكبيرة ومن خلال تعاونهم مع الآخرين على أساس الاحترام المتبادل. وكانت قدوتهم الحسنة على هذا الطريق القويم، أعمال صحابة أجلاء، نذكر منهم على سبيل المثال عمر بن الخطاب والإمام علي بن أبي طالب وغيرهما. فقد عمل هؤلاء الصحابة على تعريب الأقاليم المفتوحة منذ الوهلة الأولى، وذلك من خلال تثبيت العناصرالعربية في هذه الأقاليم، وجعل هذه العناصر العربية تشعر بقوة أن مصالح هامة لها قد أصبحت أمراً واقعاً وهاماً في كل ميادين حياتها[1].

[1] انظر عن هذه المسألة كتابنا: تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري طبعة جامعة دمشق 1994 ص 93 . 94.

في المصطلح العربـي
(قراءة في شروطه وتوحيده)

أ. د. علي توفيق الحمد
قسم اللغة العربية ـ جامعة اليرموك

لمّا كان المصطلح لفظاً يطلق للدلالة على مفهوم معيّن عن طريق الاصطلاح (الاتّفاق) بين الجماعة اللغوية على تلك الدلالة المرادة، التي تربط بين اللفظ (الدّال) والمفهوم (المدلول) لمناسبة بينهما[1]؛ أقول: لمّا كان الأمر كذلك، فإن جوهر المشكلة – كما يتصورها البحث – هو **الاتفاق بين الجماعة، والأسس والمبادىء التي يقوم عليها هذا الاتفاق، وسبل تحقيقه.**

واللغة العربية – كغيرها من اللغات – لديها القدرة على استيعاب المفاهيم المستحدثة أيّاً كانت، والتعبير عنها، بل هي بالتأكيد أقدر وأطوع؛ لأسباب لغوية وحضارية، وأدّلة تاريخية واجتماعية[2]، "فحين توافرت لشعبها أسباب النهوض في العهود القديمة...، وسِعت العلوم والمعارف التي ذاعت إذ ذاك، ولم تقصرّ عن التعبير عن شيء منها"[3].

وقد ارتضى المتخصصون في علم المصطلح تعريفاً له يتميّز بالدقة، فعرّفوه بأنه "الرمز اللغوي المحدّد لمفهوم واحد"[4]، مؤكّدين أنه يقوم على دعامتين؛ هما: **الرمز اللغوي والمفهوم.**

والمفهوم عرّفه فيلبر (FELBER) بقوله: "إنه عبارة عن بناء عقليّ – فكري – مشتقّ من شيء معيّن. فهو– بإيجاز– الصورة الذهنية لشيء معيّن موجود في العالم الخارجّي أو الداخلي، وأضاف: "ولكي نبلّغ هذا البناء العقلي – المفهوم – في اتصالاتنا، يتم تعيين رمز له ليدّل عليه[5].

واللغة معنيّة باختزان المدركات الحسّية والأفكار أيضاً، إذ إنّ كل المدركات القابلة للإبلاغ ينبغي ترميزها لغوياً، فتصبح اللغة آنذاك متضمنة كل التصورات (المفاهيم)، من خلالها يتم تعلّم تلك المفاهيم[6].

واهتمّ علماء المصطلح ببيان المقصود بالرمز اللغوي الدالّ على المفهوم ففرّقوا بين ثلاثة أنواع من الرموز اللغوية، وهي: 1 . الكلمة، 2. المصطلح، 3. كلمة القاموس (المذخر اللغوي) فقالوا: إن **الكلمة** يمكن أن تأخذ عدّة معان أو ظلال معانٍ غير محدّدة، ويمكن استخدامها في تسمية الأشياء، وتعتمد في ظهور معناها على السياق.

أما **المصطلح** فرمز لغوي محدّد لمفهوم معيّن، أي أنّ معناه هو المفهوم الذي يدلّ عليه هذا المصطلح، وتعتمد درجة وضوح معناه على دقّة موضع المفهوم ضمن نظام المفاهيم ذات العلاقة.

وأما **كلمة القاموس** فغالباً ما تكون مصطلحاً أو اسماً يستعمل لاسترجاع المعلومات أو فهرستها في نظام خاصّ، ويعتمد معناها على نظام المعلومات ذات العلاقة، **وتسند هذه الأسماء إلى مسميّاتها المنفردة لا إلى منظومة المفاهيم**[7]. والمسميّات هي الأشياء المحسوسة الحقيقية الموجودة في العالم الخارجي أو الداخلي؛ أما المفاهيم فصور ذهنية لتلك الأشياء الموجودة.

ويجب أن تكون ثَمّ علاقة منطقية بين المصطلح ومفهومه، وهذه العلاقة منظمة، "لكن لا يشترط وجود هذه العلاقة بين الاسم والمسمّى"[8]. فلو أطلقنا مصطلح "مُرْسِل" على جهاز معيّن، وأردناه مصطلحاً، وجب أن يكون هذا الجهاز من خصائصه الإرسال؛ وهذه هي العلاقة المنطقية الواجبة بين المصطلح ومفهومه؛ أما الاسم: فقد نطلق الاسم "صالح" على شخص أو مسمّىً، ولا يكون بالضرورة صالحاً.

واهتمام المصطلحيّين البارز بالمفهوم يبيّن لنا سبب كون الخطوة الأولى في وضع المصطلح هي جمع المفاهيم، وتنظيمها في مجموعات ذات علاقة متجانسة، ثم علينا فهم المفهوم – الذي

نودّ اقتراح مصطلح له – بخصائصه وصفاته المختلفة الحقيقية وغير الحقيقية؛ وصلة هذا المفهوم بغيره من المفاهيم ضمن المجموعة الواحدة التي ينتمي إليها، وتحديد موقعه ضمنها، ثم نجتّهد في اقتراح مصطلح مناسب له؛ ذي علاقة دلالية أيضاً بالمصطلحات الدالّة على مفردات منظومة المفاهيم المشترِكة مع مفهومنا في مجموعة واحدة. وثَمّ خطوة ضرورية بين العناية بالمفهوم الجديد واقتراح رمز لغويّ له، هي وضع **تعريف** لهذا المفهوم، **ونعني به وصفاً كلاميّاً له**، باستخدام مفاهيم أخرى معروفة لنا سابقاً؛ ويجب في التعريف أن يكون محدّداً ودقيقاً، وأن يشتمل على الخصائص التي يتّصف بها هذا المفهوم، وأن يساعد على بيان موقع المفهوم الجديد ضمن نظام محدد من المفاهيم التي يشترك معها في مجموعة واحدة؛ وقد تفيد **الإيضاحات** في بيان المفهوم وتوضيحه وجعله دقيقاً؛ لكنها لا تحلّ محله، ولا يقبل ذلك[9]. وقد اشترط فيه المناطقة أن يكون جامعاً مانعاً. ويجب أن يكون هذا التعريف تعريفاً علمياً؛ إذ إن ميزة التعريف العلمي من التعريف اللغويّ العاديّ "أن التعريفات العلمية تكوّن مجموعة من المفاهيم الثابتة المحدودة على غرار المبادىء الفلسفية والمنطقية المنتمية إلى مجموعة متماسكة متناسقة، بينما تكون التعريفات اللغوية حرّة، قد تختلف من معجم إلى آخر، بحسب ميزات المعجميّ وقدراته الثقافية والعقلية"[10].

وقد بيّن فيلبر (FELBER) أنّ دقّة المصطلحات لا تعتمد على الرموز اللغوية بل على المفاهيم، ونقل عن فيزساكر (WEIZSÄCKER) شرحاً لهذه العبارة السابقة؛ بأنّ التفاهم الناجح في اللغة لا يعتمد على دقة اللغة، بل يعتمد على دقة تنظيم مفاهيم الأشياء التي نقوم بدراستها[11]. وقد حدّد علماء المصطلح جملة من الشروط الواجب توافرها في المصطلح المفضّل المقبول، فذكروا "أنّ المصطلحات المتّفق عليها يجب أن تكون واضحة، دقيقة، موجزة، سهلة النطق، وأن يشكلّ المصطلح الواحد منها جزءاً من نظام مجموعة من المصطلحات، ترمز إلى مجموعة معينة مترابطة من المفاهيم، وعدّوا هذه السمات متطلبات عامّة يجب أن تتوافر في المصطلح المتفق عليه"[12].

ويجب ألاّ يغيب عن الذهن أنّ العمل المصطلحيّ (أو وضع المصطلحات) ينبغي أن يبدأ دائماً من المفهوم – كما أسلفنا – فالتعريف، فالرمز اللغوي (المصطلح)؛ وأن يخصصّ لكل مفهوم مصطلح مختصّ واحد، وألاّ يلتبس هذا المصطلح بأيّ مصطلح آخر، إذ إنّ التفاهم يكون ممكناً فقط (غير ملتبس) عندما يقتصر مصطلح واحد على مفهوم واحد، وبالعكس.

ولا بدّ أن يتعرّض المصطلح المفضل لدراسة لجان علمية وفنية مختصة، ولجنة للمقاييس والمواصفات، علاوة على طرحه بعد ذلك للمهتميّن من الناس لتسجيل نقدهم وتقويمهم وتوجيههم؛ وبعد هذا كله يتمّ إقراره واعتماده للاستخدام، بعد الاطمئنان على سلامته وقبوله من كل النواحي.

وقد تجيز اللجان المختصة مصطلحاً ثانياً مرادفاً في حالات معينة، تراها تدعو إلى ذلك؛ كأن تكون هناك أسباب خاصة تمنع من استخدام المصطلح المفضل دالاًّ على مفهوم معيّن؛ وذكر فيلبر (FELBER) تلك الأسباب في إحدى مقالاته معزّزة بالأمثلة؛ لعلّ أهمها: عندما يكون مصطلح دوليّ مستخدماً وشائعاً للدلالة على مفهوم معيّن، جنباً إلى جنب مع مصطلح وطنيّ محليّ[13]، كما هو الحال في مصطلحي مِرْناة وتلفزيون، أو هاتف وتلفون مثلاً.

ويجب أن تتوافر متطلبات أساسية للعمل المصطلحي حتى يكون هذا العمل مجدياً ومقبولاً يمكن أن يجمع عليه المختصّون والمستخدمون؛ وبالتالي يسهل نشر المصطلح وتقبّله؛ وأهمها: التدريب، والبحوث العلمية الأساسية والتطبيقية الخاصة، وتوثيق المعلومات، والاطّلاع على الأنشطة المصطلحية في البلدان الأخرى المتقدمة، والتعاون معها.

ويجدر التنبيه على أن العمل المصطلحي ليس عملاً لغوياً فقط، بل لا بد من الإحاطة بعلم المصطلح النظري، وعلم المنطق والنظريات المعرفية، ونظريات الاتصالات والشبكات وأنظمتها[14].

وفي مجال بحوث علم المصطلح التطبيقي: لا بدّ من تضافر جهود المتخصّصين في العلم الذي تنتمي إليه المفاهيم قيد البحث، وقد عدّهم فيلبر (FELBER) المفاتيح الأولى للعمل

المصطلحي، يساعدهم أعضاء الجمعيات العلمية والتقنية الوطنية والدولية المختصة؛ ثم يأتي بعدهم في الأهمية دور اللغويين، الذين يفضّل أن يكونوا مدرّبين في مجال علم المصطلح النظري والتطبيقي، وهؤلاء يمدّون العلماء المختصيّن بمجموعة من المصطلحات والصيغ التي يرونها مناسبة لاستخدامها رموزاً للمفاهيم قيد البحث(15).

فوظيفة المتخصّص في العلم التعامل مع المفاهيم وتوضيحها وتعريفها، وسلْك كلّ منها ضمن مجموعة مفاهيم ذات علاقة، معروفة سابقاً. ووظيفة اللغوي اختيار مصطلحات (ألفاظ أو رموز لغوية) وفق قواعد الوضع المعروفة في اللغات وعلم المصطلح النظري، ثم وصف استخدام هذه الألفاظ. ثم يأتي دور المصطلحي المتخصّص في علم المصطلح الذي يراجع ما تقدّم ويقرّ المصطلح المفضّل والأنسب للاستخدام، وفق المبادىء التي أقرّتها دراسات علم المصطلح وتقييسه؛ وبذلك نضمن لمصطلحاتنا الدقة، والدلالة، والمناسبة؛ من النواحي العلمية واللغوية والمنطقية.

إن توحيد المصطلحات يتطلّب تطبيق مبادىء وأساليب معينة متفق عليها مسبقاً من جانب اللجان المختصّة العاملة على المستوى الوطني القطريّ أو القوميّ، لنضمن وحدة المنهجية والنتائج، على أن تعتمد هذه المبادىء والأساليب مبادىء علم المصطلح على المستوى النظري، وعلى مستوى العمل الميداني المصطلحي المماثل في بلاد أخرى(16).

إنّ أيّ اضطراب أو خلل في إطلاق المصطلحات أو عدم مراعاة المفاهيم ومجموعاتها وأنظمتها، أو عدم التنسيق الكامل المسبق في وضع المصطلحات يؤدّي إلى الخلط، گ "اضطراب المصطلحات العربية إزاء تسمية المفاهيم المرتبطة، فالكلمات التي تفيد مفاهيم مختلفة يُعَوّض بعضها ببعض، فتصير المفاهيم إذن مختلطة؛ وهذا قد يؤدّي إلى إطلاق اللفظ نفسه للتعبير عن مفاهيم مختلفة بلا تمييز، وينتج عن هذا (اللاّتمييزية الاصطلاحية) بين المفاهيم"(17). وقد يؤدّي إلى تناقض، علاوة على الاضطراب والفوضى المعجمية التي "لها أثر على تنظيم علومنا

الناشئة، وعلى تفكيرنا العلميّ"[18]، وهذا مخالف بالتالي لأهم شروط لغة العلم والمصطلحات، وهي الدقة والوضوح، وعدم التداخل أو اللبس.

ويمكن أن نتلافى أيّ خلط أو اضطراب في المصطلح، بوضع مقاييس تهدف إلى تحسين المصطلحات المستعملة وتوحيدها، "ويجب أن تراجع المصطلحات المقيّسة المستخدمة في فترات منتظمة، حتى نتأكد من صلاحيتها، وحتى تبقى متوائمة باستمرار مع آخر التطورّات في حقول العلوم والتكنولوجيا"[19].

وشعوراً بأهمية التقييس، وضع له المختصون منذ فوستر (WUSTER) مبادىء وخطوات حتى تتواءم المصطلحية، وعملية التقييس تقوم على جانبين، هما: الجانب المنطقي، والجانب اللغوي[20].

فالجانب المنطقي هو الذي يتناول المفاهيم (التصورّات الذهنية) بالتقييس والتوثيق، ويهتّم بالمنظومات المفهومية وتآلفها، ويحدّد مكان المفهوم الجديد في حقل المنظومة المفهومية ذات العلاقة، ثم يضع تعريفاً دقيقاً واضحاً يميّز المفاهيم من بعضها، بدراسة شبكات المصطلحات المُقاربة، وشبكات منظومات التصورات أو المفاهيم ذات العلاقة، استعداداً للجانب اللغوي من العملية، بعد توثيق هذه التعريفات أيضاً.

ويتناول الجانب اللغوي طرق وضع المصطلح – وهي معروفة[21] – ودراسة بنية المصطلح الأجنبي إن كان للمفهوم المستحدث أو الوافد مصطلح أجنبي، لعلّها تساعد في اقتراح مصطلح مقابل مناسب.

ومشكلة توحيد المصطلح العربي وسبل نشره مشكلة قديمة حديثة، قائمة متجددة، يبدو أنها استعصت على الحلّ، أو هي كذلك، فمنذ أيام الأمير مصطفى الشهابي في الخمسينّات برزت القضية بشكل رسمي سافر، وإن كانت – عملياً – أقدم من ذلك؛ إذ لا حظ الشهابي "أن الشعور

بضرورة توحيد المصطلحات العلمية أصبح في البلاد العربية شعوراً عاماً، **والآراء متضاربة في الوسائل** التي يجب التوسّل بها لبلوغ هذه الغاية"[22].

كما أن كل الندوات والمؤتمرات منذ الستينات – وما أكثرها – في مجال المصطلحات أو التعريب أو المعجم أوصت بتعريب المصطلح وتوحيده، واقترحت وسائل لتوحيده ونشره، ولم تنجح تلك التوجّهات كما ينبغي بعد، علاوة على دعوات المجامع اللغوية العربية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والمؤسسات المعنية الأخرى العربية والدولية، والدعوات الفردية المخلصة التي تظهر هنا وهناك بين حين وآخر، ومع كل ذلك "ينبغي – مع كامل الأسف – أن نلاحظ أن النتيجة كانت هزيلة، إذا قورنت بضخامة المشكل، وبالمجهودات الصادقة التي تبذل"[23].

ولعلّنا لا نبتعد كثيراً عن موضوعنا، إذا حاولنا التعرّض **لأسباب التشتّت ومظاهره** حتى يمكن تجنّبها؛ إذ بعلاجها يتم التوحيد، وبذلك نخطو الخطوات الأولى نحو تيسير نشر المصطلح الموحّد وإشاعته، والاطمئنان إلى قبوله، وقد تتّبعها غير باحث؛ فالأخضر غزال[24] – مثلاً – يرى عوامل الارتباك في المصطلحات – بشكل عام – **في النزعة الإقليمية**، التي تلعب دوراً كبيراً في الخلط الاصطلاحي، **والتشتّت في وضع المصطلح، وإدخال كلمات عامية** في مجال المصطلحات العلمية حسب أهواء المؤلفين، من غير مراعاة للقواعد الصادرة عن مجامع اللغة العربية، ويرفض الأخضر غزال هذه الظاهرة لسببين ذكرهما في موضعهما[25]؛ بيد أن للحمزاوي[26] موقفاً مخالفاً لمذهب الأخضر غزال في القضية؛ فهو يرى أن بالإمكان الإفادة من العاميّ المشترك بين الأقطار العربية، لكنه مع ذلك لا يعدّ من الدعاة للعامية والأخذ بها واستخدامها بلا قيود.

بينما يدعو أبو سعد[27] إلى قبول المصطلحات العامّية مدّعياً أنها تغني الفصحى، وتسدّ نقصاً حاصلاً، لا سيّما إن كانت هذه الألفاظ العامية يمكن تهذيبها وتفصيحها، وردّ اعتبارها بإرجاعها إلى أصل فصيح؛ لأن استعمالها خير من السماح لألفاظ وتعابير أعجمية بدخول

قاموس استعمالنا ومصطلحاتنا. وأرى هذه الدعوة مقبولة معقولة، إنْ توافر شرط إمكان ردّ اللفظة العامية إلى أصل فصيح، كما ذكر صاحب هذه الدعوة.

ومن أسباب المشكلة أيضاً: النقص في المعاجم العربية بأنواعها المختلفة، والفراغات في المصطلحات العربية، والافتراض المباشر للكلمات الأجنبية، وبخاصة إن كان بلا قيود، واختلاف طرق الوضع للمصطلحات العربية، وعدم التنسيق أو الاتفاق على مبادىء التقييس والمراجعة، واتساع اللغة العربية وأقطارها، وخضوع الأقطار العربية في مراحل من تاريخها لأنظمة سيطرة أجنبية، والاجتهاد الشخصي والفرديّ بلا تنسيق، واختلاف مصادر الترجمة والأصول الثقافية للمترجمين في مجال المصطلحات، واختلاف لغات المصطلحات الأصلية الدولية التي تقوم بوضع مقابلات عربية لها[28].

ولعلّ من الأسباب التي أدّت إلى التشتّت وتجذيره – أيضاً – وجود المترادفات الكثيرة الدالّة على مفهوم واحد، ويمكن أن تعدّ المترادفات سبباً ومظهراً للتشتّت في آن واحد. وقريب من الترادف أيضاً ظاهرة المشترك اللفظي، إذ قد يطلقون مصطلحاً واحداً على عدد من المفاهيم ومقابل عدد من المصطلحات الأجنبية؛ بسبب عدم الوضوح والدقة، كإطلاق كلمة (ساحل أو شاطىء أو سِيف أو شطّ) بلا تفريق مقابل المصطلحات الأجنبية الآتية: COAST، SHORE، LITTORAL، وهذه – في لغاتها – ترمز إلى مفاهيم ثلاثة مختلفة[29].

أمّا أخطار مشكلة التشتت وعدم توحيد استخدام المصطلح فكثيرة، فالتشتّت يؤثر في التفكير العلمي العربي نفسه، فهو يعيقه عن استيعاب المفاهيم المستجدة، وعن الإبداع والتقدم ومجاراة العالم في بحوثه واستكشافاته. كما تعمّ الفوضى والاضطراب أعمالنا العلمية وتفكيرنا، بل قد يوقعنا تعدّد المصطلحات وعدم توحيدها في التناقض والخطأ أحياناً[30].

وأودّ أن أشير إلى ظاهرة الخلط الواقع في إطلاق المصطلحات المتعدّدة المترادفة لدى القدماء في تراثنا أيضاً، وما سبّبه من خطأ علميّ في ما بعد، في قضية نحوية لغوية. ففي بحث لنيل درجة الماجستير في جامعة اليرموك، بعنوان "ظاهرة الاستغناء في النحو العربي"[31]، تبيّن

للباحث أن القدماء أطلقوا مرادفات متعدّدة للدلالة على هذه الظاهرة، وهي: "الاستغناء، والاكتفاء، وسدّ المسدّ"، رغم أن الاستغناء يختلف في طبيعته وحكمه ومواضعه عن المصطلحين الآخرين، لكنّ القدماء خلطوا بين المصطلحات الثلاثة ومفاهيمها، وذكروا ما يمكن أن يكون استغناء تحت باب غيره، والعكس أيضاً. وهي ظاهرة تتكرر في تراثنا اللغوي على الأقل، كخلطهم – أحياناً – في إطلاق مصطلحات: الرفع والضم، والنصب والفتح مثلاً[32] وفي ظنيّ أن ما أوقع القدماء، وبعض المحدثين في ذلك أنهم اعتمدوا– أحياناً– الدلالية اللغوية في استخدام مصطلحاتهم، فعدّوا مصطلحاتهم كلمات عادية أو اسماء، ولم يفرّقوا بين هاتين وبين المصطلح، كما فرّق المصطلحيّون حديثاً، وأوضحناه في موضع سابق؛ ولم يتنبهوا بالتالي إلى العلاقة المنطقية القائمة بين المصطلح (الرمز اللغوي) ومفهومه.

وهذه الظاهرة التي أشرنا إليها (الاستغناء) أوقعت بعض المحدثين في الخلط، بل ربّما اشتطّوا في بحوثهم، فعدّوا هذه الظاهرة ضمن الحذف تارة، وضمن التعويض تارة أخرى، حتى أوصلهم ذلك إلى عدّها من قوانين التحويل اللغوية الحديثة التي توصّل إليها تشومسكي.

أقول: إزاء هذا الخلط والاضطراب، بل الخطأ البيّن أحياناً، لا بدّ من مراجعة المصطلحات التراثية أيضاً على هدي مبادىء علم المصطلح وتقييسه.

ومن أخطار، تشتّت المصطلح العربي وعدم توحيده، وعدم استخدام مصطلح واحد لكل مفهوم على مستوى أقطار الوطن العربي: إن الخدمات اللغوية في المنظمات التابعة للأمم المتحدة ستكون عاجزة عن خدمة العرب والعربية في المحافل الدولية كما ينبغي؛ لأنها تتعامل مع العربية بوصفها لغة واحدة موحّدة لهذه المجموعة الكبيرة من الدول، وهكذا يجب أن تكون، ولذا، فالمصطلحات المحلية أو المترادفة أو المختلفة أحياناً لا تساعد في تلك المجالات المشار إليها، بل قد تلحق الضرر بنا وبمصالحنا وبحضورنا الدولي. ولهذا فقد اهتمّت دائرة الخدمات اللغوية في الأمم المتحدة بتوحيد المصطلحات العربية في عدد من المجالات المختارة...؛ لاستخدامها في المؤتمرات والمحافل الدولية، خلال الترجمة الآلية أو الفورية. وهذا يدلّ على أن العلاقة وثيقة

بين مكانة العربية في الأمم المتحدة وفي العالم وقضية تنمية المصطلح العربي وتوحيده في الوطن العربي.

كما تشكو بعض المؤسسات التقنية والصناعية العالمية التي لها علاقات مع العالم العربي المستهلك، تشكو من عدم توحيد المصطلحات في الوطن العربي؛ لأنها تحرص على مخاطبة السوق العربي، وتريد مصطلحات موحّدة للاستخدام والتعامل؛ لأنها تستخدم الترجمات الآلية والفورية التي يهمّها المصطلح الموحّد، إذ يوقعها التشتّت في الخلط والاضطراب والخطأ.

ولعلّ **من أخطر نتائج هذه المشكلة؛** ما أشار إليه الأستاذ عمّار بن يوسف في بحثه "توحيد المصطلح القانوني والمالي في البلاد العربية"، حيث يقول: "والأصل في الأمر أنّ ما يوحّد بين أفراد قوم هو بالتحديد ما يتميّزون به عن الآخرين، فإذا ما ظهرت داخل نفس القوم (كذا) **فوارق لغوية واصطلاحية،** وإذا ما سار بها التاريخ إلى الترسّخ سياسياً واجتماعياً، فمعنى ذلك، أنّ القوم صائرون إلى التجزئة لا محالة"(33).

* * * *

بعد عرض هذه المشكلة ووصفها، وذكر أسبابها ومظاهرها، وأخطارها وآثارها السلبية، يحسن ذكر أهم سبل توحيد المصطلح العربي ونشره، وهي:

أوّلاً: دراسة وصفية ميدانية للمصطلحات المتعددة المترادفة على مستوى الاستخدام في الوطن العربي، وتطبيق مبادئ التقييس وشروط المصطلح المفضل عليها، إضافة إلى تسجيل نسبة شيوع كل منها (أي عدد المستخدمين له تقريباً)، وسنة بدء استخدامه – إن أمكن – ثم الموازنة بين هذه المصطلحات المترادفة المتعددة على أساس المعلومات المتوافرة؛ لاختيار المصطلح المفضّل على أسس علمية ولغوية واجتماعية دقيقة، ثم توثيقه، للتوصية باستخدامه ونشره والاقتصار عليه، أي بعد القيام بدراسة المشكلة دراسة وصفية أوّلاً، ثم تطبيق مبادىء التقييس عليها، واختيار المفضّل واستبعاد المستهجَن، وهي عملية معيارية فرْضية.

والتقييس ذو أهمية بالغة، لا بدّ منه في اختيار المصطلح الأفضل، ثم نشره وإشاعته وقد سبق أن تحدثنا عنه، وعن مبادئه بإيجاز، وله فوائد كثيرة ذكرها فيلبر (FELBER)، لعلّ من أهمها: تسهيل التعاون التقني بين الشعوب، ونقل عن فوستر (WÜSTER) قوله – وهو أحد الداعين إلى توحيد المصطلحات عالمياً –: "إنه يأسف كثيراً عندما يسمع أن العددين من الناس قد رفضوا – ومنذ سنوات طويلة – محاولات لتوحيد المصطلحات؛ متخذين شعاراً لهم بأنه لا يمكن توحيد المصطلحات، أو وضع مقاييس محدّدة لاستحداث مصطلحات جديدة[34].

ومن فوائد التقييس أنه يهدف إلى تحسين المصطلحات المستعملة وتوحيدها؛ ومن المقاييس المهمّة التي ذكرها الأخضر غزال[35] **المقاييس الدلالية**، وأراد بها تفضيل المصطلح الدقيق على المبهم أو الملبس، وتفضيل المصطلح الذي يوحي جذره بالمفهوم المقصود بصفة أوضح؛ وأوصى بتجنّب تعدّد دلالات المصطلح الواحد، وهو ما يعرف بالمشترك اللفظي. وذكر أيضاً المقاييس **الاجتماعية اللغوية**، وهي تقوم على الاستعمال؛ ففضّل اللفظة الرائجة الفصيحة على النادرة أو الغريبة، ودعا إلى تجنّب الكلمات الفصيحة التي تتّسم بطابع العيب بالنسبة للهجة العامية، أو قد يُحدث نطقها على طريقة النطق العامّي التباساً. ومن المقاييس الاجتماعية اللغوية جماليّة اللفظ، وخفّة وقعه وجَرْسه.

وممّا له صلة بالتقييس والمقاييس ضرورة إجراء دراسة ميدانية، وجمع استبانات على المصطلحات المترادفة المتعددّة على مستويين:

آ – مستوى الاستخدام العلمي الخاص بين المتخصصّين والعلماء، وفي البحوث والمؤلفات والترجمات.

ب – مستوى الاستخدام الشعبي العامّي العام في الوطن العربي؛ ثم محاولة معرفة نسبة شيوع كلّ منها على المستويين كلّ على حدة.

وبعد هذه الخطوة نجري دراسة تأثيلية (تأصيلية) وصوتية وصرفية ودلالية على هذه المصطلحات جميعها بمستوييها؛ لبيان الفروق اللغوية بينها، وتطبيق معايير التقييس العلمية والمنطقية واللغوية الدقيقة عليها؛ لمعرفة الأفضل موضوعياًَ، والتوصية باستخدامه بكل حزم

وصدق ومتابعة بعد توثيقه، مع جواز إبقاء مصطلح مرادف واحد مقبول لأسباب سبق ذكرها، وتنحية الباقي.

وفي حالة عدم الوصول إلى حلّ مُرضٍ باستخدام مصطلح واحد فقط، ووقف بقية المترادفات عن الاستعمال، وهذا يكون غالباً في مستوى الاستخدام العام الشعبيّ العاميّ، فلنتركها على حالها؛ فالزمن، والذوق العربي، وانتشار الثقافة، والوعي المصطلحي، وغير ذلك كفيل بإبقاء الأفضل والأنسب والتوجّه إليه، وهجر غيره وإقصائه. مع التحذير من أنّ التوحيد هذا "يجب ألاّ يكون مؤدّياً إلى تجميد اللغة والعلوم[36]. وجدير بالذكر والاهتمام أنْ نسجّل أنّ العناية بالمصطلحات العامة الشائعة على مستوى الاستخدام الشعبي أشد خطراً؛ لشيوعها وصعوبة مواجهتها أمام الزخم الجماهيري الجارف الذي لا يعرف معايير تقييس، ولا يستشعر خطورة الأمر وضرره. فقضية المصطلحات العامّة إذن تحتاج إلى يقظة ومتابعة، مع تذرّع بالصبر والتأنّي وطول النفَس، على أن نبادر بتطويق المصطلحات المستهجنة أو المرفوضة، وأن نقوم بالدعوة إلى المصطلح المفضّل وتزكيته، كلما سنحت الفرصة وبكل الوسائل المتاحة إعلامياً وثقافياً وجماهيرياً.

ثانياً: ينبغي معالجة قضية توحيد المصطلح، ونشر المصطلح المفضّل على ثلاثة مستويات:

1. **المستوى القطري:** إذ نجد تعدّداً في استخدام بعض المصطلحات بين أبناء القطر العربي الواحد لغير سبب.
2. **المستوى الإقليمي:** ونقصد به توحيد المصطلح على مستوى مجموعة من الأقطار العربية بينها تشابه أو تقارب مثلاً في الظروف اللغوية أو التاريخية أو الجغرافية، كأقطار المغرب العربي مثلاً، ثم على مستوى أقطار المشرق العربي، ثم على مستوى دول الجزيرة العربية مثلاً، إن كان ذلك مفيداً.
3. **المستوى القومي:** وهو توحيد استخدام المصطلح المفضل في جميع أقطار الوطن العربي.

وينبغي أن يكون التوحيد على هذه المستويات الثلاثة بعد الدراسة الوصفية الميدانية لواقع المصطلحات المستخدمة في كل قطر من الوطن العربي.

ومن الواجب أن يتمّ توحيد المصطلحات العربية وفق سياسة موحدة في الوضع والتقييس والاختيار متفق عليها، تلتزمها جميع القطار العربية، بعد أن تشارك هي نفسها في رسمها ومناقشتها وإقرارها، وتنفّذ هذه السياسة الموحّدة بعد دراسة طاقات اللغة العربية بتراثها العلمي المتنّوع، واللغويّ والأدبيّ، ومعاجمها اللغوية[37] لتسجيل ما قد يكون نافعاً في هذا المجال وتفريغه في الحاسوب تحت الطلب، أو جمعها في مدونّات معجمية، على أن يتم كل ذلك بمنهجية منظمة تضمن للعلم بالعربية وحدته الفكرية والثقافية، وعلى أن نحرص على البدء بالمفاهيم أوّلاً ودائماً؛ وينبغي أن تقوم هذه **المنهجية على أصول أشار إليها غير باحث**[38]، على اختلاف بينهم في التناول والشمول، وهي كلها يجب أن تتمّ بعد دراسة طاقة اللغة العربية دراسة تقوم على الوصف والتقويم (التقييم)، ولعلّ من أهمّ هذه الأصول:

آ – التنبّه إلى أنّ اللغة العربية الآن تأخذ ولا تعطي، وهذه مشكلة تفرض علينا متابعة كل ما يجدّ في العلوم والتقنية الحديثة في كل اللغات، وما يزيد المشكلة سوءاً هو تعدّد اللغات التي تأخذ عنها العربية، وهذا يعقدّ علينا طرق الوضع؛ إنْ بالتعريب واقتراض الدخيل، وإنْ بوضع مقابل عربي للمصطلح الأجنبي؛ وقد تَسْهل هذه المشكلة إن نحن بدأنا العملية الاصطلاحية بالمفاهيم – كما يجب – وبذلك لا نتقيّد كثيراً بالمصطلحات الأجنبية أياً كانت لغاتها.

ب – ومن الأصول أيضاً العناية بالترجمة وقواعدها، ورسم خطة قومية واحدة تبيّن النظام الذي يجب أن نلتزمه في ترجمة المصطلحات الأجنبية.

ج – ينبغي وضع قواعد موحدّة نلتزمها عن التعريب أيضاً (أي نقل المصطلح الأجنبي إلى العربية بعد تعريب صيغته وأصواته).

د – ومن أصول المنهجية الموحّدة التي نسعى إليها النظر إلى لغة العلم والمصطلحات نظرة تربط بينها وبين العقل والمنطق، وأن ننأى بها عن الحشو والابتذال والخلط، معتمدين الدقة والوضوح وعدم الترادف أو الاشتراك اللفظي.

هـ – ومن أصول المنهج الموحّد أيضاً: الاتفاق على طرق الوضع اللغوية للمصطلحات، ومتى نستخدم هذه أو تلك، وما شروط كلّ ومواصفاتها، حتى يكون عمل اللجان المختصّة موحداً متوائماً، يسهّل جمع منظومات مصطلحية تجمع بينها علاقات مفهومية أوّلاً، وعلاقات لغوية؛ في الجذر، أو الصيغة، أو الاشتقاق، أو المجاز أو النحت، أو الاقتراض، أو غير ذلك، وفق شروط تراعى في كل طريقة[39]، وبذلك تقابل كل منظومة مصطلحية منظومة مفاهيم ترتبط بعلاقات وخصائص واحدة أو متقاربة.

و – ومن الأصول التي يجب مراعاتها في المنهج تطبيق مذهب لغوي واحد تطبيقاً صارماً، كأن يلزم خطّ مدرسة لغوية واحدة مثلاً[40] في مجال التعريب المصطلحي أو البحث اللغوي، لا نحيد عنه، حتى نضمن وحدة النتائج بعد أن اتّحدت المقدّمات والوسائل.

ز – ويتبع أصول المنهجية الموحّدة أيضاً تثبيت اختصاصات كل صيغة من الصيغ العربية بمجموعة معينة من المفاهيم ذات صلة وعلاقة مشتركة[41].

ثالثاً: ومن سبل نشر المصطلح الموحّد تشجيع التأليف والإبداع والإنتاج العلميّ العربي ودعمه؛ لايجاد نظريات علمية عربية بمصطلحات عربية أصيلة، لا نحتاج إلى مراجعتها – في معظم الأحيان – أو إلى تعريبها كالأجنبية. ويتبع ذلك أيضاً تعريب التعليم الجامعي والعام، أي جعل العلم عربياً، وتوحيد مناهجه وموادّه وكتبه، وأنظمة الإدارة والتبادل والاقتصاد، ومناحي الحياة والفكر الأخرى وهذا سيأتي – إن شاء الله – ولو على مراحل. وحبّذا لو أمكن توحيد جهات تشجيع التأليف والإبداع والإنتاج العلمي في الوطن العربي.

وجدير بالذكر أنّ الجهود والمبادرات الفردية في مجال وضع المصطلحات وتعريبها أمريدّل على الوعي والغيرة والإخلاص، وهو مجهود ابتكاريّ يشكر أصحابه عليه، لكنّ له أثراً سلبياً مضادّاً، يجدر التنبّه له والتنبيه عليه، وهو أنّه "أمر لا يخدم التوحيد بل يهلكه"[42] وحتى نحقق الفائدة من هذه الجهود الفردية، يجب ربط هذه الجهود بالهيئات القطرية والقومية المعنيّة، حتى يتمّ التنسيق والتقييس والتوثيق، والتوصية بنشر المصطلح المقترح واستخدامه.

رابعاً: ومن السبل والوسائل أيضاً: أن لا نترك المجال للعامة لوضع مصطلحات اعتباطية، وربّما عامية، وعلى مسئوليتها من غير عناية أو معرفة بمفهوم أو مصطلح، أو منظومات مفهومية أو مصطلحية؛ فإن وضعوا شيئاً من المصطلحات صعبت مقاومته ووقف انتشاره، وتلجأ العامّة – عادة – إلى ذلك؛ إذا تلكّأت الهيئات المختصّة المصطلحية في وضع مصطلح لأيّ مفهوم بالسرعة الممكنة؛ لأن العامّة ستضع آنذالك تحت ضغط الحاجة إلى التعبير عن المفاهيم التي تستحدث، ولو بمصطلحات سقيمة، أو عدد من المصطلحات المتعدّدة.

خامساً: ومن وسائل نشر المصطلح وإشاعته بعد توحيده والاتفاق عليه: إن تبادر الدول العربية – بعد قناعتها بأن للمصطلح والتقييس أمرين لهما خطر وشأن عظيمان في خطط التنمية القطرية والقومية: أن تبادر كل دولة إلى الالتزام بجانب من المفاهيم في أحد فروع العلم والتقنية، بعد التنسيق والاتّفاق مع شقيقاتها، وتتولّى تعريب مصطلحات هذه المفاهيم كلها، مع استمرار التشاور والتنسيق بينها؛ ثم عرض هذه المصطلحات على اجتماعات عمل مكثّفة عامّة ومشتركة؛ لدراستها ومناقشتها وتقييسها وإقرارها، ثم التوصية باستخدامها وتعميمها قوميّاً ومتابعة ذلك والتزامه بصدق وإخلاص.

سادساً: ومن سبل نشر المصطلح الموحّد أيضاً: إنشاء بنك معرفي عربيّ واحد للمفاهيم وتعريفاتها ومصطلحاتها، وإنشاء شبكات له في جميع الدول العربية؛ لتخدم التوجّه التوحيديّ في هذا المجال، مع إمكان الاستعانة الواسعة والحثيثة بالـ (إنفوتيرم) – المنظمة العالمية للمصطلح –

والمؤسسات العالمية الأخرى المختصّة، واستغلال وسائل الاتصالات المعرفية المتطورّة، وشبكات المصطلح والمفاهيم العالمية، وطلب الخبرات والتدريب، كلما كان ذلك لازماً[43].

سابعاً: ومن وسائل توحيد المصطلح ونشره أيضاً: نشر الوعي المصطلحي والثقافة المصطلحية، ببيان أهمية المصطلح وتعريبه، وطرق وضعه، وتدريب لغويين ومتخصصين في هذا المجال، وتدريس مساقات ومقرّرات في الجامعات في الأقسام المختلفة، كلٌّ حسب اختصاصه وحاجة طلاّبه، والمبادرة بفتح مركز خاصّ (أو معهد) لتدريس علم المصطلح، يمنح الشهادات العلمية المتخصصة، وتعقد فيه الدورات التدريبية اللازمة، وتُجرى فيه البحوث المصطلحية النظرية والعملية التطبيقية، وتقدم فيه الأطروحات العلمية لنيل الشهادات العليا؛ والْ (إنفوتيرم) والمراكز المثيلة في العالم على استعداد للإسهام والمساعدة في هذا المشروع القوميّ العلمي الجليل، إضافة إلى مؤسسات أخرى اقتصادية وتقنية وعلمية وصناعية عالمية، لها اهتمام بالموضوع، بتعريب المصطلح وتوحيده وإشاعة استخدامه لمصالح خاصة متنوعة؛ وليكن هذا المركز في إحدى الدول العربية، مستقلاً أو تابعاً لإحدى الجامعات العربية، على أن يكون ذا صبغة عربية قومية مشتركة.

ثامناً: ومن السبل أيضاً: تكوين لجان وطنية محلية متخصصّة للعمل المصطلحي في جميع الدول العربية[44]، تنبثق عنها مجموعات عمل على غرار (لجنة نورمان للمصطلح) (NAT) في ألمانيا مثلاً، ومجموعات العمل المنبثقة عنها[45]؛ على أن يكون التنسيق عالياً بين هذه اللجان الوطنية المحلية على المستوى القومي العربي.

ويدعم ذلك تشكيل هيئة عربية واحدة قومية مشتركة من جميع الدول العربية، تحظى بدعم كامل من الحكومات العربية كلها، تتولّى مهمّة التنسيق بين اللجان الوطنية المحلية، ولتكن هذه الهيئة أحد المجامع اللغوية مثلاً، شريطة دعمه ودعم قراراته في هذا الشأن – على الأقل – واعتبارها ملزمة، وتعميمها على جميع الدول العربية للتنفيذ والمتابعة.

وما يتوّج هذه التوجّهات والسبل كلها ويسندها، هو قناعة السلطة (الحكومة) في كل بلد عربي بأهمية التخطيط المصطلحيّ وأثره في خطط التنمية، وأن تكون مستعدّة للدعم ماليّاً ومعنوياً، وأن تساند التوجهات كلها في هذا المجال، وتتولّى مهمة التعميم والمتابعة والأمر بالتنفيذ، كلّ في بلدها، وتتولّى محاسبة الجهات المخالفة المختلفة وتوجيهها؛ وبذلك نضمن السلطة الإلزامية للمصطلح الموحدّ، ونضمن أوسع انتشار ممكن له، مع كون هذه المصطلحات المنبثقة عن اللجان المتخصّة مقيّسة وفق أدقّ المبادىء والمعايير العلمية والفنية واللغوية.

* * * *

وعلى المستوى التطبيقي العملي؛ يقترح الباحث خطّة عمل متأنية ممكنة للتعامل مع المفاهيم المختلفة، ووضع المصطلحات المناسبة الموحّدة ونشرها، وهو يراها على النحو الآتي:

تشكيل اللجان الفنية المختصة الوطنية والقومية، والقيام بدراسة ميدانية وصفية على إمكانات اللغة وقدراتها، وحال المصطلحات العربية، ثم نتناول المصطلحات والمفاهيم المشكلة التي تحتاج إلى معالجة؛ من تعريب أو تقييس أو توحيد أو توثيق أو نشر، مشدّداً على أن **يكون بدء العملية كلها دائماً بالمفاهيم**، والعناية بها، ودراستها، ودراسة **تعريفاتها**، أو وضع هذه التعريفات – إن لم توضع بعد – مع الإيضاحات اللازمة، وفهم هذه التعريفات جيداً بالاستعانة بمن يلزم من المختصين محليّاً أو عالمياً.

يتوقّع بعد التعامل مع هذه المفاهيم، أنها ستكون – من حيث مصطلحاتها ومعالجاتها – على أنواع ثلاثة، هي:

أوّلاً: مفاهيم وصلت إلينا، وموادّها معروفة لنا وشائعة، وهي على قسمين:

1. مفاهيم لها مصطلحات عربية، وهذه على قسمين أيضاً، من حيث عدد المصطلحات الموضوعة الدالة عليها، وهما:

آ – مفاهيم لها مصطلح عربي واحد: وهذا المصطلح شائع معروف مألوف، لدى العامة والخاصة، وهو إما أن يكون معرّباً، وإما أن يكون دخيلاً، وإمّا أن يكون عربياً فصيحاً، وإما إن يكون عربياً عامياً.

وهذا المصطلح الواحد – أيّاً كان نوعه – يجب أن يُقيّس وفق مبادىء التقييس المقرّرة، وأن تطبق عليه شروط المصطلح المقبول المفضّل، التي تحددها اللجان الفنية المختصّة، فإن كان موافقاً لتلك الشروط أُقرّ وأُبقي على حاله واستخدامه، ووثّق، وأُسهم في نشره؛ وإلاّ، قامت اللجان بوضع مصطلح بديل مقبول، أو اتخذت موقفاً مقبولاً مشتركاً بشأنه، كأنْ تهذّبه أو تفصّحه مثلاً إن كان الأمر ممكناً.

ب – مفاهيم لها عدد من المصطلحات العربية أو المعرّبة المترادفة: وهذه المصطلحات المترادفة تحتاج إلى تقييس كلّ على حِدة، وإلى علاج، حسبما اقترح في موضع سابق من هذا البحث؛ للتخلّص من المترادفات، وإبقاء مصطلح مفضّل مقيّس، والعمل على نشره وإشاعته.

2. مفاهيم ليس لها مصطلحات شائعة معروفة بعد، مثل فيديو، وغيره؛ وهذا النوع من المفاهيم ينبغي الإسراع في معالجته، بعرضها على اللجان العلمية والفنية المختصّة؛ لوضع مصطلح عربي واحد لكل منها، وفق المقاييس والمعايير المرعيّة، وتوثيقه، ثم طرحه للاستخدام، ومتابعة رعايته، والحثّ على استخدامه ونشره، ويكون ذلك في البداية بين المثقفّين والخاصة، وعلى مستوى البحث العلمي والتعليم.

ثانياً: مفاهيم اسُتحدثت في الخارج، أو ستُستحدث، ولم تصل إلينا موادّها أو مفاهيمها بعد؛ وهذه على نوعين أيضاً:

1. مفاهيم لأشياء محسوسة مادّية، وهذه حالها أيسر في المعالجة من النوع المعنويّ؛ وتقترح الخطّة أن نطلب من ملحقينا التجاريين أو الثقافيين، أو من سفاراتنا في الخارج بمتابعة هذه المستحدثات أوّلاً بأوّل، وأن يجمعوا معلومات (تكون تعريفات لها أو كالتعريفات)، ومصورات

وإيضاحات وافية واضحة دقيقة عنها، وعن صفاتها الحقيقية وصفاتها غير الحقيقية[46]، تساعد اللجان المختصّة العربية القومية المشتركة في فهمها وتمثُّلها للمفهوم، لتسهيل مهمتّها في وضع مصطلح مقبول له، استعداداً لدخولها إلى البلاد العربية في وقت لاحق، حتى إذا ما دخلت هذه المفاهيم، أو أراد أحد إدخالها واستيرادها، ألزم باستخدام مصطلحها العربي المقترح لها في المراسلات، والدعايات، والعرض في المحلات التجارية، والتسويق، وبذلك نضمن للمصطلح المقترح التوحّد والنشر والإشاعة.

2. مفاهيم نظرية معنوية مجردّة، كما في مجال العلوم البحتة؛ وهذه يمكن معالجتها بالاستعانة بعلمائنا المتخصصين – كلٌّ في حقله – أو بعلماء من الخارج، وقد نستعين ببنوك المعرفة الدولية والعالمية المعنيّة، والمؤسسات ذات العلاقة؛ لشرح هذه المفاهيم وتعريفها وتوضيحها للّجان الفنية المختصّة، التي ستتولّى بعد ذلك اقتراح مصطلحات عربية واحدة مشتركة وتوثيقها، ثم تنشرها على المؤسسات العربية العلمية، والأشخاص ذوي العلاقة؛ لاستخدامها في بحوثهم وتدريسهم وأنشطتهم المختلفة. وهذه المفاهيم بنوعيها المحسوسة والمجرّدة (المعنوية) يجب التنبّه إلى ضرورة العناية بشأنها، والإسراع بمعالجتها قبل الأنواع الأخرى؛ لئلا نترك المجال للعامة وغير المتخصصين – أو المتخصصين – أن يضعوا مصطلحات اعتباطية لها، أو أن يستخدموا مصطلحاتها الأجنبية، ويشيعوا استخدامها في حالة وصولها إليهم، أو اطّلاعهم عليها، قبل إنجاز مصطلحات عربية أو معرّبة مقيّسة لها؛ وبذلك تتعقّد المشكلة علينا في علاج توحيدها، ونشر المصطلح الموحّد بعد ذلك.

ثالثاً: مفاهيم سنكتشفها نحن وعلماؤنا في بحوثنا العلمية الخاصة، وهذه مشكلتها بسيطة – كما يرى البحث – وتتلخّص بأن يقوم الباحث المتخصّص نفسه، أو بمساعدة اللجان الوطنية أو القومية المختصة باقتراح مصطلح دالّ على مكتشفاته، وتكون هذه المصطلحات مقيّسة حسب الأصول، لها صلة بمنظومة المصطلحات الدالّة على منظومة المفاهيم ذات العلاقة والصلة

بالمفهوم المكتشف الجديد، ويوثّق هذا المفهوم وتعريفه ومصطلحه، ويسجّل باسم مكتشفه، وينشر على الملأ للاستخدام بلا عقبات أو مشكلات.

آملاً أن تحظى هذه الخطة بالاهتمام والدراسة وأن ترى النور، وأن تجد طريقاً وفرصة للتطبيق، لعلّها تكون خطوة عملية في مواجهة هذه المشكلة العلمية الحضارية القومية.

حواشي البحث

1. الشريف الجرجاني بتصرّف، والمعجم الوسيط (اصطلاح).
2. انظر في ذلك سلسلة مقالات: للمهيري، والجنحاني، ودوشق
3. أبو سعد 16، نقلاً عن إسماعيل مظهر في تقديمه لكتاب "مقدمة لدرس لغة العرب" للعلايلي، صفحة (هـ) وانظر شهادات عدد من المستشرقين على قدرة اللغة العربية وخصائصها، (بلاشير، وماسينيون، ولوسيل) في مقالة "دور اللغة في تماسك شخصية الأمة" للحبيب المخّ، في كتاب "دراسات في اللغة والحضارة" ص 35، 36.
4. فيلبر (FELBER) Standardization of Terminology فينا، 1985، ص 17. "ولعل أغنى الأدبيّات التي كتبت في علم المصطلح النظري والتطبيقي حتى الآن، وفي التقييس والتخطيط والتوثيق المصطلحي، وكلّ ما يتعلق بالمصطلح، لعلها جاءت في كتابات فيلبر، وهو الرئيس السابق لمنظمة "INFOTERM" في فينا بالنمسا.
5. نفسه 13. وانظر: PALMER: كتاب "SEMANTICS" ص14.
6. الطعّاني 76 (بتصرّف) نقلاً عن وورف (WORF).
7. المصدران السابقان في 5 فيلبر 17، وبالمر 17، 24، 32.
8. الحمزاوي 106.
9. فيلبر بتصرف 15 (1985).
10. ريغ (RAIG) 08.
11. فيلبر (1985) 3.2 (بتصرّف)
12. نفسه 22.
13. نفسه 23.
14. فيلبر: "Guidelines on National Terminology- Plannning Policy" فينا 1986، ص 45، 47، 49، والقاسمي 17 وما بعدها.
15. فيلبر (1986) 51، 52.
16. فيلبر (1985) ص 5 نقلاً عن فوستر (Wüster) وهو أحد روّاد علم المصطلح النظري.
17. الأخضر غزال 24، 26.
18. الحمزاوي 85.
19. فريحات 55 نقلاً عن فيلبر وفوستر.
20. هليّل 5 وما بعدها إلى 18.

21. مظهر 11، 65 وما بعدها، وعيد 137 وما بعدها، والكرمي 272، 280، وهليّل 10 وما بعدها.
22. الحمزاوي 89: نقلاً عن مقالة "توحيد المصطلحات في البلاد العربية"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق 157/11 ـ 161.
23. الأخضر غزال 39.
24. نقسه 26.
25. نفسه 27.
26. الحمزاوي 109، وأنا لا أقرأ هذا التوجّه، رغم انزانه.
27. أبو سعد 10، 11 (بتصرف).
28. الأخضر غزال 19، 26 ـ 38، وعمّار بن يوسف 4، 5، هليّل 4 ـ 5، 21. وفريحات 58، 59،
29. الأخضر غزال 25، 26، وقد أراد أمثلة أخرى على المشترك اللفظي، الذي يؤدي إلى الخلط والاضطراب.
30. الحمزاوي 85.
31. رسالة ماجستير بإشرافي للسيد د. عبد الله بابعير. وقد تصدى الباحث – بوعي – لهذا الخلط بالحجج والأدلّة، فاستقصى الفروق الدقيقة بين هذه المصطلحات، والمسوّغات التي دفعته إلى الاقتصار على مصطلح واحد، وهو "الاستغناء".
32. سيبوية 182/2، 183، 228،
33. عمّار بن يوسف 3.
34. فيلبر (1985) 6.5
35. الأخضر غزال 60.
36. الحمزاوي 86.
37. الأخضر غزال 48، 52، 53، خليفة/ مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج (4.3) ص 18.5.
38. انظر مثلاً: الأخضر غزال 47 وما بعدها، والحمزاوي 97 وما بعدها، وعمّار بن يوسف 7، 11، 13، وهليّل 5 وما بعدها، وغيرهم.
39. هليّل 10، 24. وأبو سعد 77. 78.
40. الأخضر غزال 48. وهليل7.
41. الحمزاوي 111.
42. عمّار بن يوسف 8.
43. فيلبر (1986) 46، 45. وفريحات 56، 59.

44. قد شُكلّت لجنة وطنية للعمل المصطلحي في الأردن عام 1987م، وانبثقت عن وزارة التجارة والصناعة الأردنية؛ ولكنها لم تَرَ النور عملياً؛ لإحالة مدير الدائرة المعنّية بعد ذلك بمدة قصيرة على التقاعد، وربّما لأمور أخرى أيضاً لا نعرفها.
45. فيلبر (1985) 12.
46. نفسه 13، 14.

مناهل البحث ومراجعه

. أبو سعد/ أحمد (قاموس المصطلحات والتعابير الشعبية)، مكتبة لبنان، ط1، بيروت 1987.
. الأخضر غزال/أحمد (المنهجية العامّة للتعريب المواكب)، يناير 1977، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط . المغرب.
. بابعير/عبد الله: (ظاهرة الاستغناء في النحو العربي) رسالة ماجستير مخطوطة . قسم اللغة العربية . جامعة اليرموك 1993.
. بالمر F.R (Palmer): (SEMANTICS) Cambridge University Press, 2nd Ed 1981.
. الجنحاني/د. الحبيب (العربية والتيارات الفكرية المعاصرة) مقالة في كتاب "تنمية اللغة العربية في العصر الحديث"، منشورات وزراة الثقافة/ تونس 1987.
. الحبيب المخ (دور اللغة في تماسك شخصية الأمة) مقالة في كتاب "دراسات في اللغة والحضارة"، وزارة الشؤون الثقافية/ تونس، 1975.
. الحمزاوي/د. محمد رشاد: (العربية والحداثة . أو الفصاحة فصاحات)، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس 1982.
. خليفة/د. عبد الكريم (دور التراث العلمي في تعريب العلوم والتقنيات) مقالة في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج (4.3)، عمان 1979.
. دوشق: د. مفيق (دور اللغات القومية في الدراسات العليا والبحث العلمي) بحث في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عدد 27 كانون الثاني/حزيران1985، عمان/ الأردن.
. ريغ (RAIG)/د. دانيال: (من الألفاظ إلى المعاني والعكس) بحث مقدم إلى ندوة المعجم العربي التاريخي . تونس 14، 17 نوفمبر 1989.
. سيبوية: (الكتاب)، تحقيق عبد السلام هارون، ج 2، ط 3، عالم الكتب . بيروت، 1403هـ 1983م.
. الشريف الجرجاني (التعريفات) المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.
. الطعاني/يوسف: (اللغة كأيديولوجيا) مقالة في مجلة الفكر العربي المعاصر، ك2/شباط1991.

. عمّار بن يوسف: (توحيد المصطلح القانوني والمالي في البلدان العربية) بحث مقدم إلى ندوة "التقييس والتوحيد المصطلحيان في النظرية والتطبيق"، تونس 1989م.

. عيد/د. محمد: (المظاهر الطارئة على الفصحى، عالم الكتب . القاهرة، 1981).

. فريحات/غالب: The Structure of Contemporary Scientific Terminology in Arabic، رسالة ما جستير (مخطوطة) مركز اللغات/ جامعة اليرموك 1989.

. فيلبر (Helmut Felber): (Standardizaton in Terminology) فينّا 1985 و (Guidelines on National Terminology, Planning Policy) فينا 1986.

. القاسمي/د. علي (مقدمة في علم المصطلح) وزارة الثقافة . المكتبة الثقافية/ بغداد.

. الكرمي/د. حسن: (المعجم العربي والتعريب) "الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني، عمّان 1983م.

. مجمع اللغة العربية بالقاهرة (المعجم الوسيط) ط 1963.

. مظهر/ اسماعيل(تجديد العربية)، مكتبة النهضة المصرية، 1955.

. المهيري/د. عبد القادر: (من قضايا العربية في عصرنا) مقالة في مجلة المعجمية العربية بتونس العدد 1، تونس 1405هـ، 1985م.

. ناصف/علي النجدي: (من قضايا اللغة والنحو) 1955م، القاهرة.

. هليّل/د. محمد حلمي: (خطوات نحو تقييس المصطلح اللساني في الوطن العربي)، بحث مقدّم إلى الندوة "التقييس والتوحيد المصطلحيان في النظرية والتطبيق" تونس 13، 17 مارس 1989م.

التفاعل بين الإنسان والآلة في الترجمة الحاسوبية

أ.د. سلمان داود الواسطي
كلية الآداب . الجامعة المستنصرية

1. الإنسانُ مُترَجِماً

سأجعل من مقطع ورد في بحث لي حول "ترجمة النص الشعري" مدخلاً لدراستي هذه حول "التفاعل بين الإنسان والآلة في الترجمة الحاسوبية"، ذلك لأن في هذا المقطع تحليلاً لطبيعة الترجمة عموماً، أظن أنه ما يزال صالحاً كتمهيد للموضوع. قلت في المقطع:

الظاهرة الترجمية وليد شرعي للظاهرة اللغوية لدى البشر؛ فما أن تفرّق البشر، شعوباً وقبائل"، وتطورّت لديهم الظاهرة اللغوية ألسُناً مختلفة حتى برزت الحاجة إلى الترجمة لتحقق بين الناطقين بلغات مختلفة ما تحققه اللغة الواحدة بين الناطقين بها من وظائف توصيل الأفكار والمشاعر والرغبات، ولتحقق التفاهم الذي هو الوظيفة العليا للغة.

لكن كغاية الترجمة ما كانت يوماً، ولن تكون أبداً، كغاية مطلقة، فالترجمة لا يمكنها أن تنجح في التعامل مع كل الوظائف التي طوّرتها اللغات عن وظيفتها الأساسية في "إبلاغ" أو "توصيل" الرسالة (message) من المرسِل (sender) إلى المرسَل إليه أو المتلقي (receiver).

وإذا كانت الرسالة في اللغة الواحدة لا تسلم، كما نعلم من خلل في التوصيل بسبب الخلط أو الإبهام أو التشويش لعلّه في طرفٍ أو أكثر من أطراف الحدث اللغوي مما يقتضي ممارسة

شكل من أشكال "الترجمة الداخلية" توضيحاً وتفسيراً أو إعادة صياغة. فإن الحدث الترجمي بين اللغات المختلفة يكون أكثر عرضة للخلل، ذلك لأنه يتضمن في آن واحد ضعف ما يتضمنه الحدث اللغوي في اللغة الواحدة من أطراف وفعاليات، إذ يتحتّم على المترجم أن يكون متلقياً ومُرْسِلاً في الوقت نفسه، ويتحتّم عليه أن يدير، بسيطرة يُفترض أن تكون كاملة. نظامين مختلفين من الترميز اللغوي، فيفكّ، بمساعدة النظام الأول، رموز الرسالة في صيغتها الأولى، أي في لغة المصدر SL (Source longuage) ويُعيد، بمساعدة النظام الثاني، تركيبها رموزاً جديدة، ثم يبثّها مجدداً، كتابة أو كلاماً، بما يُفترض أن يضمن لها كمال الإبلاغ وحسن التلقي، أي الفهم الكامل لها من لدن من تتوجه إليهم بوعائها اللغوي الجديد، أي في لغة الهدف (Target Language) TL.

وهنا نطرح سؤالاً لابدّ من طرحه حول مديات الكفاية وحدود القصور ودرجة الثقة التي يمكننا أن نمنحها النص المترجم.

الإجابة عن هذا السؤال تتطلب معرفة هدف الرسالة أولاً، وطبيعة اللغة المستخدمة فيها ثانياً. فإذا كان الهدف مجرّد توصيل الحقائق (facts) أو المعلومات (information) خلال لغة محايدة أو شفّافة (transparent) لا تثير الانتباه لذاتها ولا تستهدف سوى وظيفتها التوصيلية (communicative function)، أي عندما تكون مفرداتها أحادية المرجع لا تشير فيها الدوال (signifiers) إلاّ إلى مدلولات محددة (signified) أو (referents) لا يُبتغى منها غير توصيل مراجعها إلى المتلقي مجرّدة عن إي ظلال إيحائية أو قيم انفعالية (emotive connotations)، إذا كان ذلك هو هدف الرسالة، وكانت تلك هي طبيعة اللغة المستخدمة فيها، فإن مدى كفاية الترجمة يكون واسعاً، وتكون مهمة المترجم يسيرة لا تكلّفه كبير عناء.

لكن الترجمة تغدو مغامرة تحفّ بها المصاعب من كل صوب ويهددها سوء الفهم (misunderstanding) عندما تتجاوز اللغة في النص المقدّم للترجمة وظيفتها النفعية (pragmatic function) لتؤدي وظيفة فنيّة أو انفعاليّة (artistic or emotive function) تنفتح فيه الدوال، أي

المفردات اللغوية، على عالم واسع من الإيحاءات والإيماءات والتداعيات، وتجلب لنفسها، أي لأصواتها ومفرداتها وحتى تراكيبها النحوية، من الانتباه ما يفوق أحياناً الانتباه الذي تتطلبه مدلولاتها ومراجعها.

جلبُ الانتباه إلى الذات هو ما تفعله اللغة في النص الأدبي عموماً، لكنها تُمْعِنُ فيه من النص الشعري خاصة، مما دفع بعضهم إلى القول باستحالة ترجمة الشعر دون تضحيات كبيرة في موسيقاه وصورة ومجازاته وإيماءاته الانفعالية.

في الفقرات السابقة تم استخدام مصطلحي "لغة" و"ترجمة" مُجَرّدَيْنِ عن أي وصف أو تحديد، ليشيرا إلى مدلوليهما أو معنييهما الشائعين: فمصطلح "لغة" يشير إلى ما أخذنا ندعوه "اللغة الطبيعية" بعد أن تطورّ "علم العلامات" أو "العلاماتية" (Semioties) الذي يدرس الجوانب الفلسفية والنفسية والاجتماعية لأنظمة العلامات (sign systems) على اختلاف أنواعها ومصادرها بوصفها رموزاً تواصلية، وتُعدُّ اللغة البشرية الطبيعية واحداً من هذه الأنظمة، بالرغم من إعترافه بأن النظام اللغوي لدى البشر هو الأرقى والأكثر تعقيداً، مقارناً بأي نظام علاماتي آخر أو بأية لغة اصطناعية أخرى. أما مصطلح "ترجمة" فيشير إلى الترجمة بمعناها القديم والشائع أي إلى ما ينبغي أن ندعوه الآن "الترجمة البشرية" بعد أن ظهر أسلوب جديد في الترجمة هو "الترجمة الآلية". لقد أشرنا إلى ما يرافق الترجمة البشرية من مقيدات على كفايتها وشكوك في دقتها بالرغم من أن القائم بها بشر يتمتع بما يتمتع به البشر عادة من ذكاء ومقدرة على التفكير والفهم والإفهام.

نتساءل الآن: كيف هي الحال إذا كان من يقوم بالترجمة آلة؟ ما مدى كفاية الآلة في نقل الرسائل من لغة طبيعية إلى لغة طبيعية أخرى؟ ما هي ميّزات الالة على البشر، وما هي المعوقّات التي تجعلها، باعتراف الجميع، دون البشر؟ ما هي إمكانات وفوائد التفاعل أو التعاون بين الإنسان والالة لانتاج الترجمة بين اللغات الطبيعية؟

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة، لا بد لنا أن نشير إلى التطورات التي مرّت بها أنواع الترجمة وطرائقها وأساليب إنجازها عبر تاريخها الطويل، وإلى التطورات السريعة المذهلة في أساليب الانجاز خلال النصف الثاني من القرن العشرين خاصة.

فمن حيث **الأنواع**، هناك الترجمة التحريرية والترجمة الشفاهية والترجمة العامة والترجمة التخصصية، وما يتفرع عن هذه كلها من أنواع كثيرة لا يهمنا هنا التوسعُ فيها.

ومن حيث **الطرائق**، لم يحدث أيّ تطوّر في "الطريقتين" اللتين نقلهما بهاء الدين العاملي (1547 – 1626م) في كتابه ***الكشكول*** عن صلاح الدين خليل الصفدي (1296 . 1362م).

قال الصفدي:

> وللتراجمة في النقل طريقان: أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي وغيرهما، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه، وهذه الطريقة رديئة لوجهين: أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية، ولهذا وقع في خلال التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها. الثاني، أن خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطالب نظيرها من لغة إلى أخرى دائماً. وأيضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات.
>
> الطريق الثاني في التعريب طريق حُنين بن اسحق والجوهري وغيرهما، وهو أن يأتي الجملة فَيُحَصِّلُ معناها في ذهنه ويعبّرُ عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سَواءٌ ساوت الألفاظُ الألفاظَ أم خالفتها. وهذا الطريق أجود.

الطريق أو الطريقة الأولى في الترجمة هي الطريقة المعروفة باسم "الترجمة الحرفية"، وسنطلق عليها هنا تسمية "ترجمة الترادف المعجمي"، أما الطريقة الثانية فسنطلق عليها تسمية "ترجمة التكافؤ المعنوي" أو "ترجمة التطابق المعنوي" بتعبير الصفدي.

إن أكثر التطورات تنوعاً وتسارعاً قد حصلت في **أساليب إنجاز الترجمة**، فبعد أن كانت مفردتا "مترجم" و "ترجمة" تشيران إلى الإنسان وإنجازه في هذا الحقل، دخلت الآلة لتقدم العون إلى الإنسان في الترجمة أو لتطلب معاونته في إنجازها، مما أوجد، في الوقت الحاضر، أربع وسائل أو أربعة أساليب في الترجمة هي:

1.	Human Translation	H.T.	1. الترجمة البشرية[1]
2.	Machine Translation	M.T.	2. الترجمة الآلية[2]
3.	Machine-Aided Human Translation	M.A.H.T	3. الترجمة البشرية بمساعدة الآلة
4.	Human- Aided Machine Translation	H.A.M.T	4. الترجمة الآلية بمساعدة البشر

2. الآلَةُ مُتَرْجِمَةً

عددنا أربعة أساليب للترجمة، وهما، في واقع الأمر، أسلوبان فقط: الترجمة البشرية والترجمة الآلية. ولكن عندما يستعين المترجم الإنسان بالآلة لتسهيل أو تسريع عمله، تتحصّلُ لدينا "الترجمة البشرية بمساعدة الآلة". وعندما يقوم المترجم الإنسان بمراجعة النص الذي تترجمه الآلة وتصحيحه، تتحصّل لدينا "الترجمة الآلية بمساعدة البشر".

إن الترجمة الآلية الصِرفة أو الخالصة هي ترجمة من لغة طبيعية إلى لغة طبيعية أخرى يقوم بها آلياً (automatically)، أي بدون تدخل الإنسان، الحاسوب الالكتروني بعد تغذيته بالقواميس والبرامج التي تضم قواعد تحلل النص الأصلي في اللغة المصدر صرفياً ونحوياً ودلالياً وتضم قواعد أخرى تعيد تركيبه نصاً جديداً في اللغة الهدف.

---

[1] استخدمت مفردة "بشر" واشتقاقاتها لوصف الترجمة التي يقوم بها الإنسان لضيق الحقل الدلالي، نسبياً، لمفردة "بشر" مقارنة بمفردة "إنسان" ذات الحقل الدلالي الواسع في مجالات الفلسفة والأخلاق والسلوك والفنون والآداب والدراسات، كما في "الفلسفة الإنسانية"، "الدرسات الإنسانية" و"المواقف الإنسانية"، "الروح الإنسانية"، "المنظمات الإنسانية الخ...

[2] وقد يسميها البعض "الترجمة الالكترونية" أو "الترجمة الحاسوبية" أو "المحوسبة".

كانت الترجمة الآلية واحدة من تطبيقات بحوث "الذكاء الاصطناعي" (Artificial Intelligence)، في "علم الإدراك" (Cognitive Science). تحاول تطبيقات الذكاء الاصطناعي أن "تجعل الآلات تفعل أشياء" تتطلب الذكاء إذا ما فعلها البشر:

Making machines do things that would require intelligence if done by men

كما عبّر عنها M.L.Minsky في كتاب من تحريره صدر في العام 1968 عن الـ MIT بعنوان Semantic Information Processing.

ولأن الترجمة الآلية تتطلب معرفة وخبرة في حقلين مختلفين هما "علم الحاسوب" (Computer Science) و"علم اللغة اللسانيات" (Linguistics)، فقد تطوّر علم جديد هو علم "اللسانيات الحاسوبية" (Computational Lingaistics) .

بدأت اللسانيات الحاسوبية بدايات متواضعة جداً، تعتمد التحليل الإحصائي للمفردات اللغوية في كتاب معين أو لدى كاتب معين لإعداد فهارس أبجدية بتلك المفردات (concordances) وتحديد تواترها (frequency) في مؤلفاته. ثم خطت خطوة مهمة جداً في اختصار الزمن عندما أعدّت معاجم الكترونية أحادية اللغة أو ثنائية أو متعددة اللغات.

ويبدو أن المعاجم الألكترونية، ثنائية اللغة، هي التي أوحت بالترجمة الآلية بحسب طريقة يوحنا بن البطريق الحرفية، أي ترجمة مفردة بمفردة دون اهتمام بالتراكيب النحوية والنسب الاسنادية. ثم توسعتّ هذه المعاجم لتضم فضلاً عن المفردات، تعابير اصطلاحية عامة أو جملاً كاملة، أو ضاقت لتتخصّص بمصطلحات "حقل" أو "مجال" (domain) أو فرع من فروع المعرفة والنشاطات الإنسانية في العلوم والتِقْنيَّة ومجالات الحياة كافة.

وهكذا تم خلال الستينات من القرن العشرين وما تلاها من سنين، حتى الآن، إنتاج برامج وأنظمة للترجمة الآلية، كان بعضها تجارياً بحتاً تُغذّى به حواسيب الجيب الصغيرة لتترجم، كتابياً وحتى صوتياً. جملاً ومصطلحات كاملة في مجالات محددة أهمها ما يخدم

السُيّاح والباعة وعمال الخدمات كمصطلحات التحية والاستفسار عن الأسعار والأماكن والزمن وغيرها..

كانت البرامج التجارية للترجمة الآلية، ولا تزال، تسوّق عبر دعايات مثيرة خلقت لدى "عامة الناس" أو "الجمهور العام" ولدى سريعي التأثير والتصديق بفنون الدعاية والإعلان فكرة غير دقيقة عن الترجمة الآلية، إذ دفعتهم إلى الاعتقاد بأن الترجمة الآلية ستُنهي دور المترجمين البشر وستحقق المعجزات في نقل آلاف الكتب والبحوث والدوريات والمراجع بين لغات العالم المختلفة خلال ساعات بدل الأشهر والسنين التي يتطلبها المترجمون البشر.

لكن آراءً كهذه لا تقتصر على "الجمهور العام"، فهناك متخصصون في علوم الحاسوب واللسانيات الحاسوبية والذكاء الاصطناعي يعطون وعوداً كبيرة ومثيرة حول الإمكانات المستقبلية للترجمة الآلية، فهم يَعِدُوْن بأنهم سيتوصّلون إلى ما يطلقون عليه تسمية "الترجمة الآلية كلياً ذات النوعية البشرية FAHQMT (Fully Automated Human Quality Machine Translation) وهذا ريموند كيرتزفيل Raymond Kurzweil واضع طريقة كيرتز فيل لمسح الحروف: (The Kurzweil Scanning Method For Character Recagnition by Software) يدّعي في كتاب أصدره في العام 1998 بعنوان: عصر الآلات الروحية The Age of Spiritual Machines، بأن الترجمة الآلية ستحقق عما قريب الدقة نفسها (accuracy) التي تحققها الآن الماسحات البصرية (optical scanners) التي تستطيع أن تحوّل خلال دقائق مئات الصفحات المطبوعة بالكلمات الاعتيادية إلى وحدات عددية (digital units) تتألف من الأصفار والوحدات.

ويعلّق مترجم محترف هو ستيف فلاستا فيتيك Steve Vlasta Vitek ساخراً بقوله:

> وستقوم عما قريب ماسحة بصرية بترجمة الكتاب المقدس Bible بدلاً من فريق العلماء المتخصصين بالدراسات الانجيلية، وستنتهي الماسحة البصرية من ترجمتها خلال بضع ساعات بدلاً من مئة عام يحتاجها علماء الكتاب المقدس لانجاز ترجمتهم وستكون ترجمة الماسحة البصرية "العهد الجديد" The New Testament لعصرنا هذا!

كما يبشّر كرتزفيل باندماج (merger) بين البشر والآلات، إذ ستُزرع في أدمغة البشر مزدرعات عصبية ميكانيكية (Mechanieal Neural Implants) تُمكّن من "تفريغ" (dounloading) ذكريات الانسان وأفكاره ومشاعره وقيمه الروحية في ذاكرة الحاسوب لتجعل منه "آلة روحية" (Spiritual Machine) تتمتع بما يتمتع به الإنسان من مشاعر واحاسيس وقدرة على التفكير والفهم وإتخاذ القرار!

وعلى الضد من هذا الادّعاء المُغرِق في "خياله العلمي" (ولربما المتأثر بأفلام "الخيال العلمي" التي تحقق فيها سينمائياً، الاندماج بين البشر والآلات في "روبوتات عجيبة!"، على الضد من هذا الإدّعاء، يقف الفيلسوف كولن ماك جن Colin McGinn في كتابه الصادر في العام نفسه بعنوان: التوهج الخفي The Mysterious Flame، إذ يتحدث عن نشوء الذكاء أو الوعي البشري وتطوره فيقول إن التطوّر نفسه قد صمم عقولنا، نحن البشر، بطريقة تجعلنا غير قادرين على فهم أو تفسير ماهية الذكاء وكيفية عمله، ذلك أن مستوى الوعي البشري، بشكل عام، أوطأ جداً من مستوى "أعلى جداً" من الوعي الكوني الذي يسميه بعضهم "الوعي الالهي" أو "الذكاء الكوني" أو "التطور". غير أن بإمكان بعض البشر أن يلمحوا وَمَضاتٍ (glimpses) من ذلك الوعي بصيغة "توهج ففي" (a mysterious Flame) لكنهم أنفسهم لا يعرفون كيف يأتي وكيف يعمل.

الذكاء، التفكير، الفهم، التعلم، الإبداع، إكتشاف الخطأ وتصحيحة وعدم تكراره، إتخاذ القرار، بل وحتى عدم إتخاذ القرار.. كلها صفات أو مواصفات خاصة بالدماغ البشري الذي تقطرّت فيه قطرة قطرة، وعبر آلاف إن لم نقل ملايين السنين كلُّ تجارب ونجاحات وإخفاقات أداة التفكير الإنساني، العقل، حتى صارت خزيناً لا محدود ولا معروف حجُمه مما نسميه الذكاء أو الوعي البشري الذي لا يمكن لأية آلة أن تمتلكه أو أن تُغذّى به كاملاً.

فالحاسوب آلة غبيّة لأنها لا تمتلك فطرّياً (innately) ما يمتلكه الإنسان فطرياً من أدوات التفكير، لهذا فإنها لا تفهم، والفهم، كما هو معروف، من أهم متطلبات الترجمة، فنحن البشر لا

نستطيع أن نترجم ما لا نفهم، ولن يستطيع أيّ حاسوب أو أي نظام للترجمة الآلية أن يفهم ماذا يفعل.

ومعذرة للعاملين في حقل الذكاء الاصطناعي، ومع التقدير الكبير لجهودهم في تغذية الحاسوب ببعض أوجه الذكاء البشري، فإنني أتحدى في أي نظام يتعامل مع اللغة الطبيعية آلياً أن يقرأ صفحة واحدة في أي موضوع ثم يقدّم خلاصة (Précis) لأهم ما فيها من أفكار، ذلك لأن التلخيص الجيد يتطلب فهماً جيداً للنص أو إعادة صياغته على وفق ما يقرر العقل أنه مهم أو رئيسي من الأفكار.

إن الحاسوب مهما بلغ حجمه وتعددت وتنوعت برامج تغذيته لن يتمكن من استيعاب كل ما يختزنه الدماغ البشري من معارف وخبرات وآليات للتعامل مع الماضي والحاضر والمستقبل. وقد صدق شاعرنا العربي الذي خاطب الدماغ البشري قائلاً:

أَتحسَبُ أنّكَ جُرْمُ صَغيرْ وَفيكَ انْطوى العالَمُ الأكبرُ؟

3. التفاعل بين الإنسان والآلة

يَعِدُ بعض علماء اللسانيات الحاسوبية بأنهم سيجعلون من الحاسوب قادراً، بشكل آلي ودون تدخل الإنسان، على إعطاء ترجمة ذات نوعية بشرية، لكنهم يتحاشون، ربما عن عمد، ذكر المجالات (domains) التي يستطيع الحاسوب فيها أن ينجح في الترجمة دون مساعدة الإنسان... وهي، في الواقع، مجالات محدودة ومحددة في مفرداتها ومصطلحاتها وحتى في تراكيبها النحوية حتى ليمكن وصفها بأنها "مجالات آليّة" أصلاً، وليست "إنسانية" بالمعنى الواسع لمصطلح "إنسانية". ومن هذه المجالات التي نجح فيها الحاسوب فعلاً في إعطاء ترجمات آلية تماماً دون تدخل الإنسان مجالات النصوص المكررة (repetitive texts) مثل تقارير الأنواء الجوية وتقارير أسواق المال وأسهم الشركات وبراءات الاختراع وكُتيبات تعليمات الاستعمال

والإدامة للمكائن والمعدات (manuals) وغيرها من التقارير الرقمية والإحصائية كتقارير الولادات والوفيات والمحاصيل الزراعية ودعايات الأدوية وأَدلّة السيّاح وغيرها من المجالات المحدودة.

إن الحاسوب لن يحقق ترجمة آلية ذات نوعية بشرية في مجالات هي أوسع وأكثر بكثير من المجالات المحدودة التي أشرنا إلى بعضها. دون أن يكون أمامه إنسان يراجع ويصحح ويوضّح.

وهذه حقيقة يدركها الكثيرون من علماء اللسانيات الحاسوبية ذوي الرصانة العلمية البعيدة عن مبالغات الدعاية والإعلان ومن هؤلاء العلماء عالمنا العراقي الدكتور سعد عبد الستار مهدي الذي نعتز بجهوده المخلصة وإنجازاته البحثية والتعليمية في حقل اللسانيات الحاسوبية. ففي بحث أعدّه الدكتور سَعد عبد الستار مهدي لندوة الترجمة الآلية التي نظمها قسم دراسات الترجمة في (بيت الحكمة) ببغداد في 1998/9/30، تجيء هذه الفقرة العلمية الرصينة:

> مهما اختلفت أساليب واستراتيجيات الترجمة الآلية، تبقى هناك صعوبات ومعوّقات تواجه الحاسوب خلال عمليات الترجمة. فالإنسان المترجم لديه القدرات الذاتية والمعارف الآنية والمقامية والمعرفة بالموضوع تساعده في إنجاز الترجمة الصحيحة. وقد تكون هذه الأمور سهلة ومتوفرة بطريقة أو أخرى للإنسان، ولكن توفيرها إلى الحاسوب تعترضه الكثير من المعوّقات الفنية والتي تجعل بدورها الكثير من العبارات والكلمات تتطلب تدخل الإنسان وتحاوره مع الآله بوجود ما يُسمى بالتنقيح السابق والتنقيح اللاحق (Pre- and Post- Editing) حيث يقوم المترجم بمراجعة النص في لغة المصدر وإجراء بعض التعديلات بما ينسجم والقاموس والقواعد التي تستخدمها منظومة الترجمة الآلية، وقبل المباشرة بالترجمة. أما التنقيح اللاحق فيتطلّب من المترجم إجراء التعديلات على نص لغة الهدف للخروج بنص مترجم مقبول. إن ذلك يعني وبالتأكيد عدم وجود منظومات لها المقدرة عل الترجمة الكاملة 100%.

إننا لا نريد أن نلغي أو نتجاهل الخدمات والعون الكبير الذي تستطيع الآلة أن تقدمه للإنسان في تقليل النفقات واختصار الزمن. فالترجمة البشرية تبقى مكلفة جداً[*] وتستغرق الكثير من الوقت فضلاً عن الجهد الكبير الذي تتطلبه من المترجمين البشر في الرجوع إلى المعاجم العامة والمعاجم المتخصصة والمراجع وغيرها من الكتب والمصادر التي يستغرق البحث اليدوي فيها وقتاً طويلاً، لكن بإمكان الآلة أن توفر كل هذه المراجع للمترجم البشري الكترونياً وتجعلها بمتناول أطراف أصابعه فيوفر من جهده ومن وقته.

وهذا هو أسلوب "الترجمة البشرية بمساعدة الآلة" Machine - Aided Human Translation. وهو واحد من أوجه التفاعل والتعاون المثمر بين الإنسان والآلة في الترجمة. وأغلب الظن أن هذا الأسلوب سيكون هو الأسلوب العام للترجمة البشرية إذا ما توفرت متطلباته الفنية والمادية للمترجمين من حاسوب وبرامج وأنظمة واتصال متيسّر بالأنترنيت.

لكن أفضل صيغ التعاون والتفاعل بين الإنسان والآلة سيكون في اتباع أسلوب "الترجمة الآلية بمساعدة البشر" Human- Aided Machine Translation، أي إعطاء النص للآلة لكي تترجمه وتعرضه على شاشة الحاسوب ليقوم المترجم الإنسان بمراجعته وتصحيحه قبل طباعته بشكله النهائي. ويجري العمل الان على إنتاج أنظمة ترجمة آلية مفتوحة، تقبل تعاون الإنسان معها لتعدّل أو تضيف إلى خزينها ما يجنبها عن تكرار الخطأ في مفردات أو تعابير أو تركيبات نحوية لم تكن تغذيتها بها كافية. وقد دخلت "انفتاحية" النظام على التعديل والإضافة بوصفها مؤشراً رابعاً من مؤشرات تقييم كفاءة أنظمة الترجمة الآلية، وهي:

---

[*] يشير المترجم المحترف ستيف فلاستا فينك إلى أنه يتقاضى مبلغ 600 دولار من ترجمته الشخصية لبراءة اختراع من اللغة اليابانية إلى اللغة الإنكليزية، ويتقاضى مبلغ 60 دولاراً فقط عندما يراجع ويصحح ترجمة آليه لوثيقة مناظرة.

1. نوعية النتاج Output Quality
2. الكلفة Cost
3. الزمن Time
4. قابلية تحسين النظام System impravability

وعلى الرغم من هذه المحاولات التحسينية كلها، تبقى نوعية النتاج، في الترجمة الآلية كليّاً، أي التي لا يساعد الإنسان فيها الآلة، قاصرة في كثير من الحقول المعرفية، عن الترجمة البشرية في دقتها وفي درجة الموثوق بها والتعويل عليها.

وأود أن أشير هنا إلى ما جاء في **مجلة الترجمة Translation Journal** في عددها الصادر في 2000/8/4 (على الانترنيت). تقول المجلة إن الشركات التجارية التي تقدم خدمات الترجمة الآلية الحيّة (On-Line) عبر الانترنيت تعرف أن نتاجها في حقيقة الأمر ليس "ترجمة"، أي ليس نقلاً (rendition) لـ "معنى" النص الأصلي، لهذا فإنها أحياناً تستخدم مصطلحاً آخر غير مصطلح "الترجمة" لنتاجها فتسميه "المعنى العام" أو "الخلاصات العامة" (gisting) للنص الأصلي... وعادة ما تحمل النصوص المترجمة آلياً عبر الانترنيت، وعلى كل صفحة من الصفحات التي تبثّها للزبون "تَنَصُّلاً" (a disclaimer) عن إعطاء إية ضمانة بـ "دقة" الترجمة وعن تحمّل أية مسؤولية قانونية عن سلامة النص المترجم آلياً.

وختاماً، أود أن أقدّم ملحقاً بهذه الدراسة، يضم ثلاثة نماذج للترجمة الآلية الصِرْف من اللغة الإنكليزية إلى اللغة العربية أنجزها برنامج "الوافي" للترجمة الآلية من الإنكليزية إلى العربية وأترك التعليق عليها للقارئ الكريم.

الملحق

1. النص الأول The Poet Laureate
2. النص الثاني Shall I Conpare thee
3. النص الثالث Machine Translation

النص الأول

The office of poet laureate is one of great honor, conferred on a poet of distinction. In 1616, James the first granted a pension to the poet Ben Jonson but it was not until 1668 that the laureateship was created as a royal office.

When the position of poet laureate falls vacant, the prime minister is responsible for putting forth names for a new laureate, to be chosen by the soverign. The soverign then commands the lord chamberlain to appoint the poet laureate, and he does so by issuing a warrant to the laureate-elect. The lord chamberlain also arranges for the appointment-for life- to be announced in the london Gazette.

إنّ مكتب الشاعرّ المبّجل واحد من الشرّفُ العظيمُ، منَحَ على شاعر امتياز. من 1616 جيمس الأول منَحَ الراتب التقاعد إلى بن جونسون الشّاعر، لكن كان ليس حتى 1668 ذلك laureateship قدْ خُلِقَ كالمكتب الملكي.

عندما موقع شاعر السّقوط المبجّل الشّاغر، ورئيس الوزراء هو مسؤول عن الوَضْع يَسمّي فصاعداً لمبجّل جديدِ، أنْ يختارُ من قبل الملكِ. الملك إذن يأمرُ كبير أمناء البلاط أنْ يُعيّنَ الشاعر مبجّل، وهو يَعمَلُ جداً بإصدْار تفويض إلى المنتخبِ المبجّل. كبير أمناء البلاط يُرتّبُ أيضاً للتعيينِ للحياةِ أنْ يُعلَنُ في صحيفةِ لندن.

النص الثاني

Shall I compare thee to a summer`s day?
Thou art more lovely and more temperate.
Rough winds do shake the darling buds of May,
And summer`s lease hath all too short a date:
Sometime too hot the eye of heaven shines,
And often is his gold complexion dimm’d,
And every fair from fair sometime declines,
By chance or nature`s changing course, untrimm`d;

But thy eternal summer shall nat fade,
Nor lose possession of that fair thou ow`st;
Nor shall Death brag thou wander`st in his shade,
When in eternal lines to time thou grow`st.
So long as men can breathe or eyes can see
So long lives this, and this gives life to thee.

هل أقارن thee إلى يوم صيفَ؟
فن معتدل ثوو الأكثر والجميل الأكثر.
رياح قاسية تَهْزُّ البراعم العزيزو لمايس/أيار،
وعقد إيجار صيف hath كل إلى القصير تأريخ:
سوميتيم حارة جداً عين لمعة السّماءِ،
وغالباً طبيعته الذّهبية d`dimm؛
وكل معرض من العادل some time يَهْبط،
بالصدفة أو فصل طبيعةِ المفُيرِّ d`untrimm؛
لكن thy صيف سرمدي لنْ يَبْهتَ،
ولا تفقد ملك ذلك العادلِ st`thou ow؛
ولا ستَفاخر موتِ st`thou wander في ظله،
عندما في الخطوط السّرمدية من الوقت st`thou grow.
طالما رجال يُمكنُ أنْ تتنفسَ، أو عيون يُمكنُ أنْ تَرى،
حياة طويلة جداً هذا، وهذا اعطىَ حياة إلى thee.

النص الثالث

Machine translation is a huge applied research area since the nineteen fifties, however machine translation systems are still far short of the overall quality achieved by human translators, particularly regarding accuracy with intricate texts. However machine translation systems can offer majer benefits in terms of cost and management. There are three standard ways of improving the quality of output achieved by machine translation systems: the marking up of source text, the use of a controlled longuage and the use of a sublanguage. Text markup facilitates easier translation through the addition of helpful information to the source text. Controlled languages are designed to be easy to translate, general-purpose languages, based on a simple grammer and vocabulary.
Sublanguages on the other hand, focus on a particular domain, allowing more complex grammar and vocabulary, albeit within a small range of documents targeted in this architecture.

الترجمة الالكترونية هي مساحة بحثٍ مُقدَّمةٍ ضخمةٍ منذ التِّسعة عشرَ الخمسيناتِ، على أية حال أنظمة الترجمة الإلكترونية ما زالت بعيدة قليلة النّوعية الإجماليةِ انجزتْ مَن قِبل المترجمين الإنسانين، خصوصاً بخصوص الدّقةِ بالنّصوصِ المعقّدةِ. على أية حال أنظمة الترجمة الإلكترونية يُمكنُ أنْ تَعرْضَ فوائد رئيسية في تعابير الكلفةِ والإدارةِ.

هناك ثلاثة طرقُ قياسية من تَحسين نوعيةِ النّاتج انجزت بأنظمة الترجمة الإلكترونية: التّأشير فوق من النّص المصدري، استعمال لغةِ مُسَيطرة على واستعمال لغة تخصص. نص markup يُسهّلُ ترجمة أسهلَ خلال إضافةِ المعلوماتِ المفيدةِ إلى النّصِ المصدري. سيَطرتْ على اللّغاتِ تُصمّمُ أنْ تكوُنَ سهلة أنْ تُترجمَ، لغات متعدّدة الاستعمالات، مستندة على قواعدِ بسيطةِ ومفرداتِ. لغات تخصص من الناحية الأخرى، تركيز على ميدان خصوصي، يَسمْحُ قواعدَ

ومفرداتَ أكثرَ تعقيداً، بيد أنْ ضمن صغيرة مجموعة من الوثائق. استعمال لغات التخصص هكذا يَظهرُ قابل للتطبيق إلى الوثائق المُتَخَصّصةِ تَستهدفينَ في هذه الهندسة المعماريةِ.

بحوث

معربة أو مترجمة

الترجمة وطرق تدريس الأدب(*)

لورنس فينوتي

أ.د. أحمد رامز قطرية
قسم اللغة الإنكليزية . جامعة الملك سعود

ملخص البحث

*يبحث الكاتب في المشكلات التي تحيط بالترجمات إلى اللغة الإنكليزية من اللغات الأخرى ويوضح أن "الترجمة" مهمة بحيث لا يدري القارىء بالإنكليزية ماهية الاختلافات اللغوية والثقافية بين ما يقرأ والأصل بما يؤدي إلى وجود نرجسية حضارية وعدم اهتمام بالأجنبي. ويبحث الكاتب النتائج الحضارية والسياسية لتحجيم دور الترجمة في تدريس الأدب المترجم والممارسات التعليمية التي يمكن تطويرها لمواجهة مشكلة الترجمة أو ما يمكن أن يسمى بالقيم المحلية التي تدخل النص الأجنبي خلال عملية الترجمة. ويبين الكاتب أن موضوع الترجمة لا يطرح في المقررات التي تستعمل النصوص الأجنبية رغم وجود فجوات تاريخية وثقافية بين النص الأصلي والنص المترجم كما يوجد في هذه النصوص "بقية" معاني وقيم تنقص أو تزيد على ما يوجد في النص الأصلي، لكن من المهم أن يعرف قارئ النص المترجم أن طرقه النقدية محدودة ومؤقتة وتوجد في تاريخ متغير في وضع ثقافي محدود ضمن منهج محدد وفي لغة محددة. ويقترح فينوتي تدريس "البقية" كطريقة فعالة لتعليم مشكلة الترجمة ويستخدم نص **أيون** لأفلاطون ونصاً من هومر لتوضيح مشكلة "البقية" وكيفية تدريسها.*

(*) هذا المقال هو ترجمة للبحث المنشور في مجلة College English, Volume 58, Number 3, March 1996 تحت عنوان: Translation and the Pedagogy of Literature.

تتبع الأفكار التي سترد هنا من المشكلات التي تحيط بالترجمات إلى اللغة الإنكليزية على المستوى الدولي"لتجارة الأفكار". فلا تزال الإنجليزية اللغة التي يترجم منها أكثر من غيرها من اللغات في العالم، وهي واحدة من أقل اللغات التي يترجم إليها. فالترجمة التي تصدر من الناشرين الإنجليز والأمريكان تمثل **(2%)** اثنين بالمائة من الإنتاج السنوي لهؤلاء الناشرين أو ما يقارب 1200 إلى 1400 كتاب؛ بينما يختلف الحال في كثير من الدول الأجنبية الصغيرة والكبيرة الشرقية منها والغربية حيث إن النسبة أعلى بدرجة واضحة: (6%) ستة في المائة في اليابان (حوالي 2500 كتاب) (10%) عشرة بالمائة في فرنسا (4000 كتاب)، (14%)أربعة عشر في المائة في المجر (1200 كتاب)؛ (15%) خمسة عشر بالمائة في ألمانيا (8000 كتاب)؛ (25%) خمسة وعشرين في المائة في إيطاليا (3000 كتاب) (المصدر: غرانيس Grannis 1993). وهذا التفاوت في نسب الترجمات يؤكد أن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة تتمتعان بهيمنة على الدول الأجنبية تفوق حدود السياسة والاقتصاد لتمتد إلى الهيمنة الثقافية.

بالإضافة إلى هذا فالأفضلية الدولية للإنجليزية تتماشى مع هامشية الترجمة في الحضارة الإنكليزية ـ الأمريكية في الوقت الحاضر. فبينما يُتداول الأدبان الأمريكي والإنجليزي في كثير من اللغات الأجنبية ويكلف ذلك أموالاً كثيرة للناشرين الأجانب تحظى ترجمة الآداب الأجنبية إلى الإنجليزية بتمويل ودعاية قليلين. فالدخل من الترجمة قليل، وتقييمها غير موجود وفي أغلب الأحيان تبقى الترجمات غير مرئية لقراءة اللغة الإنجليزية. فقوة الثقافة الإنجليزية، الأمريكية في الخارج حدت من انتشار الثقافات الأجنبية في أمريكا وإنجلترا وأنقصت بذلك فرصاً لمواطني هذين البلدين في التفكير في ماهية الاختلافات اللغوية والثقافية. فمن الواضح أنه لا توجد لغة يمكن لها أن تنسى تماماً وجود خطاب مختلف ولهجات متعددة، أو نظماً ومفردات ثقافية مختلفة. وتتضح هذه الحقيقة عن طريق وجود أشكال متعددة من اللغة الإنجليزية، وهذا لا يكمن فقط في الفروق في الاستعمالات بين الإنجليزية البريطانية والأمريكية فحسب، ولكن في تعدد الأشكال اللغوية والثقافية داخل الدول الناطقة بالإنجليزية أيضاً. ورغم هذا فإن الخطر الذي يطرحه الموقع الهامشي للترجمة يعني وجود نرجسية حضارية وعدم اهتمام بالأجنبي، وهذا شيء

لابد أن يفقر الحضارة الإنجليزية، الأمريكية وينمي قيماً وسياسات تبنى على قاعدة من عدم التساوي والاستغلال. ويمتد تهميش الترجمة حتى إلى المؤسسات التعليمية حيث تظهر في تناقضات مزعجة: فهناك اعتماد كلي على النصوص المترجمة في المناهج وأعمال البحث، بالإضافة إلى وجود اتجاه عام في التدريس ولدى دور النشر لتجاهل موقع النصوص المترجمة كترجمة ومعاملتها كأنها نصوص كتبت في اللغة المترجم إليها. ورغم أن الترجمة أخذت مكانها بشكل فعال منذ سبعينات القرن العشرين كحقل أكاديمي وكمجالٍ صُرف فيه المال في مجال النشر الأكاديمي جعلها جزءاً من المؤسسة الأكاديمية كما حدث مع برامج حلقات البحث في الكتابة الإبداعية والبرامج المخصصة لإعطاء الشهادات والبرامج الأكاديمية في نظرية الترجمة والنقد، وسلسلة الكتب المخصصة للترجمات الأدبية أو للدراسات الترجمة، رغم كل هذا الاعتراف المتزايد تبقى الحقيقة واضحة وهي ان الترجمة لا تزال محجمة في مجال تدريس الأدب المترجم. وتكمن أهداف البحث في استكشاف سؤالين رئيسيين يثيرهما هذا التحجيم: أولهما النتيجة الحضارية والسياسية لهذا التحجيم أو ما هي أنواع المعرفة أو الممارسات التي يمكن أن تصبح حقيقة أو تختفي بسبب هذه السياسة؟ وما هي الممارسات التعليمية التي يمكن تطويرها لمواجهة مسألة الترجمة أو ما يسمى "بقية" القيم المحلية المدخلة في النص الأجنبي خلال عملية الترجمة؟

ورغم أن الترجمة تستعمل بشكلٍ لا يمكن تجنبه في الكليات والجامعات، فالغريب هو التغييب الذي يتم "للبقية" وهو شيء منتشرٌ على نطاق واسع. فمناهج المستوى الجامعي الأول في تخصصات الإنسانيات أو في المواد المبينة على "الكتب الأساس" أو النصوص التي أخذت موقعها في صلب التراث الحضاري الغربي تعتمد بشكلٍ رئيس على ترجمات إنجليزية من اللغات القديمة أو الحديثة. وبعد تلك المواد التي تطرح في السنة الأولى أو الثانية تصبح الترجمات شيئاً لا يمكن الاستغناء عنه في مناهج المرحلة الجامعية الأولى والمرحلة التي تليها في كثير من الاختصاصات كالأدب المقارن والفلسفة والتاريخ والعلوم السياسية وعلم الآثار والاجتماع. وقد استجابت بعض أقسام اللغات الأجنبية لمشكلة انخفاض أعداد طلابها في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية عن طريق طرح مواد عن الآداب الأجنبية بترجمات إنجليزية فقط. وخلال

العشرين السنة الماضية مكنّت الترجمة من تطوير النظرية الثقافية مما غير بشكلٍ جذري النقد الأدبي الأنجلو – أمريكي طارحاً اتجاهات جديدة تمزج الثقافة بقضايا اجتماعية وسياسية ومطورة اتجاهات أخرى تجمع بين أنواع من الدراسات كالدراسات الثقافية. وتهتم هذه المفاهيم والتغييرات المنهجية في حالات كثيرة بمسألة الاختلاف اللغوي والثقافي التي تقع في صلب موضوع الترجمة ومنها مسألة حضور العقائد العرقية والجنسية في الإنتاج الثقافي ومسألة تطوير النظرية الخاصة بفترة ما بعد الاستعمار لدراسة الاستعمار والثقافات التي خضعت له طوال تاريخ العالم، ومسألة ظهور التعددية الثقافية لمواجهة الموروث الثقافي الأوروبي الرسمي وخاصة في وجوده في مواد الكتب الأساس. لكن التدريس والبحث بشكل عام تجاهلا اعتمادها على الكتب المترجمة، ولم يوجه أي اهتمام لبعد الترجمات المستعملة في التدريس والمنشورة في المؤسسات الأكاديمية عن النص الأجنبي حيث يقف خطاب المترجم للإنجليزية بين النص الأصلي والباحث.

ويمكن قياس مدى انتشار هذا التعميم من طرائق تدريس الأدب العالمي وهي سلسلة نشرتها الجمعية الأمريكية للغات الحديثة (MLA) والتي ظهرت أولاها عام 1980 وبلغت حتى الان أكثر من خمسين مجلداً. وتجمع هذه السلسلة معلومات بيبليوغرافية وطرقاً تعليمية لنصوص أدبية معروفة منها القديم ومنها الحديث ومن ضمنها نصوص كتبت بلغات أجنبية. وتمثل هذه الطرق عينات تطبيقة واسعة الانتشار في الولايات المتحدة وكندا. ويقول المحرر العام للسلسلة في المقدمة العامة "يبدأ إعداد كل مجلد بمسح عام لأراء المدرسين وهذا ما يجعلنا قاردين على أن نضع في المجلد فلسفات وطرقاً وأفكاراً ومنطلقات نظرية لعشرات المدرسين المخضرمين". ومن بين نصوص اللغات الأجنبية المقدمة في هذه السلسلة نص دانتي *الكوميديا الألهية* 1982 ونص سيرفانتيس *دون كيشوت* 1984 ونص *كامو الطاعون* 1985 ونص إبسن *بيت الدمية* 1984، *والإلياذة والأوديسة* لهومر 1984 *وفاوست لغوته* 1987 *وكانديدا لفولتير* 1987 *والعهد القديم* 1989 ونص غارسيا ماركيز مئة عام من العزلة 1990 وكتاب مونتين *مقالات* 1994. ويحتوي كل مجلد من المجلدات المخصصة للنصوص الأجنبية عل فصل ببيليوغرافي يحمل عنوان "المادة" يناقش الترجمات الموجودة للنص لتقييمها على أسس عملية: الدقة، تواصلها مع الطلاب

المعاصرين، سهولة الحصول عليها في السوق، وتقبلها من الأشخاص الذين أجابوا عن الاستبانة. لكن في الجزء المخصص للطرق التربوية والمسمى "طرق معالجة النص" لا تطرح الترجمة كموضوع النقاش إلا فيما ندر رغم أن كثيراً من المقالات تشير إلى النصوص المترجمة إلى اللغة الإنكليزية والمستعملة في التدريس.

فعلى سبيل المثال لنأخذ المقالة الموجود في المجلد المخصص لدانتي تحت عنوان "تدريس كتاب دانتي *الكوميديا الإلهية* عن طريق نص مترجم". وتصف هذه المقالة مادة دراسية تطرح لطلاب المرحلة الجامعية الأولى في الأدب الإيطالي في العصور الوسطى تقدمها جامعة تورنتو. لكن رغم هذا العنوان فلا توجد إلا فقرة واحدة مخصصة للحديث عن الترجمة في هذه المقالة التي تأتي في سبع صفحات. فبعد أن توضح الفقرة أن المشكلة الأساس التي تواجه قراء دانتي نحو أواخر القرن العشرين هي مشكلة البعد الحضاري يُضيف المدرس كاتب المقالة ما يلي:

> هناك حاجز آخر بين الطلاب ودانتي في هذه المادة: اللغة فنحن نقرأ الكوميديا الإلهية عن طريق الترجمة ومهما كانت لغة الترجمة جيدة فهي لن تكون كلغة دانتي. فلن يحلم أي مترجم أبداً أن يعيد صياغة سلاسة ووقع شعر دانتي، وذلك يعود ببساطة إلى الاختلافات الجوهرية بين الإنجليزية والإيطالية. وهناك خطر آخر في الترجمة. في النص الأصلي غموض في أماكن مختلفة لا يستطيع المترجم أن يعيد صياغتها. فعلى المترجم/المترجمة أن يتخذ موقفاً نقدياً قبل معالجة أي نص صعب. وهكذا فإن كل ترجمة للكوميديا الإلهية مليئة بتفسيرات المترجم للنص الأصلي. وهكذا تحذف بعض التفسيرات الممكنة في لغة دانتي ويخلق غموض في أماكن أخرى ربما لم يكن موجوداً في الأصل. ولا تستطيع حتى الترجمات النثرية تفادي هذا النوع من التحريف في محاولاتها لإعطاء المعنى الأصلي وبذلك تخرب بصورة كاملة روح النص. هذا ما يدفعني لتفضيل ترجمة شعرية. ففي رأيي أنه من المحبذ أن يضحي بقليل من الدقة في الترجمة للحصول على نكهة من شعر دانتي. واستعمل ترجمة دورثي سيبرز للكوميديا الإلهية رغم خلوها من العيوب. (إينوتشي155).

وهنا تنتهي الفقرة وهي ترينا فهم المدرس الواعي لعملية فقد صفات ثقافية ولغوية من النص الأجنبي في النص المترجم الذي يضيف في الوقت نفسه صفات خاصة من ثقافة اللغة الهدف. لكن إشارة المدرس العابرة لترجمة دوروثي سييرز يوضح لنا أن هذا الفهم لا ينعكس في ما يحدث في الصف بأي طريقة منظمة أو مشروحة. فالمدرس يؤكد أن "هدف هذه المادة ينقسم إلى شقين: الأول مساعدة الطلاب لفهم عالم دانتي الشعري في سياق ثقافة العصور الوسطى، والثاني توعية الطلاب بمراحل النقد نفسه" 155 لكن ما يبدو ناقصاً هو وجود وعي ذي تأثير فهناك على الأقل مرحلتان نقديتان مختلفتان تعملان معاً: تلك التي تعود إلى المترجم أي التفسير الذي تمثله نسخة سييرز وتلك التي تعود إلى المدرس التي تمثلها محاولته لإعادة بناء "عالم دانتي الشعري" عن طريق "عشر محاضرات تحضيرية مخصصة لتغطية الفجوات التاريخية والثقافية بيننا وبين دانتي ولإنشاء أبعاد نقدية تمكننا من تفسير القصيدة من خلالها". 155

تكمن المشكلة في عدم استطاعة الترجمة أو المحاضرة "سد" هذه "الثغرات". فرغم محاولة المترجم إزالة كل الحواجز بين الطالب والنص الإيطالي فهو يعتقد (وبشكل يتعارض مع ما يفعله) أن "الكوميديا الإلهية لا تحتاج إلى وسيط الآن أكثر من أي وقت مضى، إذا أردنا أن نتفادى القراءات التبسيطية والمتعارضة مع الوقت التاريخي الذي كتب فيه النص" 155 وهذا التدخل يجعل من المحتم وجود حاجز آخر: فهي تعكس الدراسات النقدية الحديثة لقصيدة دانتي وحضارة إيطاليا في العصور الوسطى، أي أخر ما كتب عن الموضوع "أو الرأي النقدي الحديث، على الأقل في أمريكا الشمالية" 156. فالقراءات في هذه المادة لا يمكنها تفادي التعارضات الناتجة عن الاختلاف مع زمن النص الأصلي و"التشويهات" الحاصلة أي "الغموض" الذي قد لا يوجد في النص الأصلي لأن هذه القرارات مبينة على ترجمة جرت في إنجلترا ونشرت في الأربعينات من القرن العشرين عبر سلسلة من الكتب الموجهة لعامة الناس، (كلاسيكيات بنغوين) والتي استخدمت في صفوف الجامعات الكندية في أواخر السبعينات من القرن العشرين.

فعندما لا يقوم المدرس بتعليم الطلاب قيمة النص يصبح المدرس مثالاً لما قاله جاك دريدا في مقولته أن الترجمة "مشكلة سياسية، مؤسساتية جامعية: فهي كالتدريس في شكله التقليدي (وربما في كل أشكاله) لها وضعها الأمثل الذي يأخذ شكلاً يُغيب ملامح اللغة عن طريق الترجمة المتكررة" (دريدا، 93، 94). وطرائق التدريس الحالية تتبنى ضمنياً فكرة الترجمة على أنها وسيلة تواصل لا تأثير للغة عليها رغم أنه لا يمكن وجود ترجمة دون لغة، كما يقول دريدا عن وسيلة التواصل هذه إنه "يحكمها النموذج الكلاسيكي الذي يقول إنها لا تمتلك المقدرة على نقل الصوت أو المقدرة على تقنين المعاني المتعددة" 93. لكن التفكير في الترجمة كعملية "نشر" أي إطلاق للمعاني المختلفة التي تنتج عن تغيير في اللغات سيثير مشكلة سياسية: لأن هذا يطرح للمساءلة موضوع توزيع السلطة في الصف بسبب فضحه للأوضاع اللغوية الثقافية التي تعقد تفسيرات المدرس. فدراسة المعاني التي تضعها ترجمة سيبرز الإنجليزية لنص دانتي الإيطالي سيضعف من السلطة التفسيرية للمدرس الذي يُدرس على أساس يقول إن قراءاته صحيحية أو كافية للنص الإيطالي رغم أنه قد تشبع بالدراسات الأكاديمية الحديثة واستعمالات الطلاب للترجمة. ورغم أن مقالة المدرس الآنف الذكر تكشف عن إدراكه وجود تواصل غير متوقع للمعاني في عملية الترجمة وأن نسبة النقصان أو الزيادة تحدث بين نصوص اللغتين الأصل والهدف فإنه في تدريسه يفترض أن تغلب على هذه النسبة وأن تفسيراته هي في الواقع شفافة باللغة الإنجليزية للنص الإيطالي.

ولكن ما تم حفظه هنا هو السلطة: سلطة تفسيرات المدرس وسلطة اللغة التي استعملت أي الإنجليزية. فكما يلاحظ دريدا فإن الفكرة السائدة في المجتمع الجامعي عما يمكن أن يترجم يحيد اللغة الوطنية (94) أي أن لغة التدريس ليست لغة محايدة في عرضها لنصوص أجنبية لكنها محلية ومرتبطة بالأقطار المتكامة بالإنجليزية. وتغييب موضوع الترجمة في الصف يخفي دون شك القيم الحضارية الإنجليزية والأمريكية المغروسة في النص الأجنبي وفي الوقت نفسه يعامل اللغة الإنجليزية وكأنها وعاء شفاف يحمل الحقيقة الخالصة وهذا يشجع نظرة محلية لغوية ذات آفاق ضيقة لدرجة أنه يمكن القول إن هذا يشجع وجود موقف ثقافي قومي. ويحدث هذا في

الغالب في مراد الإنسانيات فمن الممكن أن تستخدم ترجمة "ثقة" النص الأجنبي في خدمة أهداف محلية. فالدفاع عن الكتب العظمى على سبيل المثال افترض في كثير من الأحيان تواصلاً بين هذه الكتب والثقافة الوطنية البريطانية أو الأمريكية وتجاهل في الوقت نفسه فروقاً ثقافية وتاريخية هامة من ضمنها فروق أتت عن طريق الترجمة. فتقرير وليام بنيت الذي أثار ضجة حول تدريس الإنسانيات في الولايات المتحدة يمكن أن يأخذ كمثال: النصوص الثقة للأدب والفلسفة الأوروبية يجب أن تُشكل "الجزء الأساسي من مناهج الجامعات الأمريكية "على حد قوله "لأن الأمريكيين جزء من نتاج الحضارة الغربية". ورغم أن الطلاب في المواد الأساسية لا يستطيعون قراءة اللغات الغربية التي كتبت بها أكثر هذه النصوص (بينت 21). ويوضح جون جيلوري John Guillory أن ترجمة الأعمال الكلاسيكية للغة المترجم العادية يعد تدعيماً مؤسساتياً قوياً للتتابع الثقافي الخيالي المزعوم فهي تؤكد خطط المحليين بالسماح لهم بمصادرة نصوص لغة أحنبية (جيلوري 43). وعندما يُعتم على موضوع الترجمة أثناء تدريس النصوص المترجمة تعطى لغة الترجمة وثقافتها قيمة أعلى وتبدو وكأنها تعبر عن حقيقة النص الأجنبي بينا هي في الواقه إعادة بناء لصورة كُيفت لتلائم ما يفهم محلياً وما له أهمية محلية.

وقد يساعد منهج تعليمي يشمل أدباً مترجماً الطلاب على تعلم القدرة على نقد النفس ونقد فكر ثقافي متحيز لنفسه ضد غيره عن طريق توجيه الانتباه إلى أهمية المكان في النصوص وفي تفسيراتها فالترجمات مفهومة دائماً (إن لم تكن مصنوعة خصيصاً لهم) من جماعات ثقافية معينة في حقبة تاريخية معينة. وتغييب الترجمة يجعل من الأفكار والأشكال تبدو وكأنها لا تعود إلى مكان معين بل إنها فلتت من التاريخ وسمت على الفروق اللغوية والثقافية التي أوجبت ترجمة هذه النصوص في بادىء الأمر بل وتفسيرها في داخل الصفوف المدرسية أيضاً. فالجهد الذي يبذل لإعادة بناء الحقبة التاريخية التي أنتج فيها النص الأجنبي، ولخلق البيئة التاريخية للتفسير لا تعوض عن فقد التاريخ كعملية معقدة بل تزيد من تعقيدها: فيشجع الطلاب لرؤية تفسيراتهم التاريخية وكأنها موجودة في النصوص عوض أن تكون قد أوجدت عن طريق خطابات الترجمة وطرق النقد التي تعود إلى القيم الحضارية لأوقات مختلفة لاحقة. ويتولد لذلك عند الطلاب

مفهوم لتفسير الحقيقة وكأنها تتبع عن متابعة كافية للنص متجاهلين الواقع أي أنهم يخلقون هذه الحقيقة عن طريق اختياراتهم وتوليفهم للشواهد النصية والبحث التاريخي وبهذا تكون تفسيراتهم وتأخذ شكلها عن طريق الضوابط اللغوية والحضارية، التي تتضمن اعتمادهم على الترجمة. فإن علم الطلاب أن نصاً ما نص مترجم واستخدمت هذه المعرفة ضمن عملية التفسير الصفية فيمكن لهذا أن يعلم الطلاب أن طرقهم النقدية محدودة ومؤقتة وتوجد في تاريخ متغير في وضع ثقافي محدد ضمن منهج معين وفي لغة محددة. وبمعرفتهم بوجود هذه الحدود تبدو لهم الاحتمالات المختلفة لفهم النص الأجنبي والطرق المختلفة في فهم موقعهم في تاريخهم الحضاري.

ومثل هذه الطرائق التدريسية ستحتم بالطبع مراجعة المواد والمناهج والكتب الثقة والأنماط الدراسية. على كل حال فإن الترجمات تصبح جزءاً من القراءات المطلوبة لأن النصوص الأجنبية الأصلية تعتبر ذات قيمة عالية وهذا قد لا يعود لقيمتها ذاتها رغم أن بعض الترجمات تختار دون شك قبل ترجمات أخرى حسب نظم وأحكام مختلفة. فالكلام عن موضوع الترجمة في الصف التدريسي يجعل من هذا التقييم معضلاً لأنه يحتاج إلى نظرة ذات تركيزين مختلفين. فيجب أن يأخذ بعين الاعتبار النص الأجنبي وحضارته بالإضافة إلى نص وحضارة الترجمة. ومن هنا فعلى المدرس أن يستبدل نصوصاً ثقة وأن يواجه مفهوم ترجمات ثقة، وعليه أن يراجع المناهج ويعدل نسبة استخدام الوقت في الصف ويطور المواد المطروحة التي تشمل عدة فروع عبر اللغات والحقب الزمنية المدروسة. فليس علينا تدريس دانتي وحده، ولكن تدريس دوروثي سيبرز أيضاً، ولا تدريس الثقافة الفلورنسية في العصور الوسطى فحسب ولكن الثقافة الأدبية الاكسفوردية قبل الحرب العالمية الثانية (كخطوة أولى لإعادة بناء الوسط الذي أنتجت فيه ترجمة سيبرز . انظر رينولدز Reynolds) فوضع نصوص معينة جانب بعضها بتفاصيل منتقاة من الإيطالية والإنجليزية سيوضح الملامح الأساسية لهذه النصوص ومواقعها التاريخية والحضارية المختلفة وسيتعلم الطلاب أيضاً أن الكتب الثقة تبقى كذلك بقدر ما يسمح مترجموها لها أن تكون كذلك

بالإضافة إلى أن اعتبار كتاب ككتاب ثقة لا يعتمد فقط على ملامح نصية ولكن على أشكال الاستقبال التي تعكس قيم فئات حضارية معينة دون أخرى.

لأن طرائق تدريس الأدب المترجم تهدف لفهم الخلافات اللغوية والحضارية فهي تعطي مثالاً لمفهوم هنري جيرو عن "طرق تدريس الحدود" التي يرى فيها أن "الثقافة لا ينظر إليها على أنها كيان أحادي أو غير متغير ولكن كفضاء متغير يحتوي على عديد من الحدود المتباينة تختلط فيه أشكال من التاريخ واللغات والتجارب والأصوات في علاقات متعددة من القوة والتفاصيل" (جيرو32). وتدريس موضوع الترجمة يبين كيف أن اختلاف أشكال الاستقبال تبني أهمية النص الأجنبي وأيّ من هذه الأشكال يحتل موقعاً قيادياً أو هامشياً في الحضارة المحلية في أوقات تاريخية مختلفة ويمكن لفلسفة تدريس كهذه أن تؤثر في النقاش الذي يجري حالياً حول التعدد الحضاري ولكن بشكلٍ غير متوقع. فهي لا تصر على أن يترك الأدب الأوروبي الثقة فهذا لن يكون خطوة استراتيجية حيث إن الحضارة المعاصرة تأخذ جذورها من الحضارة والتقاليد الأوروبية وتعتمد كلياً على ترجمات النصوص الثقة لهذه الحضارة. وطرائق تدريس تحاول أن تتعامل مع الترجمة ستشكك في أي عملية دمج بسيطة لهذه النصوص مع نصوص من حضارات مستبعدة أو بكلمة أخرى بمفهوم نصوص ثقة من حضارات متعددة. فهذا سيجعل تعادلاً عن طريق حذف البعد التاريخي الذي يميز بين النصوص فتخلق بذلك ما يدعوه جيرو "أفق تعادل كاذب ومفهوم متفق عليه لأنه سلب موقفه السياسي" ومتجاهلين الإهمالات التي تدخل في تركيبة الكتب الثقة وأي مؤسسة تعليمية. (32 وكذلك انظر جيلوري 53). فدراسة الترجمة تشير إلى أن احترام التباينات الحضارية، وهو أحد أهداف تدريس التعددية الثقافية، يمكن تعلمه عن طريق تأريخ الأشكال المتعددة من استقبال ما هو أجنبي بما يشمل من الأشكال الخطابية المستعملة في ترجمة النصوص الأجنبية، ثقة هي كانت أو هامشية.

وهكذا فإن فلسفة لتدريس الأدب المترجم يمكن أن تخدم الأهداف السياسية التي تصورها جيرو لفلسفة الحدود. ويقول جيرو "لو ربطنا مفهوم فلسفة الحدود مع ضروريات نقد ذي أبعاد

ديمقراطية (وهذا شيء يجب أن يحصل) على التربويين أن يملكوا تفهماً نظرياً للطرائق التي يبنى فيها الاختلاف عبر أشكال وممارسات تسمى أصوات المجموعات التي تحمل موضعاً ذا سلطة في المجتمع الأمريكي أو تعطيها الشرعية أو تهمشها أو تمنعها" 32. وذكر كلمة "أمريكي" يذكرنا أن جيرو لا يفكر بأنماط مختلفة من الإنجليزية ولا باللغات الأجنبية ولا بمسألة الترجمة فقط. فهو كالدعاة الآخرين للتعددية الثقافية لا يفكر في أية حدود إلا تلك التي تقع بين الفئات الأمريكية المختلفة. لكن عدد الأعمال المترجمة في الوقت الحاضر يشير إلى أن الفئات الأجنبية هي في الحقيقة ثقافات لا تملك أي سلطة في البلاد التي تتكلم بالإنجليزية فإنجلترا والولايات المتحدة. والأكثر أهمية في هذا أن الترجمة نفسها تؤكد درجة من الخضوع في أية لغة هدف عن طريق بناء شكل للنص الأجنبي يحمل بالقيم الثقافية لهذه اللغة. وعند الكشف عن عملية التحميل هذه في كل نص مترجم وتقييم أهميته الثقافية والسياسية يمكن أن تقوم فلسفة تدريس للأدب المترجم كفلسفة حدود جيرو بالعمل "كجزء من سياسة الحدود التي تظهر الاختلافات والتي تجعل من البعد السياسي والأخلاقي شيئاً أساسياً" 28. وعندما يرى الطلاب أن الترجمة ليست عملية تواصل بسيطة بل عملية استيلاء على النص الأجنبي من أجل خدمة أهداف عائدة للغة الهدف عندها سينظرون بعين الشك لأعمالهم التي تتملك الثقافات الأجنبية.

وفي داخل الصف لايمكن خدمة هذا المخطط إلا عن طريق تفحص الصفات الجمالية للنص المترجم وتبين وجود الاختلاف على مستوى اللغة والأسلوب واللهجة والخطاب. فتدريس مسألة الترجمة يتطلب اهتماماً خاصاً في خواص الأدب وتبين أن هذه الخواص مرتبطة دائماً بزمن تاريخي معين وأنها مشبعة بقيم الفئات الثقافية التي أنتجت ومن أجلها أنتجت هذه الترجمات. وهنا يجب القول إن احترام الاختلافات الثقافية يتطلب عمليتين: أولاهما إدراك الإضافات الدقيقة العضوية التي أدخلت في "التيمات" الأجنبية وبكلمة أخرى ما يوجد في الترجمة مما هو غير مترجم ولكنه يغير دون قصد المعاني المختلفة في النص الأصلي، والعملية الثانية هي السماح لهذه التيمات والمعاني أن تجعل بعضاً من القيم الثقافية العضوية غريبة وبالتالي تكشف عن ترتيباتها الطبقية وما يقع منها في الهامش أو في المتن.

يجب ألا تفحص طرائق تدريس الأدب المترجم الاختلافات بين النص الأجنبي وترجمته فحسب ولكن عليها فحص هذه الاختلافات داخل الترجمة نفسها. ويمكن القيام بهذه العملية عن طريق التركيز على ما وصفه "جان جاك ليسرسل" بأنه "المتبقي" أي تاثيرات نصية تزيد على الاستعمالات الشفافة للغة تهدف للتواصل والمرجعية، ومن الممكن أن تعرقل هذا التواصل بدرجات مختلفة من التأثير. فالمتبقي يتألف من الأشكال اللغوية المختلفة قديمها وحديثها التي يستخدمها متكلم اللغة عندما يتواصل مع الآخرين والتي ستعطي بسبب استعمالاتها السابقة أكثر مما يريد، كما تحدث تغييرات في المعنى المقصود. وفي حالة الترجمة يشتمل المتبقي على التأثيرات النصية التي تعمل في اللغة الهدف فقط وهي أشكال لغوية محلية تضاف إلى النص الأجنبي أثناء عملية الترجمة وتنحو منحى مغايراً لما يريده المترجم في محاولته لإيصال النص. يقول ليسرسل:

> على الأغلب سيستعمل نص مكتوب بالإنجليزية لهجات مختلفة وأنواعاً مختلفة من مستويات اللغة وأساليبها إن كان ذلك عن قصد أو دونه وسيشير إلى لحظات تاريخية معينة للغة وأهلها تقع في مفردات اللغة أو نحوها، فتعدد المستويات والإشارات التاريخية تسيطر في أقل النصوص تعقيداً. ورغم ذلك فإن النص مكتوب بالإنجليزية وفي لغة واحدة زمنياً 205.

ستظهر ترجمة باللغة الإنجليزية عديداً من التأثيرات الخاصة بالإنجليزية التي تبقى غير معروفة عندما نقرأ الترجمة على أنها محاولة تواصل شفافة أو على أنها لا تختلف عن النص الأجنبي. وتدريس مسألة الترجمة يعني تدريس المتبقي في النص المترجم وإبراز الأشكال المختلفة في مراحلها التاريخية التي تزعزع وحدة النص وتعتم على شفافيته المفترضة.

ولإعطاء مثال عن طرائق التدريس هذه لنأخذ الترجمة التي قام بها "تريفور سوندرز" مؤخراً لحوار أفلاطون أيون وهو نص قد يظهر ضمن ما يقرر في مواد مختلفة وعلى مستويات مختلفة للطلبة الجامعيين وفي الدراسات العليا وفي أقسام جامعية مختلفة وفي مناهج مختلفة: الإنجليزية

والأدب المقارن والفلسفة والإنسانيات. وفي هذا الحوار القصير يقول "سقراط" إن الأغنية التي يؤديها أيون تفسر شعر هومر في نفس الطريقة التي كتب فيها هومر هذا الشعر عن طريق الهام الهي وليس عن طريق المعرفة. وعندما تبدأ نقط الجدال تظهر من خلال أسئلة سقراط المعتادة التي تحوي الكثير من السخرية من موقف أيون: فيصوره هومر على أنه مختال عديم التفكير وغير قادر أحياناً على تتبع منطق سقراط. فإن أتينا إلى النص الإنجليزي لنبحث عن المتبقي فيظهر لنا أن السخرية الموجودة في الأصل ترتبط بمجموعة من الألفاظ الشائعة (وأكثرها بريطانية) في خطاب ترجماني يطغى على أغلبه التمسك باللهجة الرسمية. والألفاظ الشائعة تساند سخرية النص لأنها تضيف وعياً طبقياً على صلب الحوار.

فيعطي "أيون" عدداً من الألفاظ الشائعة أحدها يأتي قرب النهاية في نقطة يتكلم فيها بشكل مليء بالخيلاء وعدم التفكير:

سقراط: إذاً فهل أنت كمغني "للرابسود" أفضل الإغريقيين؟

ايون: بجدارة كبيرة ياسقراط. (سوندرز 64)

والتعبير البريطاني "بجدارة كبيرة" يعني "إلى حد كبير" (قاموس إكسفورد البريطاني) يترجم polouge وهي تعبير إغريقي يمكن أن يترجم في نص يبقي اللهجة الرسمية بـ "كذلك تماماً" (بيرنت Ib 54). ولا تبدو الألفاظ الشعبية في حصيلة مفردات ايون الخاصة فحسب ولكن في تراكيب جمله أيضاً. في البداية يشير سقراط إلى التشابه بين الإغريقين في محاولة ليظهر أن حماس أيون لهومر وحده غير مبني على أي معرفة بشعره.

سقراط: وماذا عن الشعراء الآخرين؟ ألا يتحدثون عن هذه المواضع أيضاً؟

أيون : نعم، لكن ياسقراط، لم يكتبوا كما كتب هومر 51.

وبالمقارنة مع النص الأغريقي (onch bomois pepoiokasi kai Omeros) تتبين لنا يد المترجم لأن العبارة لا تحتوي على شيء يشابه استعمال أيون لكلمة "مثل" "يشابه" (برينت Ib 53). اختار

المترجم عن عمد النحو العامي عوضاً عن الترجمة باللغة الإنجليزية الفصحى في عبارة "مثل" ليس بالطريقة التي كتب فيها هومر الشعر أو بتعبير بنجامين جويت الأكثر تحرراً "ليس بطريقة هومر" (جويت 499). باستعمال كلمة "مثل" كأداة وصل شيء يمكن الاختلاف عليه وهكذا فاستعمالها في الترجمة يجعلها تبدو مناسبة لنوع النص الإغريقي أي الحوار. حصيلة الأمر أن ايون يأخذ رغم هذا صفة من يتكلم لغة إنجليزية بمستوى غير عال وبالتالي يوحي بأنه تلقى تعليماً قليلاً هذا إذا لم ينظر إليه على أنه يأتي من مرتبة اجتماعية متدنية. وهذا الاستعمال كما يقول قاموس أكسفورد الإنجليزي الذي يستشهد به من قبل أولئك الذين يكتبون كتب الأسلوب التي تفرض آراءها ككتاب فاولر Fowler: "هذا الاستعمال للكلمة شيء مرفوض بشكل عام لأنه عامي ويدل على عدم الاكتراث". (فاولر 335.334).

في النص المترجم تصبح العامية علامة على التخلف العقلي لأيون. ويستخدم سقراط مثل هذه التعابير عندما يريد أن يكون ساخراً، وفي الفصل عندما يتحدث إلى أيون على أنه أدنى منه معرفة ما دحاً كبرياء المغني بلغة توحي بأن كبرياء ذاك لايقوم على أي أساس. وتكفي عادة عبارة قصيرة لتظهر السخرية. ونرى أن المترجم يجعل سقراط يقول: "في كلمات قليلة" ليترجم en kepbalaioi "الخلاصة" و "ياعزيزي الشاب" ترجمة ophile kepbale وهي تحية تعني "صديقي العزيز" لكن عن طريق كناية تشير إلى الرأس kepbale، وهذه غمزة واضحة في النص الإغريقي لعدم فهم أيون (برينت 531 e، d). وبالإضافة إلى هذه الانتقادات توجد قطعة في بداية الحوار تبدو فيها اللغة الشعبية البريطانية بوضوح:

> يجب أن اعترض يا أيون إنني ظالماً حسدت المغنين شاعريتهم التي تخولهم بحق واحقية أن يلبسوا ملابس فاخرة وأن يظهروا بأفضل شكل وكم تحسدون أنكم تستطيعون أن تغرقوا أنفسكم كلية في قراءة الشعراء العظام وخاصة هومر وهو أفضلهم وأكثرهم إلهاماً وأن تستطيعوا أن تفهموا أفكاره وليس فقط كلماته! (ساندرز 49 وأضيفت الخطوط من المؤلف)

ولا يمكن لأي من الكلمات التي وضع تحتها خط أن تكون بعيدة عن النص الأصلي لكي تعتبر الترجمة باطلة رغم أن ما يقابلها في النص الإغريقي شيء يمكن اعتباره لغة دارجة: فالعبارة to get up مثلاً تعبير عن ekmanthanein أو "ليعرف بصورة كاملة، ليحفظ عن ظهر قلب" (برينت c530) ورغم ذلك فحاصل تأثير اختيارات المترجم أن تعطي نكهة بريطانية غير رسمية خاصة للنص. ففكرة أن سقراط يتحدث بعلِو لأيون في هذه القطعة تبدو واضحة على مدار الحوار حيث إن سقراط يتحدث مستعملاً لهجات أخرى: ففي الترجمة وكما في النص الإغريقي لكن مفرداته تحتوي على تعابير تجريدية فلسفية وهذه تحير أيون باستمرار:

سقراط: واضح للكل إنك لا تستطيع الكلام عن هومر بمهارة ومعرفة (techne kai epistem) لأنك إن كنت ستفعل ذلك بسبب مهارة تملكها لاستطعت الكلام عن كل الشعراء الآخرين أيضاً فيجب أن ترى كما أفترض أنه يوجد فن شعري شامل (olon) أليس كذلك؟

أيون: نعم هو كذلك؟

سقراط: فإذاً فأي مهارة تدرسها بصورة عامة ستبقى صالحة للاستعمال والتحري (skepseos tropostes) وتنطبق على كل واحد منهم. هل تريد أن تسمعني اشرح النقطة التي أقولها ياأيون؟

أيون: نعم واحلف بالإله زيوس ياسقراط أني أود أن تفعل ذلك.

(سوندرز 52، 53 وبرنيت d532، c)

وهكذا تملي التعبيرات العامة في الترجمة نظاماً طبقياً داخل التيمات الطبقية التي تتخلل النص الإغريقي. وأكثر هذه النظم الطبقية بروزاً هي أيستملوجية المنحى: فسقراط يريد أن يوضح أن أيون لا يملك المهارة أو المعرفة التطبيقية والتفسيرية كما أنه لا يفهم المفاهيم الفلسفية التي تناقش: فكرة أن المعرفة نظم وخصوصية تعطي القدرة للأداء والتقييم لكل الممارسات ضمن حقل خاص أو نظام معرفي. ولذا فإن سقراط يقول إن أيون يجب أن يتمكن من أداء كل الشعراء

وتفسيرهم بنفس درجة النجاح وأن لا تقتصر قدرته على أداء وتفسير هومر الذي يعتبره الأفضل رغم أنه لا يوضح حكمه هذا وبوضع سقراط في مكان يمتاز عن أيون بحيث تكون فيه هذه النقطة مفهومة أو بديهية فإن النص الإغريقي يعطي الفلسفة مكاناً أعلى من الأداء كما يعطي المعرفة النظرية مكاناً يفوق ذاك الذي تحتله المعرفة العملية.

وهذه الطبقية الابستمولوجية تحمل في طياتها أبعاداً سياسية، ففي قطعتين تذكر المدينةالتي أتى منها أيون على أنها ايفيسيوس وهي ما يصفها على أنها "محكومة" (archetai) من قبلكم يا أهل أثينا. "كما أن هناك عدة إشارات في النص تضع حديثه مع سقراط في فترة تسبق ثورة ايفيسيوس على هيمنة أثينا (مور، ميغز) ولهذا السبب فإن الحوار يبدو وكأنه يعطي إيضاحاً قومياً لموقف أثينا (في شخص سقراط) وكأنه يفوق فكرياً موقف المستعمرين (بفتح الميم الثانية) وأن جهل أيون يعطي شرعية لموقف أثينا الإمبريالي: وكأن الايفيجنيز بين الأغبياء يحتاجون ملوك الفلسفة الأفلاطونيون من أثينا لإرشادهم. وفي الترجمة ينتقل هذا العبء الفكري إلى الإنجليزية ويصبح معقداً أكثر بسبب اللهجات المختلفة: إن الشخص الذي يتكلم اللهجة الرسمية والعارف للتجريد الفلسفي يبدو وكأنه أرفع قيمة من متكلم اللهجة العامية الذي لا يملك معرفة فلسفية رغم كونه مؤدياً ناجحاً.

فتعليم البقية يمكن أن يوضح كلاً من النص الإغريقي والترجمة الإنجليزية. وتكون الاختلافات اللهجية، وخاصة عندما تستخدم كوسيلة للسخرية، مفيدة في جلب الانتباه للطبقية الثقافية والسياسية التي بينت عليها المقولة الأفلاطونية وبذلك تعود على خصوصيتها التاريخية. ولكن فيما يعود إلى اللهجات التي تشكل بقايا خاصة باللغة الإنجليزية فإنها تؤسس مرجعية وطنية معاصرة وتكشف عن القيم الطبقية في الحضارة الأنجلو، أمريكية في اللغة الإنجليزية. فتعليم البقية يمكن أن يجعل الطلاب يدركون أن الترجمة تعطي تفسيراً ولكن في نفس الوقت فإن هذا التفسير يمكن أن يستخدم لدعم أو التشكيك بما يقدمه سقراط وأيون في النص الأغريقي. فلهجة أيون على سبيل المثال يمكن أن تبدو صحيحة حيث إنها تكشف عن تفكيره البطيء وتعليمه المحدود أو يمكن أن تبدو موصومة تكشف عن عنهجية ثقافية ناتجة عن سيطرة طبقية.

وحين يفكر الطلاب في مثل هذه الخيارات يمكن أن يتعلموا محدودية تفسيراتهم. فالفرق إن كانوا يفسرون الألفاظ العامية على انها تأكيد يساند أو يوضح الرأي الأفلاطوني لأن تفسيرهم يعتمد ليس فقط على حيثيات النص أو معطياته التاريخية (مثلاً جواب موثق حول ما إذا كان أيون يملك بالحق شيئاً من المعرفة) ولكن أيضاً عن القيم الحضارية والسياسية التي يجلبونها إلى الترجمة.

التمحيص في البقية عن قرب يعطي طريقة فعالة لتعليم مشكلة الترجمة. ففي الصف يمكن أن يحصل هذا عن طريق نصوص قصيدة مختارة بدقة. ومن الممكن أن لا تحتاج مقارنة طويلة بين النصوص وترجماتها رغم أن مثل هذه المقارنة ستعطي الكثير من المعلومات. فالبقية مفيدة تعليمياً لأنها يمكن أن ترى في الترجمة نفسها عبر التأثيرات المختلفة للنص الذي ترى في اللغة الهدف. كما أنها تجعل قراءة دقيقة للترجمات كترجمات شيئاً ممكناً، كنصوص تتواصل. وفي الوقت نفسه تملي على النص الأصلي قيماً جديدة من اللغة الهدف. وهكذا فإن هذه القراءة عملية تاريخية. فالبقية تبدو مفهومة في الترجمة فقط وذلك في حالة واحدة وهي عندما تكون خطابات البقية المتعددة، ونوعياتها وأساليبها موضوعة في أزمن معينة من الثقافة الهدف. وكما لاحظ ليسرسل فإن البقية هي تأكيد للأشكال اللغوية الأولى في الاستعمالات اللغوية الحالية، "مكان التاريخي ضمن المعاصر. مكان تأكيد نقاط التلاقي للماضي والحاضر اللغوي 215.

فصفات البقية الزمنية تتجلى بصورة درامية عندما نقارن عدة ترجمات جنياً إلى جنب. فالنسخ المختلفة تجلب إلى الضوء النتائج المختلفة الممكنة في أوقات ثقافية مختلفة جاعلة من هذه التأثيرات مادة للدراسة لأنها أشكال مختلفة للتلقي مرتبطة بجماعات ثقافية مختلفة فأخذ عينات تاريخية يمكن أن يكون مفيداً لتوضيح ترجمة أخذت مكانة مرموقة في حضارة اللغة الهدف: فعندما تمثل ترجمة معينة نصاُ اجنبياً لمتلقين من خلفيات مختلفة وعندما تأخذ هذه الترجمة مكان ذلك النص للقراء يوضح تدريس البقية أن مكانة هذه الترجمة الثقافية مبنية لا على دقتها العالية أو أسلوبها الناجح فقط، بل على تناغمها مع قيم خاصة في الحضارة الهدف.

فلنأخذ ترجمة ريتشموند لا تيمور Richmond Lattimore للإلياذة (1951) وهي الترجمة الإكثر انتشاراً في اللغة الإنكليزية فهي "الترجمة المفضلة لأكثر من ثلاثة أرباع المجيبين على إحصائية MLA للمدرسين في أقسام اللغة الإنجليزية والكلاسيكية والأدب المقارن والتاريخ والفلسفة والآثار (برسيان X، 4) فنسخة لاتيمر قريبة جداً من النص الإغريقي وملتزمة حتى بالبيت الشعري الهومري لكنها ليست بالقرب بالمكان الذي يجعلها تحذف البقية التي تربط النص الإنجليزي بوقت حضاري معين رغم رقي ودقة ترجمتها وسهولة قراءتها من قبل متكلمي اللغة الإنجليزية المعاصرين.

فكر في الأبيات التي تأتي في مشهد هام في الكتاب الأول. عندما يسلم أكيليس عشيقته الطروادية بريسيس لقائد القوات الإغريقية اغمامنون:

وهكذا تكلم، واطاع باتروكلوس مرافقة المحبوب
قاد من الكوخ بريسيس ذات الوجنات الجميلة وأعطاها
لتأخذ بعيداً ومشيا عائدين بجانب سفن الأثينيين،
وذهبت المرأة معهم رغم رفضها لما يحدث. لكن اكيليس
ذهب وهو يبكي وجلس في حزن بعيداً عن رفاقه
على شاطىء البحر الرمادي ناظراً إلى الماء الذي لا نهاية له
ونادى مراراً وهو يمد يدية لأمه (لاتيمر 68)

وفي ترجمة لاتيمر خطاب ميني على نوعية بسيطة جداً من اللهجة الرسمية وهي ماسماها "اللغة الإنجليزية العادية في عصرنا" (55). وكما أشار هو نفسه فقد اتبع أحكام ماثيو أرنولد التي أطلقها في عند ترجمة هومر (1860) "يجب على من يترجم هومر أن يبقى في ذهنه أربع خصال للمؤلف: إنه سريع بسيط ومباشر في الفكر وفي التعبير، مباشر وعادي في مادته ونبيل في موقفه (55). هذه قراءة مدروسة للنص الإغريقي يقوم بها طبقاً لما يقوله أرنولد "أولئك الذين

يعرفون الإغريقية وفي الوقت نفسه يتذوقون الشعر: ورغم أنه كان يفكر عند قوله هذا بدارسين للكلاسيكية أمثال جويت فإن هذه القراءة سادت حتى وقتنا وأثرت في ترجمة روبرت فيغل Robert Fagle *للإيانة* بالإضافة إلى ترجمة لاتيمر (أرنولد 99، فيغل ix وفينوتي 139، 145). ورغم أن لا تيمرد قد كتب ترجمة أكاديمية فقد شعر بأنه بحاجة لتعديل مطلب أرنولد بـ "لهجة إنجليزية شعرية" لأنه في عام 1951 لا توجد لدينا لهجة شعرية وأي استعمال شعري لتعابير قديمة "أي لغة سبنسر أو نسخة الملك جيمس من العهد القديم". بدت غير مناسبة للهجة هومر البسطة (55).

لكن وكما توضح الفقرة أعلاه فيمكن أن نتلمس شيئاً من العودة إلى تعابير قديمة في كلام لاتيمر ويوجد بعض من هذا في المفردات (beloved المحبوبة) (قاد led forth) وبعضها نحوية (استعمال تعبير معكوس نحوياً weeping sweet وبعضها في النظم (بيت من ست تفعيلات حرة يقلد فيها بيت هومر الشعري ذا التفعيلات الست وهذا ما أوصى به أرنولد أيضاً) (انظر دافنبورت Devenport الذي يفسر ترجمة لاتيمر *الأوديسة* بطريقة مماثلة). وهذه التعابير القديمة تعطي ترجمة لاتيمر صفاتها الشعرية حيث يضم معها أسماء لاتينية وإغريقية بالإضافة إلى ترجمة شبه حرفية للنعوت (ذات الوجنات الجميلة) ليرفع من مستوى النغمة ليجعل فيها شيئاً من الرسمية ويجعل النظم يبدو "نبيلاً" أو راقياً. ولكن لاتيمر يختلف عن أرنولد بشكل واضح في إبقاء هذه الصفات غير ملفتة للنظر لقارئ الإنجليزية الذي يعيش بين منتصف القرن العشرين وأواخره وجامحاً للبقية عن طريق التقليل من التعابير القديمة. ورغم أن نص لاتيمر مقسم إلى أبيات شعرية إلا أن نسخته مرصوفة في "لغة النثر المعاصرة" أي لغة التواصل والإحالة والواقعية. لغة مفهومة مباشرة وتبدو شفافة تظهر المعنى والواقع والنص الأجنبي. وفي طريقة ناجحة فقد جدد نص لاتيمر *للإيانة النص الأ*كاديمي وقراءة أرنولد جاعلاً منه نصاً طبيعياً أو صحيحاً عن طريق الاعتماد على الإنحليزية الواسعة الانتشار والمستعملة منذ أربعينات القرن العشرين.

وهكذا فإن لاتيمر لم يكن يقلل من الخلافات اللغوية والثقافية التي فصلت قراءة عن النص الإغريقي لكنه كان يعيد كتابة النص حسب القيم السائدة في وطنه. فيمكننا أن نجعل ترجمة تبدو

غير مألوفة عن طريق مقارنتها مع ترجمتين آخريين اكتسبتا مركزاً حضارياً رسمياً في وقت سابق من التاريخ الأدبي وهما ترجمة جورج تشابمن George Chapman (1608) وأليكساندر بوب Alexander Pope (1715). ويوضح البعد التاريخي البقية في هذه الترجمات أي القيم الحضارية الإنجليزية التي ينسبونها إلى النص الإغريقي بالإضافة إلى هذا ستوجه الانتباه إلى الاختلاف الكبيرة مع نص لايتمر:

وبعد هذا القول، قام باتروكلوس بالطقوس
قام صديقه بأمر وإحضار مرسبيس من خيمتها
وأعطاها إلى المنادين، وإلى سفن الأشيف ذهبوا
كادت هي، الحزينة، ألا تذهب بسبب فجيعتها وتخلي حبيبها عن كل الأصدقاء
وبكى في غضب. وإلى شاطئ البحر القديم مضى
وحيداً وألقى على البحر البنفسجي نظرة
بعيونه الدامعة ورفع بيدية إلى السماء بهذا الدعاء الحزين
الذي وجهه إلى أمه: (تشابمن 33، 34)
أحضر باتروكلوس الجميلة غير راضية
أما هي حزنها الناعم بفكر متأمل
مضت صامتة بينما أمسك المنادي بيديها
نظرت إلى الوراء كثيراً وهي تتحرك ببطء على الطريق
لكن لم يحمل اكيليس العنيف حزنه بنفس الطريقة
فذهب إلى الشاطئ بحزن
وتوقف عند حافة البحر العميق الصاخب
ذاك البحر قريبه الذي نبعت منه أمه
هناك في خضم دموع الغضب والسخط
بكى بصوت عال إلى البحر الهائج (بوب 109، 110)

فإن ركزنا قراءاتنا على الفروق في المفردات (دون النظر للخصائص الأخرى لهذه الفقرات الغنية) نرى ترجمات تشابمن وبوب تظهر قلقاً واضحاً حول الأشياء المتعلقة بجنس المتكلم في قصيدة هومر. لكلا المترجمين كانت مسألة بكاء أكيليس شيئاً صعباً للتفسير في المفاهيم الموجودة عن الرجولة في ذلك الوقت فكان عليها بالإضافة إلى تعديل النص الإغريقي أن يذيلا ترجماتهما بملاحظات تفسيرية. فغير تشابمان البكاء إلى "عيون مبتلة" وجعل هذا التعبير طبيعياً أكثر عن طريق إضافة "أصدقاء" الذين "بكوا من الغضب" على ذهاب بريسيس. أما "بوب" فأعاد تفسير "الدموع" بإلحاقها "بالغضب والسخط". وملاحظة تشابمن على المقطع تشكل موقفاً متزامناً في عكسه للاتجاه السائد في حضارة عصر النهضة مقارناً البطل غير المؤمن بـ "منقذنا الكامل والقادر على كل شيء والذي بكى من أجل لازورس" لكنها تضع مشكلة جنس المتكلم بشكل واضح يعكس متكلماً ذاكراً:

"من يستطيع أن يقول إنه لا توجد دموع للرجولة وكرم ودموع نساء وجبناء (تشابمن 44) وأضفى بوب عقلانية لتعديلاته الذكرية بقوله إنه "لا يوجد ضعف في الأبطال الذين يبكون" لأن "المزاج العظيم والمليء بالعنفوان يبقى خاضعاً أكثر لدموع الغضب والرفض. "(بوب 109 هامش 458). وهكذا ينظر كلا المترجمين إلى العواطف الهياجة على أنها انثوية فغير كلاهما النص الإغريقي ليبديا بريسيس ضعيفة من الناحية العاطفية ("ألا تذهب بسبب فجيعتها" "حزنها الناعم") على عكس القوة الذكرية لغضب أكيليس؛ وقد تمادى بوب إلى حد أنه جعل موقفها السلبي أكثر سلبية وخضوعاً عن طريق إضافة فكرة أنها كانت قد أصبحت "أكثر من صامتة." وفي الوقت نفسه حذف كلا المترجمين الكلمة الإغريقية philo "المحبوبة" عند معالجتها للعلاقة بين أكيليس وباتروكلوس وبذلك حذفا المتن الذي بنيت عليه النظريات عن العلاقة الشاذة بينهما وهو شيء ظهر في الأدب الأثيني خلال القرن الخامس قبل الميلاد (102، 104، ويليلمز Williams).

وهكذا فإن هذه النسخ السابقة يمكن أن تتحدى الموقع الحضاري لنسخة لاتيمور عن طريق مساءلة اختياراته موضحين أن نسخته مليئة أيضاً بخيارات مبنية على جنس المتكلم رغم أن لغته

الإنجليزية تبدو شفافة. ويثير الاهتمام أن الابتعاد الطفيف عن اللهجة الرسمية توجد في أماكن من النص يتحول فيها أكيليس عن المنظور الأبوي للذكورة التي طغت في وقت لاتيمور الحضاري كما تغيرت بالنسبة لنسخ تشابمن وبوب. فالتعابير التي ترمز لوقت سابق "المحبوب" "ذهب وهو يبكي"، يمكن لها أن تعطي تأثيراً يشعر فيه القارئ الحديث بالغرابة وفي الوقت نفسه تحيط الشفافية السطحية لترجمة لاتمير بالضبابية: لأن هذه التعابير تسمح بوجود علاقة شاذة بين أكيليس وباتروكولس بالإضافة إلى احتمال وجود عاطفية شديدة عند البطل العسكري، وكتعابير توحي بقدمها فإنها تضع هذه القيم الحضارية في الماضي. لكن هذه التأثيرات تبقى ممكنة في النص المترجم. فهي لا يمكن أن ترى إلا عن طريق وضع هذه النسخة جانب النسخ الأخرى فتبدي البقية في نص لاتيمر لأن بساطة خطابه صممت لكي لا تجلب الاهتمام لأمور خفية ولتحرك بالحكاية ولتحيط كل مشهد بنغمة نبيلة. وهكذا فإن التعابير المتقادمة تنحو لأن تغمر بوحدانية سياق اللهجة الرسمية دافعة بالاهتمام بعيداً عن البقية في الإنجليزية لتيمات النص الإغريقي وساترة الطريقة التي تقدم فيها الترجمة أكيليس أو بريسيس وبالتالي أي تفسير لهما.

فإن كانت البقية مفيدة في تدريس مشكلات الترجمة فإنها تؤسس أطراً جديدة لاختيار ترجمة دون أخرى. فنحن نعرف في أغلب الحالات أن النصوص المترجمة تستعمل في مناهج المواد التدريسية لأن النص الأجنبي في شكله أو موضعه يعتبر ذا علاقة بموضوع مادة أو منهج معين. وفي استكشافات آراء المدرسين التي نشرت في دوريات MLA حول تدريس الأدب العالمي يبدو أن ما يفعله هؤلاء المدرسون عملياً هو اختيار ترجمة ما بعد مقارنتها مع النص الأصلي دون أخذ الاعتبار ثمن أو سهولة الحصول على هذه النسخ. الدقة تبقى الأساس الذي يستخدم باستمرار في الاختيار وإن كانت أطر الدقة تخضع للتغيرات. لكن حينما يريد المدرس أن يعلم مشكلات الترجمة فتشارك الدقة أسس أخرى تأخذ بعين الاعتبار الأهمية الحضارية والدور الاجتماعي لترجمة معينة في موقعها التاريخي والوقت الحاضر. فإن كل نص مترجم، مهما كانت دقة ترجمته، يشكل تفسيراً لنص أجنبي فعندها يصبح اختيار ترجمة مناسبة مسألة اختيار تفسير معين، نص يعطي معالجة متمكنة من المسائل التي تثيرها الترجمة وبنفس الوقت ترجمة

يمكن أن تتساير بشكل مثمر مع المناهج النقدية التي تطبق على نصوص أخرى في المادة الدراسية. يعني اختيار ترجمة معينة اختيار نص غني بالبقية، نص مليء بالأفكار حول خطاب الترجمة، على سبيل المثال أو خطاب جعل الترجمة تحظى بمكان ثقة أو مكان هامشي في حضارة اللغة الهدف. وقد يرغب المدرس في أن يضيف ترجمة معاصرة (أو جزءاً من هذه الترجمة) ليحفز الطلاب على فحص القيم الحضارية المعاصرة أو بكلمة أخرى على النقد الذاتي.

وخلاصة الأمر، إن تدريس البقية تعطي الطلاب القدرة على رؤية الدور الذي تلعبه الترجمة في تشكيل الهويات الحضارية. وبالطبع تهدف عملية التدريس إلى إعطاء الطلاب مواقفهم الخاصة وإمدادهم بالمعرفة وتهيئتهم لوظائف اجتماعية. وهذا واضح بالنسبة لمواد تدرس الأشكال والقيم الحضارية والتي تعتمد بشكل واسع على الترجمات. ولأن إيجاد موضوع البحث في الصفوف الدراسية يعني إيجاد مواطنين اجتماعيين فإن مادة الأدب تصبح قادرة على إيجاد رأسمال حضاري كبير لا يمكن للجميع الحصول عليه لكنه قادر على إعطاء هؤلاء الأشخاص قدرة اجتماعية "فالمنهج الأدبي" كما يقول جيلوري:

يشكل رأس مال من ناحيتين: أولاً إنه رأس مال لغوي يمكن للإنسان عن طريقه الحصول على مؤهلات اجتماعية وبالتالي فهو كلام ذو قيمة يعرف باسم آخر "الإنجليزية الرسمية"، ثانياً: إنه رأس مال رمزي أي نوع من رأس المال المعرفي الذي يمكن عن طريق عرضه عند الطلب أن يعطي بالتالي لمن يحصل عليه الفوائد الحضارية والمادية للإنسان المثقف ثقافة جيدة (ix).

وبما أن اللغة والأدب وسيلتان ضروريتان لتداول رأس المال الحضاري فتكون الترجمة وسيلة استراتيجية يمكن عن طريقها دراسة الحضارات التي تشكل الهوية وخاصة علاقتها مع الحضارات الأخرى.

وتجري اثنتان من هذه العمليات في الوقت نفسه في الترجمة. فالاختلاف الحضاري للنص الأجنبي حين ترجمته يقدم دائماً حسب قيم اللغة الهدف التي تشكل الهوية الحضارية لكل من البلاد الأجنبية والقارئ المحلي. فبوب على سبيل المثال خلق هومرا نبيلاً من طراز عصر

التنوير للذكور الاستقراطيين البرجوازيين "الذين يملكون تذوقاً للشعر وعلماً متمكناً (بوب 23 ويليامز). أما ترجمة لاتيمر لهومر فكانت قد وضعت للطلاب الجامعيين في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وضمت الدراسة الأكاديمية للنص الإغريقي مع اللهجة الرسمية الإنجليزية وبذلك أكدت الفروق الحضارية والفروق الطبقية وفي الوقت نفسه علمت حضارة أرستقراطية قديمة متميزة بذكوريتها المقاتلة. فدراسة الترجمة يمكن أن تجعل من الطلاب مطلعين بشكل أفضل على الاهتمامات المحلية التي تخضع الترجمة قارئها والنص الأجنبي لها. فطرق تعليم الأدب المترجم، تجعل احترام الاختلافات الحضارية تمشي يدا بيد مع تعلم الاختلافات التي تشكل الهوية الحضارية للقارئ المحلي. ففي الوقت الذي تكون فيه هيمنة اللغة الإنجليزية عالمياً تدعو إلى حب نفس حضاري وعدم رغبة العمل من قبل القراء الأمريكيين والبريطانيين، فإن الترجمة يمكن أن تضيء التعددية التي تتصف بها كل حضارة.

فإن كان للترجمة أن تخدم بهذه الطريقة فلا بد أن تتغير الدراسات العليا في الإنجليزية وأن يعاد النظر فيها لكسر الانعزالية (وربما كما قال بعضهم الكراهية للغريب) التي تطغى على الدراسات الأدبية العليا. فقد دلت الأيام التي كانت فيها دراسات اللغات الأجنبية متطلباً للدكتوراه لدعم البحث في الأدب البريطاني والأمريكي كان ذاك على مستوى الأطروحة أو ما بعدها ففي كثير من برامج الدراسات العليا في الإنجليزية خفضت متطلبات اللغات الأجنبية ولذلك فإن دراسة اللغات الأجنبية قلما تتعدى الأساسيات التي تسمح بترجمة قطع قصيرة إلى لغة إنجليزية مقبولة. فالحاصلون الجدد على الدكتوراه لا يملكون القدرة على التفكير بالمشاكل الحضارية والسياسية التي تنمو بسبب اعتمادهم على الترجمات في بحوثهم وتدريسهم.

لكن الحل في رأيي لا يكمن في العودة إلى المتطلبات التقليدية التي تكمن في مطالبة الطالب بالقدرة المتمكنة على قراءة لغتين أجنبيتين أو أكثر. فالمعرفة التي يحصل عليها الطالب من هذه المتطلبات الصارمة ستكون ذات فائدة قليلة في مناهج الدرسات العليا التي ترتكز على آداب اللغة الإنجليزية، ناهيك عن التأخير في الحصول على الدرجة العلمية وحافزاً للطلاب على

البحث عن طرق لاختصار طريق النجاح في امتحانات اللغة، فالطريق المثمر والأفضل هو أن يطلب من الطالب معرفة ممتازة في لغة أجنبية واحدة (عبر فحص يؤكد القدرة على قراءة النصوص بفهم) بالإضافة إلى مادة الإنجليزية تنظر في مشاكل الفروق اللغوية والحضارية. فهذه هي المشكلة التي يمكن أن ينظر بها في دراسة تاريخية لنظرية الترجمة، والترجمة نفسها حيث يكون التركيز على الترجمة إلى الإنكليزية وعلى تعلم كيفية قراءة الترجمات باللغة الإنجليزية، فالمتطلبان اللذان اطرحهما يمكن أن يحثا طلاب الدكتوراه على القيام بالبحث في لغة أجنبية وأن يدخلوا في الجدل النقدي حول تكوين الهويات الحضارية وبالإضافة إلى ذلك لمواجهة مسألة الترجمة عندما تدرس النصوص المترجمة فيمكن لكل الطلاب في كافة المستويات أن يتعلموا عن طريق وضع الترجمة ضمن مناهج التعليم.

الترجمة المتخصصة فرنسي ـ عربي

عمل المترجم*

ترجمة: د. محمد أحمد طجو – جامعة الملك سعود
مراجعة: د. محمد خير البقاعي – جامعة الملك سعود

إن الانفجار الإعلامي الذي نواكبه في نهاية القرن العشرين، وظهور طرق الاتصال السريع الذائعة الصيت، والتي يفترض أن تسهل لعدد متزايدة من الأفراد المنتشرين في العالم الاطلاع المباشر على المعرفة والتقدم العلمي والتقني، يطرح عملياً مسألة السيطرة على هذا السيل من المعلومات الذي تضعه وسائل الاتصال في خدمة الإنسان. وتظهر إشكالية السيطرة تلك في المجال اللغوي لأن اللغة هي الأداة التي يملكها الإنسان ليعبر بها عن أفكاره، وينقلها إلى الآخر، وإنه لمن الضروري أن يستخدم الإنسان هذه الأداة استخداماً صحيحاً لتأمين الرسالة، وتأويل مضمونها.

وإن ما يسمى المعجم المختص يغطي عدة مجالات؛ ومن هنا جاء تعدد اللغات المختصة في الاقتصاد والقانون والمعلوماتية والمؤتمرات الدولية... إلخ. ويعرف ف.لازار F.Lazar اللغات التقانية بأنها" لغات تهدف إلى تنقية معجمها وتركيبها ودلالتها ليتم التوصل إلى مؤدياتénoncés تخلو من أي التباس"[1].

* هذه ترجمة للنص المنشور في مجلة ترجمان 996م (5)، 1، ص: 99 - 113 لمؤلفته فائزة القاسم . جامعة باريس الثالثة – السوربون الجديدة.

(1) F.Lazar, "Les langues comme moyen d'expression du droit international'' *Annuaire Français de droit international*, 1970, p. 257

أما أحمد الأخضر غزال، المدير السابق لمركز الدراسات والأبحاث للتعريب (التابع لجامعة محمد الخامس في الرباط)، فيعرف اللغة التقانية بالقول: "إن لغة العلم والتقانة والتكنولوجيا) لغة خاصة تختلف عن اللغة الأدبية بمظاهر عدة (...) مثل الاتساق النصي والتركيز النحوي وموضوعية الجمل والاستسماء التعبيري والقرض (...) وكذا البنية الاصطلاحية كالاشتقاق والتركيب والقرض والاختيار والنحت والحرفلة Siglaison والمجاز والتسبيب والتعليل والابتكار والتوليد والتحديد (...) والنظائم المصطليحة Systemes terminologiques"[2].

إن لكل لغة مختصة مستويات لغوية حسب استخدامنا لها، وإن اللغة العلمية في كتب العلوم الطبيعية التعليمية تختلف عن لغة الاتصالات العلمية التي يستخدمها المهنيون لوصف الاختراعات العلمية؛ فنجد أن كل لغة مختصة تتميز بمصطلح وبأسلوب خاصين بها، وأننا نميز في المجال التقاني بين النصوص الوصفية والحجاجية Argumentatifs والتفسيرية والفرضيةPrescriptifs، كما تفعل مونيك كورمييه Monique Cormier [3].

أضف إلى ذلك أن أي اختراع حتى يكون فعالاً، ويساعد الخبراء على معرفة ما تم إنجازه لا بد له أن يكون مكتوباً. وهنا يتدخل المترجم الذي يعد صلة الوصل الضرورية في سلسلة التواصل بين المؤلف والقارئ: إن مشكلة المترجم العربي هي أن آخر مايهتم به هو معرفة المسار الذي سيسلكه لترجمة نص مختص.

يفترض المترجم في الواقع أن النص المختص يمتلك، إضافة إلى مضمونه الإخباري، أسلوباً ومصطلحاً خاصين به يهدفان ما أمكن إلى جلاء أي غموض عبر الإحاطة بالمبادئ والمفاهيم

---

[2] أحمد الأخضر غزال، مشاكل الترجمة العلمية والتقنية إلى اللغة العربية، نداوت الأكاديمية، ندوة الترجمة العملية، طنجة، 11 – 12 ديسمبر (كانون الأول) 1991م

[3] Monique Cormier. "Proposition d'une typologie pour l'enseignement de la traduction technique'' in *Études traductologiques en hommage à Danica Seleskovitch*, Manard, Paris, 1990, P.P 173 - 187.

بأفضل الطرق، ويدرك أن مهمة هذا النمط من النصوص هي نقل معلومات موثوقة وواضحة وفعالة.

ويواجه المترجم العربي في كثير من الأحيان نصوصاً حررها مختصون يستخدمون للحديث عن مجال تخصصهم أداة مفهومية يرون أنها ضرورية لنجاح تحليلهم، ويلجؤون أيضاً إلى عبارة مختصة توفر للمعلومة العلمية الصرامةالمطلوبة. ويتعرف المترجم إلى اللغة العربية خلال مرحلة كتابة النص ثغرات معجمه، فيلجأ إلى الخطوات الآتية:

1. العمل على النص

يحاول المترجم/ القارئ في سبيل بناء المعنى امتلاك الأدوات المفهومية للنص[4]. ويرى بارت Barthes أن "القراءة هي العثور على الطريقة التي كتب فيها النص في شكلهCorps، وليس في معناه Conscience [5]، إن القراءة هي أن نراقب الإنتاج وليس المنتج"[6]. إذاً تعني القراءة عند المترجم إعادة بناء إيقاعات النص المتجاورة، والمتعارضة، والمتناوبة. ويعد النص، على حد قول أمبرتو إيكو Umberto Eco، "نسيجاً من الفضاءات البيضاء والفجوات التي ينبغي سدها(..) أولاً لأن كل نص هو آلية اقتصادية تعيش على فائض قيمة المعنى الذي يأتي به المتلقي(..) وثانياً لأنه عندما ينتقل شيئاً فشيئاً من الوظيفة التعليمية إلى الوظيفة الجمالية، فإنه يترك للقارئ المبادرة التأويلية على الرغم من أنه يرغب عموماً في أن يكون في تأويله قدرٌ كافٍ من الاشتراك في (المعنى)"[7].

---

(4) M. S. Poli, "Pour une didactique des écrits scientifiques et techniques", *Éducations permanentes* 102, Arcueil, 1990, pp. 102 – 108.

(5) الترجمة الحرفية هي الجسد والوعي، ولكن بارت يستخدم المجاز في أكثر كتاباته (المترجم).

(6) R. Barthes, in *Le Figaro littéraire*, 27 juillet 1974, "L'aventure Sémiologique", éd. Du seuil.

(7) Umberto Eco: *Lector in fabula ou la coopération interp interpretative étative dans les textes narratifs*, Figures, Grasset, 1985, pp.66 - 67.

ويؤدي القارئ/ المترجم أيضاً وظيفة المتلقي الأول الذي يتوجه إليه كاتب النص المختص. وإن الورقة الرابحة لدى المترجم، على الرغم من عدم تخصصه في مجال النص، هي اهتمامه بمختلف المجالات: إن معارف المترجم التي تتجاوز مدركاته extracognitives هي التي تسمح له بملء الفجوات المذكورة أعلاه، وبتأويل النص بإعطائه معنى متواطئاً، وبإظهار ما يخفيه ذلك النص"[8].

2. تحمل توقعات المتلقي الأخير:

إذا افترضنا أن كل نص، مهما كان نمطه، يحمل شحنةً تواصليةً، ويفترض متلقياً أخيراً يستطيع عصرنته، فما الإجراء الذي سيتبناه المترجم العربي إزاء جمهور غير متجانس يشاركه اهتمامه بالعلم والتقانة؟

إن العقبة الأولى التي سيواجهها المترجم ذات طبيعة مصطلحية: كيف يصوغ بالعربية صيغة عمل تقانة تم تصورها وتطبيقها في الغرب؟ ويمثل ذلك مواجهة أولى بين نظامين ثقافيين على الصعيد التواصلي. وكما يقول عبد القادر فاسي فهري: إن "التعريب يعني أيضاً جعل اللغة العربية لغة تتواصل مع اللغات الأخرى بتزويدها بوسائل تحدد موقعها بالنسبة إلى تلك اللغات على عدة مستويات (...) والتعريب أيضاً هو توطيد المادة اللغوية توطيداً مستمراً في مجالات مفهومية أو في مجالات معرفية جديدة"[9]. إن الملاحظة التي يمكن تسجيلها عند قراءة بعض الترجمات هي أن نصيب الرسالة كبير جداً في الترجمة إلى العربية؛ فالمترجم الذي كثيراً ما تنقصه الكلمات لأداء الرسالة، فيضيف معلومات لتأمين وضوحها، إنه يُعد بلاغة تقنية تنم عن نظام متكامل من الإحالات الثقافية ليجعل الرسالة مفهومة لدى جمهور كبير. ومن هنا جاء هذا

---

(8) Idem, p. 65.

(9) A.F. Fehri, "Trente cinq ans après, l'Aradisation : faux problème ou débat faussé ?" journal *L'Opinion,*15 décembre 1995.

الفيض من المجلات العلمية العربية التي تهدف في المقام الأول إلى نشر المعارف الجديدة (عرب كمبيوتر، الكومبيوتر، مجلة الطبيب، المؤشر، الإداري، إلخ).

3. مسار المترجم:

يستطيع المترجم الذي يعي الثغرات التي يعاني منها معجمه اتباع الخطوات الآتية:

* اللجوء إلى الصياغات الجديدة بطريقة النسخ عن الأصل الأجنبي: النسخ أو الترجمة الحرفية "ضرب من الاقتراض الدلالي ينتقل فيه المدلول دون الدال من لغة مصدر إلى لغة مرود(...) وقد كان لهذا الضرب من التوليد أثر مهم في العمل المصطلحي العربي القديم وخاصة في ما سمي العلوم الدخيلة (...). أما العربية الحديثة، فإن تأثيره فيها كبير سواء في الفاظ اللغة العامة أو في المصطلحات"[10]. ومن الأمثلة على ذلك في مجال الاتصالات:

الشبكة المتفاعلة إنترنت: - Le réseau interactif internet

المعالج الميكروي[11]: - Microprocesseur

استعملت شبكة من العمليات أو التفاعلات عبر الإنترنت. أي: (اتصال بين نظامين يسمح بإجراء حوار بينهما).

هذه الحاسوبات[12] وتدعى مؤدي النسيج منتشرة في أنحاء العالم.

مؤدٍ: - Serveur

والمؤدي نظام معلوماتي يتضمن المعدات والأنظمة المتطابقة: وغرضه إدارة قاعدة معلومات ووضعها في متناول المستخدمين.

أما في مجال الاقتصاد فنقول:

---

[10] إبراهيم بن مراد: "المصلحية وعلم المعجم "، مجلة المعجمية، جمعية المعجمية العربية، تونس، ص14 – 15.

[11] في الأصل الميكروية (المترجم).

[12] في الأصل الكمبيوترات (المترجم).

القرية الشاملة: - Global village

القرية الدولية: - Village planétaire

* استخدام مصطلحات اللغة الدارجة لتسمية مفاهيم غير معروفة. التوليد بالتعبير الدلالي عبر المجاز. ينتقل بوحدة معجمية ما عن دلالتها الأصلية التي وُضعت لها في أصل استعمالها إلى دلالة جديدة إما بتوسيع الدلالة الأصلية توسيعاً مؤدياً إلى التعميم وإما بتضييقها تضييقاً يؤدي إلى التخصيص[13].

ومن الأمثلة على ذلك في مجال المعلوماتية:

إجهاض: - Abandon \Abort

ولوج: - Accès

تراجع: - Annulation (la dernière commande)

* ابتداع المصطلحات مع مراعاة بعض قوانين العربية الفصحى: الاشتقاق بصوغ وحدة معجمية جديدة ذات بنية صرفية مقيدة أو مطلقة، من أصل فعلي أو اسمي أو وصفي وأقوى الأصول الاسمية والفعلية. المصطلحات تندر فيها الأفعال والظروف وتَطرد الأسماء والصفات[14].

ومن الأمثلة على ذلك:

محوسب: - lnformatisé

معولم: - Mondialisé

عولمة: - Mondialisation

دولنة: - lnternationalisation

* اللجوء إلى التأويل/ الشرح: ومثال ذلك:

---

[13] المرجع ذاته، ص 14.

[14] المرجع ذاته، ص 14.

الفضاء الخارجي: - L'espace extra-atmosphérique

شفير الغلاف المغناطيسي الأرضي: - Magnétopause[15]

ليست العبارة المستخدمة هنا سوى ترجمة للتعريف: Limite externe de la magnétosphère صفة لما يتعلق بالفضاء الواقع بين المدار الأرضي ومدار كوكب معين: Cisplanétaire

(وما نجده هنا هو شرح للمصطلح أيضاً)

مقياس الأشعة التصويري[16]: - Radiomètre de transmission d'images

تحويل أحيائي (التحويل الضوئي للطاقة الأحيائية): - Bioconversion

إبادة البيئة الطبيعية: - Écocide [17]

* النحت: أي صوغ وحدة معجمية جديدة بسيطة من وحدتين بسيطتين أو أكثر[18]. ومثال ذلك:

(منقول جواً) مجوقل: - Aéroporté

(مقياس الطيف): - Spectromètre

إن غياب المعيارية للمصطلحات في اللغة العربية قد يجعل المصطلح العلمي نفسه تعاريف واضحة في خطابات مختلفة. وقد نتج عن ذلك وجود مستويات معجمية مختلفة في إطار اللغة المختصة الواحدة، وبالتالي تعدد المصطلحات التي لم يتم في كثير من الأحيان حصرها بدقة وتقنينها في معجم. ولكي يصل إليها يقوم المترجم بأبحاث مضنية، ويجد نفسه في مواجهة مشكلة الترادف، في حين أنه ينبغي أن تميل المفردات في هذا المستوى إلى المحافظة على المعنى، وإلى أحادية الإحالة كي لا تعيق التواصل.

---

(15) Extrait du *Bulletin de terminologie de l'ONU*, n° 326.

(16) Extrait du *Bulletin de l 'ONU sur la science et la technique au service du développment*, n°315.

(17) *Bulletin de l'ONU sur l'enviromement et le développement*, n° 344.

(18) إبراهيم بن مراد: " المصطلحية وعلم المعجمط مجلة المعجمية، جميعة المعجمية العربية، تونس، ص16.

ويمكن على سبيل المثال أن نحصي في مجالات الاتصالات عدداً من المصطلحات لتسمية Réaite virtuelle مثل الواقع الظاهري الواقع الافتراضي/ الواقع الكامن ونحصي أيضاً في مجال الاقتصاد عدداً من المصطلحات لتسمية مفهوم pirvatsation التمليك/ الخوصصة/ التخصيص/ المخصخصة/ التخصصية/ الأهلنة/ التفويت[19].

4. المنهجية المناسبة:

ينبغي لمواجهة تلك الاعتبارات المصطلحية التقنية البحتة، اتباع المنهجية الآتية:

*** معرفة الموضوع:**

كلما ازدادت تقنية الموضوع، ازدادت أهيمة المعارف غير اللغوية، وتناقص دور المعجم. وينبغي الحصول على المعارف غير اللغوية، من نصوص أصلية قيمة (الكتب الوجيزة والمجلات): فهي لا تساعد فقط على فهم النص فحسب، وإنما تساعد أيضاً على إعداد مدونة من لغات الاختصاص تشمل سياقات توضح استخدام المصطلحات. ويتطلب عمل المترجم إلى العربية كما رأينا سابقاً نوعا من التدخل في النص: يقوم المترجم بإنتاج النص، ولكنه يوضح أيضاً الصيغ الجديدة Néologismes الطارئة على اللغة.

*** الاستعداد للتحليل والتركيب:**

والتحليل والتركيب ضرورتان أساسيتان لتفكيك النص وإعادة بنائه: أي الاستفادة من البراغماتية، وتحليل الحقل التركيبي، والتعارض بين المفردات المجردة والمحسوسة. وينبغي في غاية ذلك أن تتم صياغة الرسالة أو ما يريد الكاتب الأصلي قوله في لغة الوصول.

---

[19] خير الدين حسيب، القطاع العام والقطاع الخاص، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماع، 1990م.

*** الفهم الجيد للغة الأجنبية وإجادة استخدام اللغة الأم:**

ويمثل ذلك إعداداً ضرورياً لكي نتجنب عند ترجمة النصوص المختصة الإفراط في استخدام نسخ المصطلحات الأجنبية، والمقولات النحوية للغة الأصل (مثل استخدام صيغة المجهول في اللغة العربية)؛ فكلما كانت الرسالة واضحة للمترجم كانت قدرته على الملاءمة بين المصطلحات "الغريبة" أكثر.

*** إنشاء بطاقات مصطلحية:**

لما كان المترجم في نهاية الأمر المحرر النهائي للنص، كان عليه في كثير من الأحيان أن يرجع إلى بعض الوثائق لتوضيح معنى النص الأصلي ولإيجاد مصطلحية مناسبة. ويسهم إنشاء البطاقات المصطلحية المختصة في تسهيل عمل المترجم. وحتى تكون البطاقة المصطلحية ناجعة ينبغي أن تجيب عن بعض الأسئلة. ونستوحي هذا المفهوم من النموذج الذي أعده دافيد ج ريد Reed David G [20] بخصوص البطاقة المصطلحية القانونية.

إن المصطلح التخصصي الذي ينبغي أن يظهر على البطاقة هو مصطلح ينتمي إلى اللغة القانونية والاقتصادية والعلمية، ويمتلك شحنة معنوية تقنية في سياق تقني. ويفضل تسجيل مختلف التراكيب التي ترافق مختلف المصطلحات لنرى كيف تستخدم هذه اللغة التخصصية، ويمكن على سبيل المثال تسجيل مصطلحات:

دعوى: (في المحاكم) -Action

عمل دبلوماسي: (في الدبلوماسية) -Action diplomatique

"إقامة/ رفع دعوى" وليس "قام بدعوى" -Intenter une action contre quelqu' un

وتحمل أحياناً بعض كلمات اللغة العامة التي توضع في سياق خاص شحنة معنوية قانونية. مثال ذلك كلمة Gratuit في عمل مجاني/ عمل تبرع (في القانون المدني)Acte à titre gratuit،

[20] David G. Reed, "Une fiche terminologique juridique" *Multilingue2-2-1983,pp.101-107.*

وكلمة caché في: عيب خفي (نفص في صفة الشيء المبيع أو المؤجر) vice caché. وينبغي أن تجد المصطلحات المتممة Les termes accessoires مكانها في معجم خاص باللغة القانونية بسبب استخدامها بشكل دائم، ومن هذه الوحدات: إذ يعتبر Considérant que حيث إن، لما كانت، بما أن Attendu que.

ويستند قرار شمل أو استبعاد أي مصطلح إلى عدة عوامل، إذ ينبغي معرفة إن كان المصطلح على علاقة مع جذر وحيد، أي مع كلمة أخذت معنى واحداً فقط:

الحقل 1: المصطلح المدخل في اللغة الأصل.

الحقل 2: المقولة النحوية للمصطلح المدخل.

الحقل 3: مصدر المصطلح المدخل.

الحقل 4: رمز الدولة الأصلية للنص الذي تم تسجيله أو الدولة التي تم استخدامه فيها.

الحقل 5: تعريف المصطلح المدخل كما ورد في نص مختص (وفي حال عدم وجود تعريف، وضع المصطلح المدخل في سياق تعريفي).

الحقل 6: مصدر التعريف أو السياق التعريفي.

الحقل 7: الوظيفة المعجمية للمصطلح المدخل، أي علاقته مع باقي مفردات اللغة في القانون والاقتصاد.

الحقل 8: العائلة المفهومية للمصطلح المدخل. إذا كان المصطلح اسم الجنس لأحد المفاهيم فما مكوناته المختلفة؟

مثال: في العائلة المفهومية للمفردة Contrat هناك accord اتفاق/ عقد، convention_تعاقد، entente تفاهم/ وفاق، obligation التزام، pacte اتفاقية، ميثاق، عهد.

المترادفات الحقيقية: هي مفردات قابلة للتبادل مع المصطلح المدخل في كل السياقات وعددها محدود جداً.

الأضداد الحقيقية: هي المقابلات الدفيفة للمصطلح المدخل.

المضطلعون المحتملون للحذر: أي الأشخاص الذين يشاركون في العقد المتوقع: البائع، والمشتري مضطلعا فعل "يشتري". فهناك l'actant-agent المضطلع القائم بالفعل l'actant-objet المضطلع المفعول به. مثال: Fiduciaire ائتماني (هو الذي أُوصي له بمال، وفُرِضَ عليه دفعه إلى المستحق العهدي) وBénéficiaire (المستحق العهدي)، وهما المضطلعان بالجذرfiducie عقد، استيثاق (عقد يلتزم به مشتري العقار ظاهراً بأن يرده إلى البائع حينما يفي له بالالتزامات التي قطعها على نفسه نحوه).

مثال آخر: مُوكل (Mandant(agent ووكيل (Mandataire (objet) هما مضطلعا الجذر توكيل Mandat.

ويوازي القسم الثاني من البطاقة القسم الأول، إلا أنه يغطي الوصف اللغوي للترجمة إلى العربية:

* يشغل المجال القانوني الذي يستخدم فيه المصطلح المدخل حقلاً بأكمله.
* ويخصص حقل آخر للأحرف الأولى لمعد البطاقة.
* ويشير حقل آخر إلى تاريخ البطاقة.

خاتمة

رأينا أن خطة العمل في ترجمة النصوص المختصة إلى اللغة العربية تتطلب تكامل وظائف الترجمة والتحرير والمصطلحية والتوثيق وتلاحقها. ويشغل التفسير اللغوي حيزاً مهماً في اللغة العربية بينما تميل اللغة الفرنسية إلى حذف التفاصيل التي تعيق القراءة. ونعتقد أن هذا التوضيح يسهم في نقل المعارف لأنه يسمح للجمهور الواسع بالاطلاع بطريقة ما.

إن النقل اللغوي للعلوم والتقنيات ينبغي أن يتكيف مع البنية المنطقية للغة العربية ليكون قابلاً للتلقي، فالعقبات الحقيقية في مجال الترجمة المتخصصة لا تكمن في فيض المصطلحات التي

تشير إلى الشيء نفسه، وإنما في انتقال البنى الإنجليزية أو الفرنسية إلى العربية. ويتضح ذلك على مستوى الاقتراض الدلالي، وعلى مستوى أكثر خطورة أيضاً، هو المستوى التركيبي.

ويمكن التحدث هنا عن ظاهرة التأثير المتبادل إذ تتم عملية وضع المفهوم في اللغة العربية وفق أنماط اللغة الأصل. ونورد على سبيل المثال ملحقاً هو عبارة عن وثيقة رسمية وزعها المصرف المغربي لأفريقيا والشرق BMAO وتمثل في حد ذاتها نمطاً لهذا النوع! ففي زمن العولمة الاقتصادية والثقافية الذي تسعى في اللغة الإنجليزية أكثر من أي وقت مضى لأن تكون اللغة المسيطرة (صاحبة السيادة)، لم تعد ملائمة المصطلح العلمي العربي وضرورة الوقاية من العدوى الدلالية والتركيبية بحاجة إلى برهان.

بحوث ودراسات

في التعليم العالي

عصرنة التراث

أ.د. محمود أحمد السيد

سأحاول في هذه العجالة أن أقف على مفهوم التراث ومفهوم العصرنة وأن أقدم نماذج من عصرنة التراث لأرسم أخيراً بعض الصوى المستقبلية في ضوء هذه العصرنة.

أولاً: التراث مفهوماً وسمات

التراث لغةً مصدر من الفعل ورِثَ إذ يقال: ورِثَ فلاناً أي انتقل إليه مال فلانٍ بعد وفاته؛ ويقال: ورث المال والمجد عن فلان إذا صار مال فلان ومجده إليه.

وفي ضوء المصطلح اللغوي نرى أن التراث لفظ يشمل الأمور المادية والمعنوية؛ ويتمثل في جميع ما يبقيه الآباء والأجداد للأبناء والأحفاد؛ فهو قبل كل شيء هذه الأرض التي نعيش عليها؛ ويجب أن يحتفظ الوارث بها؛ وها هو ذا شاعرنا العربي يقول:

ورثناهُنَّ عن آباء صدقٍ ونورثها إذا متنا بنينا

والتراث يشمل ما أنشئ على هذه الأرض من معالم وما قام على ظهرها من آثار؛ وما حفظ في داخلها من خيرات؛ وما ابتدعه عقل الأمة من مبتكرات؛ وما صنفه من تآليف؛ وما سجله من رسوم؛ وما خطه من مناهج؛ ورسمه من سبل ونظمه من مسالك وطرق.

والتراث في معناه العام يشمل كل ما خلفته لنا الأجيال السابقة في مختلف الميادين الفكرية والأثرية والمعمارية وآثار ذلك في أخلاق الأمة وأنماط عيشها وسلوكها؛ فهو منجز تاريخي

لاجتماع إنساني في المعرفة والقيم والتنظيم والصنع؛ وهو كل ما هو حاضر في وعينا الشامل مما ينحدر إلينا من التجارب الماضية في المعرفة والقيم والنظم والمصنوعات والحضور ...إلخ.

وتراث أمتنا العربية لا يقف من حيث الزمان عند بداية التاريخ الإسلامي؛ وإنما يمتد مع ماضيها إلى ما قبل ذلك موغلاً في أعماق الزمن؛ فماضي كل الشعوب التي أسلمت وتعربت هو من ماضي هذه الأمة؛ وكلُّ الحضارات الفكرية والمادية التي ازدهرت في أرضنا العربية هي في الواقع التاريخي ميراث أمتنا.

وهذا الإدراك لا يصحح ما شاع فينا من أن مكانتنا في التاريخ الحضاري لم تأخذ دوراً قيادياً إلا في العصر الوسيط حيث كان الشرق العربي الإسلامي مناراً للعلم والمعرفة والتمدن وأوروبا غارقة في ظلمات عصورها الوسطى. إذ لا يجوز أن نقف بالتراث عند حد زماني أو مكاني يحصره في نصوص الأدب الجاهلي وذخائر علوم العربية والتاريخ الإسلامي؛ بل تمتد أبعاده لتستوعب التراث القديم لكل أفكار وطننا العربي على امتداد الزمان والمكان فتراثنا العربي أغنى من أن يحد بمرحلة حضارية واحدة؛ فمن بابل وآشور؛ ومن الفراعنة والبابليين وغيرهم من بناة الحضارات القديمة؛ ومن الديانات السماوية وغيرها من الرسالات الروحية والاجتماعية والفكرية الكبرى ينحدر إلينا تراث ضخم هو جَماع التاريخ المادي والمعنوي للأمة منذ أقدم العصور إلى الآن.

ولقد عبر الشاعر الكبير سليمان العيسى عن هذا المنحى قائلاً:

وأبعدُ نحنُ من عبسٍ ومن مُضَرٍ نعم أبعد
حمورابي وهاني بعلُ بعضُ عطائنا الأخلد
لنا بلقيسُ والأهرامُ و البُرديُ و المعبد
و من زيتوننا عيسى ومن صحرائنا أحمد
ومنا الناس يعرفها الجميعُ تعلموا أبجد
و كنا دائماً نعطي وكنا دائماً نجحدُ!

ويتسم تراث أمتنا العربية بالعراقة؛ إذ إنه نشأ قبل ألوف السنين على الأرض العربية؛ وامتد متنامياً عبر الزمان والمكان؛ معبراً عن ذاته في عدد كبير من الحضارات قبل أن يتحد في النهاية في حضارة عربية إسلامية واحدة ذات ثقافة واحدة شملت الأرض العربية كلها.

كما اتسم بقدرته على استيعاب الثقافات الأخرى من فلسفة الإغريق وعلومهم إلى حكمة الهند وفكرها إلى آداب الفرس ونظمها؛ وقد تفاعلت ثقافتنا مع هذه الثقافات دون أن تفقد هويتها أو تذوب او تفقد أصالتها؛ وطبعت ذلك كله بالطابع العربي مبرهنة على قدرة فائقة في التطور والنمو واستيعاب المحدثات في مجال العلوم والتقانة والفنون والآداب؛ وصمدت أمام محاولات التشوية والاستلاب؛ واجتازت بنجاح المعادلة الصعبة بين الحوار المكافئ والأخذ الإيجابي عن الثقافات الأخرى وبين الرفض القاطع لمحاولات طمس الهوية.

وإذا كانت ثقافتنا العربية تؤمن بالانفتاح الرحب على الثقافات الإنسانية فإنها كانت على الدوام ذات سمات إنسانية. ولعلنا لانضيف جديداً إذا ذكرنا أن جوهر أمتنا العربية إنما يقوم على الانفتاح الحضاري الإنساني؛ فمن أرضها قامت الفتوحات وعبرها مرت وتعرضت لمحن واجتياحات؛ ومع ذلك كله بقيت تقدم للعالم أنموذجاً اجتماعياً إنسانياً يؤكد انفتاح الإنسان على أخيه الإنسان، وظلت تحمل راية الحياة المعطاء؛ راية الأخوة الإنسانية.

وبعد أن اخترعت الأبجدية وقدمتها للعالم وشقت البحار ناشرة الثقافة؛ وبعد أن نشأت في رباها أول الشرائع بدءاً بشريعة حمورابي وانتهاءً بشرائع السماء؛ لا نستغرب ما يقوله "توينبي" إن لكل إنسان في العالم وطنين أحدهما مسقط رأسه وثانيهما مسقط روحه وجوهره الإنساني وهو بيئة أمتنا الحضارية.

وليس عجيباً أن تكون الرسالات السماوية التي أسهمت في السمو بالإنسان إلى ذرا الإنسانية السمحة قد وجدت في هذه البيئة الأرض الخصبة لنموها وانتشارها في العالم؛ لأنها في توقها الإنساني التوحيدي لامست روح هذه الأمة؛ روح هذا الوجود الحضاري؛ فوجد فيها تعبيراً عن أشواقه ومثله ونزعته الإنسانية فيه فحملها ونشرها في العالم.

ثانياً: عصرنة التراث

تجدر الإشارة أولاً إلى أنه لابد من النظر إلى التراث على أنه حياة لا موت وحركة لا جمود؛ ذلك لأنه كما سبقت الإشارة مجموعة من المثل والقيم والأعمال والمضامين والأشكال؛ نشأت من الماضي القديم وشقت طريقها إلى الماضي الحديث؛ وسافرت إلينا عبر القرون لتكوّن خلفيتنا وحالنا وكثيراً من مستقبلنا.

وعصرنة التراث تعني اختيار ما في التراث من نماذج وأصول اختياراً قائماً على الفهم والتمييز والفرز والتبويب والتصنيف والتقويم التحليلي الأمين البعيد عن الأهواء العارضة؛ ومن ثم ترسيخ أكثر عناصر التراث قدرة على الإسهام في تغيير واقعنا باستخدام المنهج العلمي في التفكير.

فإذا كان لدى أسلافنا طريقة تفيدنا في حياتنا الراهنة أخذناها؛ وأما ما لا ينفع نفعاً عمليّاً تطبيقياً في حياتنا تركناه. ولقد حدد الدكتور زكي نجيب محمود هذا المنحى قائلاً: "نأخذ من الموروث جزءه العاقل المبدع الخلاق؛ وننبذ جزءه الآخر الخامل البليد؛ نأخذ جزءه العاقل المبدع لا لنقف عند مضمونه وفحواه نبدي ونعيد؛ بل لنستخلص منه الشكل كي نملأ مضمون هذا الشكل من عصرنا ومن حياتنا ومن خبراتنا".

وبهذا تكون عصرية التراث متمثلة في إعطائه قيمة وظيفية حاضرة بتحويله إلى مؤثّرات فاعلة في حياتنا المعاصرة وفي بناء المستقبل الذي ننشده.

فعصرنة التراث لا تعني تقليد التراث؛ ولا أن نعود بحاضرنا ومستقبلنا فنصبهما في قوالب الأمس البعيد؛ ولكنها تعني أن نبصر جذور غدنا الذي نريده مشرقاً في الصفحات المشرقة من التراث؛ وأن نجعل العدل الاجتماعي الذي نناضل من أجله الامتداد المتطور لحلم أسلافنا بسيادة العدل في حياة الإنسان؛ وأن نجعل قسمات العقلانية والقومية في تراثنا زاداً طيباً وروحاً ثوريةً تفعل فعلها في يومنا وغدنا؛ وبذلك يصبح تراثنا روحاً سارية في ضمير الأمة وعقلها؛ تصل

مراحل تاريخها وتدفع مسيرة تطورها خطوات وخطوات إلى الأمام؛ وبذلك وحده يصبح التراث طاقة فاعلة وفعالة على حد تعبير الباحث التراثي محمد عمارة.

وكان العقاد من قبل قد أشار إلى أن الوسيلة المثلى لإيجاد الرغبة في إحياء التراث العربي هو مزجه بالحياة الحاضرة وإتمامه في داخلها؛ فلا يشارف متحفاً قديماً للآثار المحفوظة؛ بل يشارفه كما يدخل في معترك الحياة؛ وينغمس في تيار العاطفة والشعور؛ وليس بعسير إذا حسنت المطالعة وحسن الاجتهاد وحسن التنبيه.

ولقد تبنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الاستراتيجيات التي وضعتها مفهوم الماضي الحي؛ ورأت أن الاصالة تعبر عن هذا المفهوم؛ وتعني اختيار ما في التراث من نماذج وأصول اختياراً قائماً على الفهم والتمييز وعلى ما تنطوي عليه من الإبداع والإبتكار وعلى ما تدل عليه من ذاتية ثقافة الأمة وذاتية العبقرية التي أسهمت في تطور هذا التراث في مجالات القيم والثقافة والفكر، وجوهرها تأكيد على خصائص الإبداع والابتكار وعلى ذاتية الثقافة وتميزها، وعلى اتصالها بعراقة الأمة في ماضيها الحي وعلى استمرارها في التعبير عن شخصيتها في مستقبلها.

ثالثاً: نماذج من عصرنة التراث

لو رحنا نستعرض النماذج التي يمكن أن تكون في نسج حياتنا المعاصرة من تراثنا لأعيانا الحصر والتعداد؛ ذلك لأن ثمة مفاهيم واتجاهات نعتمدها في حياتنا المعاصرة؛ وقد يظن بعضنا أنها من إنتاج الغرب؛ هي موجودة في تراثنا. ولن أتمكن في هذه العجالة من حصرها؛ وحسبي أن أشير إلى بعضها متمثلاً في الوظيفية والمنهج التجريبي والحوار واحترام الرأي وحقوق الإنسان والتربية البيئية.

1 – **الوظيفية:** وتتمثل في التركيز على أن كل ما يتعلمه المرء ينبغي له أن يؤدي وظيفته لصاحبه في الحياة التي يتفاعل معها؛ ويلبي له حاجاته ومتطلبابته؛ إذ لا خير في علم لا ينفع. ومن هنا كان ثمة ربط وثيق في تراثنا بين الجانب النظري من المعرفة والجانب العملي؛ إذ إن ثمة اهتماماً بالجوانب التطبيقية والسلوكية في الحياة بعد أن ارتبط العلم بحاجات البشر ومنافعهم.

وفي الدعاء النبوي: "**اللهم علّمني ما ينفعني؛ وانفعني بما علّمتني وزدني علماً وكل علم وبال على صاحبه إلا من عمل به**".

ولكم نردد في تراثنا مقوله "**العلم بلا عمل جنون؛ والعمل بغير علم لا يكون**"!

وفي ضوء هذا النهج الوظيفي دعا الجاحظ في إحدى رسائله إلى الابتعاد عن المماحكات والتأويلات التي لا تفيد المتعلم في شؤون الحياة إذ يقول في صدد تعليم النحو: "**وأما النحو فلا تشغل قلب الصبي بعويص النحو الذي لا يفيد في المعاملات؛ ويكفي أن تزوده بالقدر الذي يؤدي إلى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه وشعر إن أنشده وشيء إن وصفه؛ وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به من رواية المثل الشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع**".

ويهتم ابن خلدون بالناحية التطبيقيّة في اكتساب العلم؛ إذ ليس المهم معرفة القواعد والقوانين والاصطلاحات في حد ذاتها؛ وإنما المهم القدرة على استخدامها والاستفادة منها عملّياً؛ فقد فرق بين صناعة اللغة التي تكوّنُ قواعدَها وقوانينها واصطلاحاتها وبين ملكة اللغة. والشخص الذي يستوعب هذه القواعد والمصطلحات دون أن يطبقها عملياً يكون مثل الشخص الذي يتقن صناعة من الصناعات علما ولا يكون له أي دراية بهذه الصناعات عملياً.

وفي ميدان الرياضيات كان ثمة اهتمام بالمسائل العملية التي تتناول ما يقتضيه العصر؛ ويدور حول المعاملات التجارية والصدقات وإجراء الغنائم والرواتب على الجيوش؛ كما تتطرق

إلى البريد وطرق البيع والشراء؛ وهذه ميزة امتازت بها المؤلفات العربية القديمة؛ فلقد كان رياضيو العرب يفضلون المسائل العلمية التي تتعلق بحاجات العصر ومقتضياته.

ولو يتبع مؤلفو الرياضيات حالياً بعض الطرق التي كان يسير عليها العرب في وضع المسائل الرياضية كان في ذلك ما يعود على الطلاب بأكبر الفوائد؛ مما يجعلهم يدركون أهمية العلوم الرياضية عملياً في نواحي الحياة المختلفة واتصالها الوثيق بحياة الإنسان المادية.

2 – المنهج التجريبي: ويجيء في مقدمة عصرنة التراث المنهج التجريبي والمعاينة؛ وهو المنهج الذي اعتمده العلماء العرب أسلوباً في الوصول إلى حقائق الحياة وإدراك كنهها؛ إذ إن لعدد غير قليل من رجال الحضارة العربية فضلاً في الحث على تحصيل المعارف عن طريق المعاينة والاختبار والتجربة؛ والبعد عن تحصيلها عن طريق النقل والقياس الأرسطي، وسبيلهما في الغالب هو الحفظ والاستظهار.

وتعد دعوة الجاحظ إلى المعاينة والتجربة أول صيحة في الفكر العربي الإسلامي تسبق دعوة "فرانسوار رابليه" الفرنسي المتوفى سنة 1553م والذي نادى في مثابرة وإصرار بضرورة نبذ المذهب الجدلي في التعليم والتربية؛ وأن يستبدل به مذهب التجربة والاختبار في تحصيل المعرفة. كما سبق العالم البريطاني "فرنسيس بيكون" المتوفى سنة 1626م والذي دعا في حماسة شديدة إلى مذهب الملاحظة والتجربة في التعليم.

وعلى الرغم من أن الجاحظ قد عاش في وسط عاكف على الحفظ ويهتم بالمحفوظ ويعلي من قدر الحفاظ الذين كانوا يتباهون بنوادر الحفظ وغرابته؛ ويجعلونه سبباً إلى الشهرة والولوج إلى أبواب الخلفاء والأمراء وذوي الجاه. على الرغم من ذلك كله وعلى الرغم من تعمقه في الأدب ومسائل الفكر؛ لم يكن ليؤمن بالحفظ قدر إيمانه بالتجربة والمعاينة في كسب المعرفة؛ إذ يقول: "**ليس يشفيني إلا المعاينة**". وتجلى ذلك في التجارب التي كان يجريها على الحشرات.

ولقد أسس العرب أصول علم الكيمياء بتجاربهم ومستحضراتهم؛ وكان جابر بن حيان في مختبره بالكوفة رائداً في مجال التجارب؛ ومن أقواله المأثورة: "**إن علماء الطبيعة لا يفرحون بغزارة المادة؛ ولكنهم يبتهجون بمهارة طرقهم في التجارب**". وعلى هذا النحو استعان الحسن ابن الهيثم على قوانين الضوء بإجراء التجارب على النحو الذي نعنيه اليوم بالتجارب.

وشقّ المنهج التجريبي طريقه إلى الطب؛ فها هو ذا يوحنا بن ماسوية نابغة الطب العربي في عصر الرشيد يعجز عن الحصول على جثث بشرية للتشريح لما في ذلك من مجافاة لروح الإسلام الذي يعلي من كرامة الإنسان؛ فيعمد إلى القردة التي كانت مجلوبة من بلاد النوبة بأرض مصر إلى بلاط الخليفة العباسي فيشرّحها كما يشير إلى ذلك الدكتور فيليب حتي.

ولقد انعكست تقاليد العرب في الطب في الناحية العملية في طرائق التعليم الطبي الاكلينيكي القائمة على مشاهدة المرضى والاستماع بدقة إلى شكواهم واستقصاء أحوالهم وزيارة منازلهم. ومن وسائل ذلك المرور على أسرّة المرضى في البيمارستانات حيث كان شيوخ الأطباء يصطحبون تلاميذهم ويفسرون لهم أحوال المرضى ويشيرون عليهم بالعلاج؛ وهي وسيلة التعليم الطبي السليم القائم على المشاهدة والتجربة؛ وليس نقلاً عن الكتب والمخطوطات.

3 – الحوار واحترام الرأي الآخر: ومن المواقف التي تنضوي تحت عصرنة التراث اعتماد الحوار واحترام الرأي الآخر. ولقد كانت الحلقات العلمية الشعبية مثلاً في هذا المجال؛ إذ كان العلماء فيها على قدم المساواة في حرية التعبير واحترام الآخر بصرف النظر عن ديانته وانتمائه المذهبي وعقيدته. قال خلف بن المثنى: لقد شهدنا عشرة في البصرة يجتمعون في مجلس لا يعرف مثلهم في الدنيا علماً ونباهة وهم: الخليل بن أحمد صاحب النحو وهو سني، والجبري الشاعر وهو شيعي، وصالح بن عبد القدوس وهو زنديق ثنوي؛ وسفيان بن مجاشع وهو خارجي؛ وبشار بن برد وهو شعوبي؛ وحماد عجرد وهو زنديق شعوبي؛ وابن رأس الجالوت الشاعر وهو يهودي، وابن نظير المتكلم وهو نصراني؛ وعمر بن المؤيد وهو مجوسي؛ وابن سنان الحراني وهو صابئي. وكانوا يجتمعون فيتناشدون الأشعار؛ ويتناقلون الأخبار؛ ويتحدثون في جو من الود

والتقدير واحترام الرأي؛ ولا تكاد تعرف منهم أن بينهم هذا الاختلاف الشديد في دياناتهم ومذاهبهم، وقد جسدوا عملياً وواقعياً مقولة احترام الرأي الآخر في جو من المحبة والتفاهم.

وما أحوجنا في ندواتنا وحواراتنا إلى احترام الرأي والموضوعية في إصدار الأحكام على آراء الآخرين وعدم الانفعال والمقاطعة في أثناء الحديث؛ والتحلي بالأناة والصبر في الاستماع إلى وجهات النظر والإتيان بالحجج والأدلة التي نستشهد بها في جو من المجاملة واحترام الرأي؛ ونبذ عقلية التزمت والتشنج والتعصب والتطرف التي شقت طريقها إلى العقل العربي إبان عصور الانحطاط والانحدار والتخلف.

4 – حقوق الإنسان: لقد استطاع الإنسان في القرن العشرين أن يكتشف الكواكب في كبد السماء؛ وأن يسبر أغوار المحيطات؛ ولكنه لم يستطع أن يعيش على الأرض كإنسان؛ وإنّ ما نلاحظه على الساحة الدولية حالياً يشير إلى أنّ الإنسان ما يزال في منأى عن روح الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة ومقاصدها.

في الوقت الذي نلاحظ فيه أن حلف الفضول في تراثنا العربي كان سبّاقاً في مجال الحفاظ على حقوق الإنسان صوناً واحتراماً؛ فلقد اعتاد تجار قريش أكل أموال الناس بالباطل؛ وحدث لرجل يمني أن باع سلعته إلى واحد من بني سهم من قريش؛ فما طله في دفع الثمن حتى يئس. فاعتلى اليمني مكاناً مرتفعاً وقريش في مجالسها حول الكعبة؛ ورفع صوته يشكو ظلمه؛ فمشت قريش بعضها إلى بعض يحركها بنوهاشم؛ واجتمعت عدة بطون في دار الندوة واتفقوا على إنصاف المظلوم من الظالم؛ وساروا إلى دار عبد الله بن جُدْعان؛ وتحالفوا هناك على إباء الضيم وهجر العار وأداء الحق؛ فسمي "حلف الفضول" وروي أن الرسول (ص) شهد حلف الفضول في دار عبد الله بن جدعان قبل نزول الوحي عليه؛ وقال بعد ذلك: والذي نفسي بيده لقد شهدت في الجاهلية حلفاً يعني حلف الفضول؛ أما لو دعيت إليه اليوم لأجبت.

ولم تنظر الحضارة العربية الإسلامية إلى الآخرين نظرة شوفينية متعصبة وتساوى لديها بلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي مع عمار العربي؛ وأصبح سلمان الفارسي أميراً على المدائن وعمار بن ياسر أميراً على الكوفة؛ وأضحى الجميع متساوين.

لا فرق في ذلك بين العربي والرومي والحبشي والفارسي؛ وتلك هي إنسانية حضارتنا وسمو مراميها ونبل مقاصدها وغاياتها.

5 – التربية البيئية: إذا كان العالم المعاصر يعاني المشكلات البيئية بسبب الممارسات الجائرة للإنسان على الطبيعة ومصادرها وفقدان الوعي البيئي تجاهها فإن تراثنا العربي زاخر بالقيم والاتجاهات الرامية إلى الحفاظ على البيئة والتعاطف معها.

وهل يمكننا أن ننسى وصية رسول الله لأصحابه في غزوة مؤتة إذ يقول: أوصيكم بتقوى الله؛ ومن معكم من المسلمين خيراً؛ اغزوا باسم الله وفي سبيل الله؛ لا تغدروا ولا تغلوا؛ ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا كبيراً فانيا؛ ولا منعزلاً بصومعة؛ ولا تقربوا نخلا؛ ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء "ولكم نستقي من هذه الوصية دروساً وعبراً في الحفاظ على حقوق الإنسان أياً كان وصوناً للبيئة وحمايتها.

ولقد تجاوزت النزعة الإنسانية في تراثنا الإنسان إلى الرفق بالحيوان وأنسنته؛ إن دل هذا على شيء فإنما يدل على سمو المشاعر الإنسانية تجاه الكون والبيئة وما فيها من أحياء؛ وهل يمكننا أن ننسى خطاب عنتره لفرسه وتعاطفه معه إذ يقول:

أحدّثه إن الحديث من القرى وتكلأ عيني عينه حين يهجع

وفي موضع آخر يصور فرسه في أثناء القتال قائلاً:

فازْورّ من وقع القنا بلبانه وشكا إليّ بعبرة و تحمحم

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي

وهل يمكننا أن ننسى نداء أبي فراس للحمامة والشريف الرضي لظبية البان. وتوسعت دائرة المشاركة الوجدانية والتعاطف ليسبغ على الوادي والشجر والجبل سمات الإنسان؛ وتلك هي مزية لحضارتنا العربية التي أنسنت المصادر الطبيعية وحولت الأشياء إلى أناس يحسون ويتألمون؛ وتلك لعمري الذروة في المشاعر الإنسانية الرفيعة.

وما أبشع أن تنقلب الآية في عالمنا المعاصر فتتحول أنسنة الأشياء إلى تشيئة الإنسان وانحسار القيم الإنسانية!

وما أمر أن يتحول الإنسان على الأرض إلى شيء لا يحس به أخوه الإنسان!.

رابعاً: صوى مستقبلية

ثمة صوى يمكن الاسئناس بها واعتمادها في انطلاقتنا المستقبلية ومنها!.

1 – الماضي حافز للتفوق والإبداع: إذا كان يقال: الماضي مثل؛ والحاضر عمل؛ والمستقبل أمل؛ فإن المستقبل أمل وعمل في حياتنا المعاصر؛ وإذا كان الاهتمام بالحاضر أمراً لازبا في بناء المستقبل؛ فإن علينا أن نأخذ من الماضي جميع ما يعين على إغناء الحاضر وحسن التخطيط لما هو آت.

وما ضينا الحضاري حافز لنا على التفوق والإبداع؛ على أن نقف منه موقفاً إيجابياً خلاقاً؛ وألا نركن على إبداعات الأقدمين ونعمل على التفاخر بها دون أن نقدم شيئاً؛ بل لابد أن نأخذ نأخذ بمعطيات العصر؛ عصر العلم والتقانة مستندين إلى ماض يمنحنا قوة دافعة إلى الأمام.

2 – التزود بالتفكير العلمي: إن التفكير العلمي لا يمكن اكتسابه إلا بالممارسة والمران والدربة؛ إنه اتجاه يقوم على التحقق من صحة الفروض والبعد عن الخرافة والبحث عن الدليل الواقعي والبرهان والتحرر من تأثير التحيز والانفعال والأهواء والعواطف؛ واتساع الأفق العقلي وعدم الجمود في النظر إلى الحقيقة العلمية وتقبل النقد واحترام الرأي والإذعان للحقيقة.

ومن هنا كان لابد لنا في انطلاقتنا المستقبلية من العمل على سيرورة التفكير العلمي والعناية بالبحث العلمي وتعميق الفهم الشعبي للقضايا العلمية والتقانية وتوضيح دورها في التنمية ونشر المنهج العلمي في تبادل شؤونها؛ ذلك لأن العناية بالبحث العلمي هي السبيل لمعالجة قضاياها المجتمعية معالجة موضوعية؛ مع التركيز على تحرير الفكر العربي المعاصر من إرهاب الفكر الخرافي المتزمت والمتعصب وضيق الأفق والأثرة؛ وتأصيل احترام العقل والنقد واحترام الرأي.

3 – تعزيز الانتماء: إن الحفاظ على الهوية والذاتية الثقافية للأمة واجب مقدس في عصر العولمة؛ إلا أن ذلك لا ينفي أهمية الانفتاح الرحب على الثقافات الأخرى في جو من العقلنة، ذلك لأن الحفاظ على الهوية لا يعني الجمود؛ بل هو عملية تتيح للمجتمع أن يتطور ويتغير دون أن يفقد هويته الأصلية؛ وأن يتقبل التغيير دون أن يغترب فيه؛ إنه التفاعل بين الأصالة والمعاصرة؛ بين الإيجابي البناء في تراثنا والإيجابي البناء من الثقافات الأخرى بما يتفق ومناخنا وأرضنا وفي جو من الندية؛ وفي منأى عن الدونية والانبهار والاستلاب؛ مقتدين بأجدادنا إبان الألق الحضاري لأمتنا.

4 – الاستثمار في مناجم العقول: إن أعظم ثروة في العالم إنما هي ثورة المعرفة؛ فالمعرفة قوة؛ والأمم العارفة هي الأمم القوية.

ومن هنا كان الاستثمار في الموارد البشرية يعد أفضل استثمار؛ وغدت مناجم العقول موئل الأمم المتقدمة. وعندما أولت حضارتنا العربية الإسلامية العقول اهتمامها بلغت الأوج تقدما وارتقاء؛ وعندما مرت على أمتنا في القرن السابع للهجرة وما تلاه غاشية الجمود والركود انقطع الناس عن العلم وسادت نزعة التقليد والتواكل والسلبية واللامبالاة والسذاجة والميل إلى الرتابة واللفظية والركاكة والسطحية والانغلاق والجمود والشلل الفكري.

ومن هنا كان الاستثمار في التنمية البشرية تأهيلاً وتدريباً مستمراً أمراً على غاية كبيرة من الأهمية إضافة إلى الحيلولة دون النزف البشري الذي يشكل خسارة ثقافية واقتصادية كبيرة تزيد من نقص الكفايات التي يحتاج إليها الوطن في تنميته الشاملة.

5 – التفاؤل بالمستقبل: إذ من غير التفاؤل لا يمكن للمرء أن يرتقي ويبدع؛ ولا يمكن للأمة أن تواجه التحديات التي تتعرض لها إلا إذا تسلح أبناؤها بالعزيمة والإرادة والتصميم والثقة بالغد والمستقبل.

مناهج التأريخ قبل الإسلام وبعده

أ.د. عبد اللطيف البرغوثي
جامعة القدس

المقدمة:

لا يخفى ما للمنهج المتبع في التأريخ لموضوع معين من أهمية بالنسبة لبنية البحث، وعلميته، ومصداقية نتائجه، والبحث الحالي هو ثمرة ورقة قدمت في مؤتمر "التأريخ الإسلامي وأزمة الهوية" الذي عقد في طرابلس – الجماهيرية الليبية في شهر شباط / فبراير عام 2000م. والغاية من هذا البحث، هي تقديم وصف تحليلي لنشأة وتطور مناهج تدوين العرب لتاريخهم في جاهليتهم وبعد إسلامهم بدءا بالرواية الشفوية في الجاهلية وصدر الإسلام، وانتقالا إلى التدوين منذ سيرة ابن إسحاق (ت 768م) ووصولا إلى ابن خلدون (ت 1406م) مؤسس المنهاج الحديث لتدوين التاريخ.

وفي هذه المرحلة التي تقف أمتنا فيها على عتبة الألفية الثالثة، وتواجه التحولات العالمية الكبرى التي تأتي العولمة في مقدمتها، وتحاول أن تتلمس أفضل السبل التي تمكنها من الانتظام بنجاح في مواكب هذا العصر من ناحية، والحفاظ على أصالتها وعراقتها من ناحية ثانية، لا بدلها وهي تدون تاريخها أو تعيد تدوينه، من التأكيد على العناية بأن يأتي التواصل أصيلاً بين العصري والموروث. وفي هذا الصدد يقدم هذا البحث إسهاماً متواضعا بالكشف عن نشأة وتطور مناهج تدوين التاريخ على أيدي المؤرخين العرب، ليدعو مؤرخينا ضمنياً إلى الاستناد إليها في تعديل ما يأخذون به من مناهج تدوين التاريخ الأوروبية بما يحقق معادلة الأصالة والمعاصرة ولا

بد من التبكير بالإشارة هنا إلى أن هذا البحث اعتمد على مصارد ومراجع عدد من أبرز المؤرخين العرب كما هو مبين في لائحة المصادر والمراجع.

ولا بد في البداية من التذكر بأن مهد العرب هو شبه الجزيرة العربية التي فرضت بيئة شمالها الصحراوي على عرب الشمال نظاماً بدوياً قبلياً غلب عليه الرحيل، وأدت بيئة جنوبها الممطر إلى قيام دويلات إقطاعية معتمدة على الزراعة والتجارة، لم تلبث أن تقهقرت وخضعت للشمال وانطبعت بطابعه البدوي القبلي. ومع أن عرب الجاهلية كانوا غير منقطعين عن الحضارات المجاورة، إلا أن صلاتهم معها كانت في حدود ضيقة، وكذلك تأثرهم بها (شوقي ضيف 81– 82) في الوقت ذاته كانوا أميين في معظمهم، ومع أن الكتابة كانت معروفة لدى بعضهم إلا أن أدواتها المتاحة لم تكن تشجع على استعمالها. وخير دليل على ذلك كيفية كتابة القرآن الكريم على رقائق العظام والحجارة وسعف النخيل. وأيضاً فإن الشعر الذي هو "ديوان العرب" وموضوع فخرهم واعتزازهم، ظل يجري تداوله مشافهة، فلا نجد راويا ثقة يزعم أن شاعرا في الجاهلية ألقى قصيدة من صحيفة مدونة. وظلت هذه الأحوال سائدة إلى أواخر العصر الأموي عندما بأت فكرة التدوين تسلك طريقها في تسجيل غزوات الرسول (ص) وأحاديثه، وفي تقييد بعض الأخبار التاريخية: فدون زياد ابن أبيه كتاباً في المثالب، ودون عروة بن الزبير غزوات النبي، عليه السلام، وحروبه (المرجع السابق، ص 158– 159).

وإذن فإن العرب قبل الإسلام، لم يؤرخوا لأحداث أيامهم ومجتمعاتهم، وإنما كانوا يتداولون الأشعار والأخبار والقصص والأساطير شفويا في مجالسهم وملتقياتهم دون فحص أو تدقيق[1]

[1] غالبية أهل الجاهلية لم تكن لهم كتب مدونة في تأريخهم، ولم تكن عندهم عادة تدوين الحوادث وتسجيل ما يقع لهم في كتب وسجلات، بل كانوا يتذاكرون أيامهم وأحداثهم وما يقع لهم ويحفظون المهم من أمروهم مثل الشعر حفظاً. وبسبب محدودية طاقة الذاكرة وضعفها، ووفاة شهود الحوادث وتباعد الزمن، ضاع الكثير من الأخبار، ولم يبق بتوالي الأيام غير القليل منها (جواد علي، نفس المرجع، ج1، ص118).

(المرجع السابق ص 165، وجواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص70-71، ومقدمة السيرة لابن هشام، ص4).

2. موارد التاريخ الجاهلي:

يرى الدكتور جواد علي بحق أن تاريخ الجاهلية هو أضعف قسم كتبه المؤرخون العرب في تاريخ العرب، يعوزه التحقيق والتدقيق والغربلة. وأكثر ما ذكروه على أنه تاريخ هذه الحقبة، هو أساطير*، وقصص شعبي، وأخبار أخذت من أهل الكتاب ولا سيما اليهود وأشياء وضعها الوضاعون في الإسلام، لمآرب اقتضتها العواطف والمؤثرات الخاصة" (جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص 42). لذلك لم يكتف المستشرقون بتلك الروايات بل لجؤوا إلى موارد أخرى تتمثل في:

1. النقوش والكتابات.
2. التوراة والتلمود والكتب العبرانية الأخرى.
3. الكتب الكلاسيكية كاليونانية واللاتينية والسريانية ونحوها.
4. وأخيراً الموارد العربية الإسلامية.

(جواد علي، نفس المرجع والجزء، ص 43)

ولما كانت الموارد الثلاثة الأولى مقصورة على المستشرقين، فسأكتفي بإشارات مقتضبة إليها. ثم أعرض بقدر من التفصيل للموارد العربية الإسلامية:

1. النقوش والكتابات: فالنقوش الموجودة على الآثار والكتابات لم يكتشف منها إلا القليل في شبه الجزيرة العربية، لأسباب منها:

* يؤكد اهتمامهم بالأساطير وتداولها كثرة الإشارة إليها في القرآن: الأنعام25، الأنفال31، النحل24، المؤمنون83، الفرقان 5، النمل68، الأحقاف17، القلم15، المطففين13.

- أن أكثرية علماء الآثار من غير العرب؛ ولذلك ليس لديهم من التسهيلات ما يسمح لهم بالتجول وإجراء الحفريات اللازمة.
- علم الآثار جديد على العرب. وعلماؤه منهم محدودون عددا وإمكانات، ومعظمهم يعملون في أقاليمهم خارج شبه الجزيرة العربية التي هي مهد آثار العصر الجاهلي.
- تقصير الأنظمة الحاكمة في حماية الآثار القديمة من اللصوص، والجهال، ومشاريع هدم الآثار للاستفادة من حجارتها، أو لإقامة مبانٍ جديدة على مواقعها.

أما النصوص التي تم العثور عليها وجرى تحليلها فهي قليلة، وأغلبها متعلق بأمور شخصية؛ مما يقلل الاستفادة منها على المستوى الحضاري إلا في موضوعات محدودة كالدراسات اللغوية. (جواد علي، نفس المرجع ص43 – 44). في الوقت ذاته، فإن معظم الكتابات التي وجدت ليست مؤرخة بطريقة يسهل معها ضبط الزمن الذي دون فيه النص؛ لأنهم كانوا يؤرخون بأيام الملوك أو الرؤساء، غير منتبهين إلى أن الملك أو الرئيس المعني سيصبح غير معروف فيما بعد للأجيال التالية؛ مما يجعل ضبط تاريخ المحادثة المعنية أمراً في منتهى الصعوبة (جواد علي، نفس المرجع ص46).

2. **التوراة والتلمود والكتب العبرية الأخرى:** أما التوراة والتلمود والتفاسير والشروح فقد كتبت في أوقات مختلفة، وأقدم أسفارها هو سفر "عاموس" الذي يظن أنه كتب حوالي 750ق.م. وآخرها سفر "دانيال" والإصحاحان الرابع والخامس من "المزامير"، وقد كتبت قي القرن الثاني ق.م ولذلك فإن ما ذكر عن العرب في التوراء يرجع تاريخه إلى الفترة 750 – 200 ق.م. فقط. (جواد علي، نفس المرجع ص 53 – 54).

3. **الكتب الكلاسيكية اليونانية واللاتينية والسريانية ونحوها:** وبالنسبة للكتب اليونانية واللاتينية، فإن أشهر من كتب عن العرب من اليونانيين هو هيرودوتس (480 – 425ق.م.)، الملقب بأبي التاريخ، وكتابه موجود لدينا بترجمته الإنجليزية. فقد زار هيرودتس بعض البلدان العربية، وتتبع شؤون الشرق وأخباره، فوصف ما شاهد، ودون ما سمع في كتاب تاريخي

مبوب، هو في الأساس مكرس لتاريخ الصراع بين اليونان والفرس. ومع أن الكتاب يعتبر النموذج الأول لكتابة التاريخ، إلا أنه ضمنه كثيراً من الحكايات والأساطير التي لا يقبلها العقل (جواد علي، نفس المرجع ص 58).

ومن المؤلفين الرومان الرحالة سترابو (Strabo) (64 ق.م. – 19م) الذي ألف كتاب "الجغرافيا" في سبعة عشر جزءاً، خصص فصلا في الجزء السادس عشر منها لبلاد العرب: فذكر مدائنها، وقبائلها، وأحوالها التجارية، والاقتصادية والاجتماعية، وأرخ لحملة إيليوس جلُّوس Aelius Gallus الفاشلة لفتح بلاد العرب، وقد شارك هو نفسه في تلك الحملة (جواد عليٍ، نفس المرجع ص58). ومنهم أيضاً المؤرخ اليهودي يوسف (37 – 100م) الذي ألف كتاب تاريخ حروب اليهود من استيلاء أنطيوخس إبيفانس (Antiochus Epiphanus) على القدس سنة 170ق.م. إلى استيلاء طيطس عليها مرة ثانية عام 70م. وكان يوسف في الأصل قائداً للقوات اليهودية في منطقة طبريا، لكنه بعد أن هزمته القوات الرومانية، استأذن طيطس أن يسمح له بمرافقة الحملة الرومانية على القدس ليدون تاريخها، وكان له ذلك. وقد رضي عنه الرومان وسموه (Josphus Flavius) ومنحوه حقوق المواطن الروماني. وكتابه موجود لدينا باللغة الإنجليزية، وفيه أخبار عن العرب، ولا سيما الأنباط منهم وعلاقتهم بالعبرانيين (انظر أيضاً جواد علي، نفس المرجع ص55).

ويورد جواد علي قائمة بأسماء عدد غير قليل من المؤلفين اليونان والرومان الذي تعرضوا لأخبار عربية في كتاباتهم، ويلحق بهم أيضاً قائمة أخرى بأسماء مؤلفين من النصارى الروم والسريان الذين عاشوا في العصرين الأموي والعباسي، وأرخوا باليونانية والسريانية للكنيسة ولانتشار الديانة النصرانية في بلاد العرب، وتطرقوا أثناء ذلك إلى القبائل العربية، وعلاقات العرب باليونان والفرس، وأوردوا في مؤلفاتهم معلومات غير واردة في المؤلفات الإسلامية عن الجاهلية والإسلام. (جواد علي، نفس المرجع ص61 – 65).

4. الموارد العربية الإسلامية (المواد التي دونت في الإسلام عن الجاهلية جمعاً من الرواة): هذه المواد كثيرة ومتنوعة فمنها كتب في التاريخ، وكتب في الجغرافيا والبلدان والرحلات، وكتب في الأدب بشقيه: الشعر والنثر، وكتب في التفسير والحديث والأنساب وموضوعات أخرى. وجميعها تقدم معلومات كثيرة أو قليلة تتعلق بتاريخ الجاهلية.

وفوق جميع تلك المصنفات، القرآن الكريم وهو وإن لم يكن كتاب تاريخ، إلا أنه كتاب عربي مبين، خاطب العرب بلغتهم التي يتقنونها ويفتخرون بها ووصف أحوالهم، وعقائدهم، وذكرهم بأحوال الأمم الخالية، وطالبهم بترك ما هم عليه وبالدخول في الإسلام، وأشار إلى تجاراتهم وسياساتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وإلى بعض أصنامهم، وجدالهم مع الرسول في الإسلام وفي الحياة وفي المثل الجاهلية. ولذلك، فلا غنى عنه لفهم تاريخ الجاهلية (جواد علي، المرجع نفسه ص 66).

ويرتبط بالقرآن الكريم التفسير الذي يشرح ما جاء موجزا في القرآن، ويفصل المعلومات الخاصة ببعض القبائل العربية التي ورد ذكرها في القرآن كالقبائل البائدة، ويقدم معلومات قيمة حول نواح كثيرة من الحياة الجاهلية. كذلك فإن كتب الحديث وشروحاتها، تشكل مورداً غنياً بمعلومات عن حياة العرب في الجاهلية؛ لا غنى عنه في تاريخ الجاهلية. (جواد علي، المرجع نفسه ص 67).

والأدب الجاهلي ولا سيما الشعر، مورد بالغ الأهمية للوقوف على تاريخ الجاهلية. ولبيان أهميته ننقل ما رواه عكرمة عن عبد الله بن عباس بقوله: "ما سمعت ابن عباس فسر آية من كتاب الله، عز وجل، إلا نزع فيها بيتا من الشعر، وكان يقول: فإنه ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب، وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله، وغريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحديث صحابته والتابعين" (جواد علي، المرجع نفسه ص 67-68).

3. لماذا لم يدون التاريخ الجاهلي، ومتى دون ما وصلنا منه؟

سبقت الإشارة إلى أن معظم عرب الجاهلية كانوا أميين، وأن أدوات الكتابة لم تكن تشجع على استعمالها (ص2 بأعلاه). وفي الوقت ذاته، كانت اللغة تعيش حياة المشافهة، ويجري تعلمها بالسليقة من خلال سماعها، وقد ظلت كذلك إلى أن بدأت عملية التدوين الشاملة في عهد أبي جعفر المنصور (136 – 158هـ)، ولذلك كان من الطبيعي أن لا نجد تاريخاً جاهلياً مكتوباً.

وجاء الإسلام ثورة عارمة شاملة قلبت حياة الجاهلية، وخلقت جوا نفسيا عاماً ينظر إلى الحقبة الجاهلية الوثنية كعصر بائد (انظر جواد علي، المرجع نفسه ص 109) مما جعل المسلمين يشيحون بوجوههم عن ذلك العصر، وينشغلون حتى عن الشعر، الذي هو ديوانهم، بالدين الجديد وبما تطلبه من جهاد، ويركزون أنظارهم واهتماماتهم على الحاضر والمستقبل على حساب الماضي. يقول الدكتور محمد عابد الجابري في هذا الصدد: "قد لا نكون مبالغين إذا قلنا إن العرب كانوا في عهد أبي بكر وعمر على الأقل، يحاربون صورة الماضي الجاهلي في وعيهم بكل عنف وبمختلف آليات الكبت المعروفة. إن ما قبل الإسلام بالنسبة لهم كان يمثل (ما قبل التاريخ).. تاريخهم، وليس من المصادفة في شيء أن يختار عمر بن الخطاب يوم هجرة الرسول إلى المدينة ليجعلها بداية التاريخ العربي، بل لكل (تاريخ)" (الجابري، تكوين العقل العربي، ص59).

وفي مثل هذا الجو النفسي العام، كان المجتمع الإسلامي، وبخاصة في صدر الإسلام، يحتقر من يهتم بتدوين أخبار الماضي وحفظ مفاخره، واكتسبت كلمة إخباري (التي يقصد بها المؤرخ) معنى سيئاً، وصارت صفة تعبر عن ازدراء الموصوف بها، مثال ذلك ما حدث لابن الكلبي الذي لم يحتقر فقط وإنما هوجم بعنف؛ لأنه أقبل في كتابه "الأصنام" على دراسة الديانات

والطقوس الوثنية في بلاد العرب، وهي أمور قرر الإسلام طمسها (انظر جواد علي، المرجع نفسه ص 108)*.

ولذلك فإن المؤرخين العرب، الذين اقبلوا على كتابة التاريخ، قبيل عصر التدوين وبعده الذي نقل اللغة العربية من الشفوية إلى الكتابية، والذين وفقوا إلى حد كبير في كتابة التاريخ الإسلامي، لم ينجحوا نجاحاً مماثلاً في كتابة التاريخ الجاهلي، "بل قصروا فيه تقصيراً ظاهراً فاقتصر علمهم فيه على الأمور القريبة من الإسلام، على أنهم حتى في هذه الحقبة لم يجيدوا فيها إجادة كافية، ولم يظهروا فيها براعة ومهارة، ولم يطرقوا كل الأبواب أو الموضوعات التي تخص الجاهلية فتركوا لنا فجوات وثغر ات لم نتمكن من سدها وردمها حتى الآن" (جواد علي المرجع نفسه ص 107).

أما متى بدئ بتدوين تاريخ الجاهلية، فقد تبين مما تقدم أن تدوين تاريخ تلك الحقبة إنما حدث على نطاق ضيق في أواخر العهد الأموي، وعلى نطاق أشمل في العصر العباسي. وكان الحافز الأساسي للمؤرخين هو الدوافع الدينية فيما يتعلق بتفسير القرآن، وتدوين وشرح الأحاديث النبوية، وسيرة الرسول. وكان لا بد لهم خلال ذلك كله، من التطرق إلى تاريخ العرب في الجاهلية بعامة والشعر الجاهلي بخاصة، ليس بقصد تدوين ذلك التاريخ، وإنما لتوظيف ما وصلهم منه في خدمة أعمالهم الإسلامية.

* انظر أيضاً جواد علي، المرجع نفسه ص 113–114 حيث يفسر ازدراء المجتمع للإخباريين بأنه لم يكن ناتجا عن روايتهم لأخبار الجاهلية فقط وإنما لإغرابهم في رواية الأخبار ومبالغتهم فيها، وسرد الإسرائيليات والنصرانيات والشعبيات، ولكذب بعضهم أيضاً. لاحظ أيضاً ما أورده في ص 115 من أن العرب في صدر الإسلام لم يكونوا يطلقون لفظة المؤرخ على من يشتغل بالتأريخ بل يطلقون عليه لفظة الإخباري ويطلقون على الموضوع نفسه لفظة الأخبار؛ ذلك لأن التأريخ نفسه لم يكن في ذلك العهد قد تطور وبلغ الشكل الذي بلغه في أواخر العهد الأموي وفي الدولة العباسية.

4. التأريخ عند العرب بعد الإسلام:

مع انتظام عملية التدوين الشاملة التي سبقت الإشارة إليها، والتي أدت إلى نقل اللغة العربية من مرحلة الشفوية إلى مرحلة الكتابية، وظهور أجيال من المسلمين اختلطت في عروقها الدماء العربية بغير العربية، واطلاع المسلمين على منجزات حضارات العالم القديم من خلال ازدهار حركة الترجمة، أقبل العلماء المسلمون الأوائل، المتصفون بالموسوعية في معارفهم، على التدوين في مختلف حقول المعرفة. ولعل النص التالي للذهبي شمس الدين محمد (1274 – 1348م) يصور تلك الانطلاقة العلمية خير تصوير:

> في سنة ثلاث وأربعين [ومائة هـ] شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه، والتفسير، فصنف ابن جريج بمكة، ومالك الموطأ بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عروبة، وحماد بن سلمة وغيرهم بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنف ابن إسحاق المغازي، وصنف أبو حنيفة رحمه الله الفقه والرأي، ثم بعد يسير صنف هُشَيم، والليث، وابن لهيعة، ثم ابن المبارك، وأبو يوسف، وابن وهب، وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية، واللغة، والتاريخ وأيام الناس، وقبل هذا العصر كان أئمة يتكلمون من حفظهم، أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة (السيوطي، ص 301).

ومن الواضح أن هذا النص يحدد تاريخ هذه الانطلاقة العلمية الكبرى، ويحدد ليس أسماء أعلام القائمين بها فقط، وإنما أيضاً أسماء بلدانهم، وعناوين موضوعات مصنفاتهم، ويلفت النظر إلى استخدامهم للفكر في تبويب كتاباتهم، وإلى ما امتازوا به عمن سبقهم من الأئمة[1]. ولأننا في هذا البحث معنيون من بين كل الموضوعات المذكورة بالتاريخ فقط، فلا بد أن نشير إلى أن الموضوع الذي حظي بالأولوية لدى الأوائل من المؤرخين المسلمين هو تدوين أخبار الرسول،

[1] انظر أيضاً تحليل الدكتور محمد عابد الجابري لهذا النص في كتابه" تكوين العقل العربي" ص62–63.

عليه السلام، بما فيها مولده ونسبه، ومبعثه، وهجرته، ومغازيه، فكان تدوين السيرة النبوية اللبنة الأولى في تاريخ الإسلام[1].

ولذا فنحن ننطلق في محاولة رسم معالم حركة التأريخ في الإسلام وتطور مناهجها وأساليبها من هذه السيرة النبوية، التي دونت على أنها جزء من الحديث النبوي. وإذا ما طالعنا مقدمتها فإنا سنقرأ الفقرة التالية:

> في عهد الخليفة العباسي، أبي جعفر المنصور، دخل عليه محمد بن إسحاق وبين يديه ابنه المهدي، فقال له: اتعرف هذا يا ابن إسحاق؟ قال: نعم ابن أمير المؤمنين. قال: اذهب فصنف له كتابا منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى يومك هذا. فذهب فصنف له هذا الكتاب فقال: لقد طولته يا بن إسحاق، اذهب فاختصره، فذهب فاختصره.. وأسمى ابن إسحاق مصنفه "المغازي والسير". وقد فقد هذا المصنف كما فقدت جميع المصنفات السابقة والمعاصرة له التي تناولت سيرة الرسول. لكن ابن هشام حفظ لنا مجهود ابن إسحاق كما سمعه من البكائي مع شيء من التحرير (سيرة ابن هشام، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ص3).

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى ما أخذ على ابن إسحاق من تضمين السيرة أشعارا مصنوعة ومنسوبة إلى أشخاص من القبائل البائدة. وقد ذكر ابن هشام تلك المآخذ في مقدمته للسيرة فذكر أنه ترك من سيرة ابن إسحاق بعض ما ليس للرسول فيه ذكر، وما لم ينزل فيه من القرآن شيء، وأشعارا لم يعرفها العالمون بالشعر، وأشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعضها يسوء بعض الناس ذكره (مقدمة سيرة ابن هشام، ص4).

هذه اللمحة الموجزة عن مضمون السيرة، يعنينا منها أمران هامان بالنسبة لموضوع هذا البحث: الأمر الأول، قوة تأثير الروايات الشفوية على المؤرخين الأوائل، مما كان يحمل الكثيرين منهم على القبول بها دون إخضاعها للنقد المنطقي، والأمر الثاني، أن توجيه الخليفة المنصور

[1] انظر مقدمة تاريخ الطبري، (دار الكتب العلمية، ط1، م1 ص6).

لابن إسحاق أن يشمل كتابه التاريخ منذ خلق آدم إلى أيام المنصور، سيصبح تقليدا لدى كبار المؤرخين المسلمين في ما قبل العصر الحديث أمثال الواقدي (130 – 207هـ)، والطبري (224 – 310هـ = 923م)، وابن الأثير (ت 630هـ/1234م)، وحتى ابن خلدون (1332 – 1406م). وقبولهم بهذا التقليد أوقعهم في القبول بروايات عما قبل التاريخ لا تصمد للمنطق، ولا يتقبلها العقل، لأنها لم تستند على وثائق صحيحة ثابتة.

أما الأمر الأهم، فهو المنهج الذي سار عليه كاتب السيرة، وهو المنهج الذي اتبع في جمع الأحاديث النبوية وتبويبها، وهو منهج يقوم على الرواية أساسا فيبدأ الكاتب بأقرب الرواة على زمنه ويسير في سلسلة من السند: فلان عن فلان إلى أن يصل إلى الراوي الذي سمع الحديث من الرسول عليه السلام، ثم يدون نص الحديث المعني، ويبوب الأحاديث حول الموضوعات التي تتناولها ويحكم عليها بالصحة أو الضعف وفقا لمعايير الكاتب ومن خلال آلية الجرح والتعديل. وسنحاول تتبع هذا المنهج لدى المؤرخين المذكورين في الفقرة السابقة لنرى كيف تطور على أيديهم.

أولاً – محمد بن عمر بن واقد (747 – 822م):

إذا طالعنا مقدمة تحقيق كتاب المغازي للواقدي، فإننا نستطيع أن نستخرج منها النقاط التالية المتصلة بموضوع هذا البحث:

1. كان الواقدي مجتهداً في جمع الأحاديث، وقد بلغ ما جمعه منها حسبما رواه علي بن المديني عشرين ألف حديث.
2. اعتنى الواقدي عناية بالغة بالعلوم الإسلامية بعامة، والتاريخ منها بخاصة، مما جعل إبراهيم الحربي يصفه بأنه كان أعلم بأمر الإسلام لكنه لم يكن يعرف عن الجاهلية شيئاً.

3. اعتنى الواقدي كذلك، حسبما وصفه به تلميذه وكاتبه ابن سعد، بالمغازي، والسيرة والفتوح، واختلاف الناس في الحديث، والأحكام، واجتماعهم على ما اجتمعوا عليه، وقد دون ذلك في كتب وضعها وحدث بها (مقدمة المغازي ص10).
4. تميزت مغازي الواقدي بالسير على نظام متكامل لتأريخ المغازي؛ لذلك نجد في كتابه تاريخاً محدداً لكل غزوة، وبذلك حسن كثيرا على المغازي التي ذكرها ابن إسحاق لكن لم يحدد تاريخها (المقدمة ص32).
5. يذكر الواقدي بكل وضوح أنه كان يتبع منهجا نقدياً واعياً فنياً في اختيار أخباره وتنظيمها، ثم يتبع ذلك بذكر آرائه وأفكاره بصراحة بخصوص تلك الأخبار كأن يقول: "والثابت عندنا" أو "والمجتمع عليه عندنا" (المقدمة ص34).
6. اجتهد الواقدي بوعي في تطبيق منهجه المذكور في البند السابق؛ فكان يرتب تفاصيل الحوادث بطريقة منتظمة ثابتة، فيبدأ الحديث عن المغازي بذكر قائمة طويلة من الرجال الذين نقل عنهم أخبارها، وكثيراً ما كان يجمع الرجال والأسانيد في متن واحد ثم يعمد إلى الحديث عن المغازي واحدة واحدة، مع تحديد لتاريخها وبأسلوب موحد يتلخص في ذكر اسم الغزوة واحدة واحدة، مع تحديد لتاريخها، وبأسلوب موحد يتلخص في ذكر اسم الغزوة أولاً وتاريخها وأميرها. وغالباً ما يتطرق إلى تفاصيل جغرافية عن موقع الغزوة، ثم يذكر المغازي التي غزاها النبي بنفسه، وينتهي بذكر شعار المسلمين في القتال (المقدمة، ص31).

ثانياً – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224 – 310هـ):

مع الطبري نصل الآن إلى القرن الهجري الثالث الذي تقول مقدمة تحقيق تاريخ الطبري عنه بحق، إن العلوم الإسلامية اقتربت فيه من النضج، فقد أرسيت أسس مذاهب اللغة العربية الفصيحة، وقعدت قواعدها، وصنفت كتب السيرة والمغازي والفتوح، واستوعبت العربية قدراً غير قليل من علوم الفرس والهند واليونان، وتنوعت واتسعت آفاق المعرفة عند العلماء، واتسع

استخدام الترجمة كقناة لتفاعل الحضارات. في هذا الوسط النهضوي نشأ الطبري، وتكون عالماً موسوعياً متمكناً في المجالات المعرفية المختلفة ولا سيما الفقه، والتفسير، والحديث والقراءات، والتاريخ (مقدمة التحقيق، ص 3 – 5).

أما تاريخه الذي اشتهر باسم "تاريخ الطبري" فهو"تاريخ الرسل والملوك" أو"تاريخ الأمم والملوك"، وقد وصفته مقدمة التحقيق بأنه" أوفى عمل تاريخي بين مصنفات العرب، اقامه على منهج مرسوم، وساقه في طريق استقرائي شامل، بلغت فيه الرواية مبلغها من الثقة والأمانة، أكمل ما قام به المؤرخون قبله، كاليعقوبي والبلاذري، والواقدي، وابن سعد، ومهد السبيل لمن جاء بعده، كالمسعودي، وابن مسكويه وابن الأثير، وابن خلدون (مقدمة التحقيق، ص6). ومع ذلك، فقد ظل الطبري واقعا تحت النهج الذي سار عليه ابن إسحاق تنفيذاً لطلب ابي جعفر المنصور أي إنه بدأ تاريخه" بذكر الدلالة على حدوث الزمان، وأول ما خلق بعد ذلك القلم... ثم ذكر آدم وما كان بعده من أخبار الأنبياء والرسل، على ترتيب ذكرهم في التوراة... مع ذكر الأمم التي جاءت بعد الأنبياء حتى مبعث الرسول عليه السلام. أما القسم الإسلامي فقد رتبه على الحوادث في كل عام ابتداءً من عام الهجرة حتى عام ثلاثمائة واثنين، وذكر في كل سنة ما وقع فيها، وهذه إضافة جديدة على المناهج التي سار عليها من سبقه من المؤرخين. لكنه في الوقت ذاته ظل سائرا على طريقة السند في الرواية (مقدمة التحقيق ص 6– 7)، وكان أمينا في نقل الروايات التي دونها في كتابه. ومع أنه أضفى الاستقراء على منهجه كما ذكر، إلا أنه لم يسمح لنفسه بممارسة القليل من ذلك، وقد صور هو منهجه في نهاية خطبة الكتاب بالعبارات الآتية:

> وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه ما شرطت أني راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين غير واصل إلى من لم يدرك زمانهم؛ إلا بإخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس. فما يكون في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض

الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا؛ وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا (خطبة الكتاب، ص13).

ثالثاً – أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة 346هـ:

مع الدخول إلى "مروج الذهب ومعادن الجوهر" تحقيق الدكتور مفيد قميحة، ندخل إلى القرن الرابع الهجري الذي راح العلماء المسلمون فيه يبنون عطاءهم العلمي الغزير على الأساس المتين الذي شيده أسلافهم خلال القرنين الهجريين الثاني والثالث، فكانوا موسوعيين كأسلافهم، ولذلك أنتجوا كتبا هي أشبه ما تكون بالموسوعات، وهذا الوصف ينطبق على المسعودي وكتبه ولا سيما كتاب" مروج الذهب" كما سيتبين لاحقا. وإذا ما استعرضنا" مروج الذهب، فإنا سنلاحظ ما لاحظه محقق هذا الكتاب، من أن "المسعودي في كتبه لم يخرج عن المنهج العربي الذي اختطه السلف*، والمؤسس على أن الأدب هو الأخذ من كل علم وفن بطرف". (مقدمة المحقق، ص:ب)، ومع أنه اقتفى أثر رجال اللغة والحديث في الاعتماد على الرواية المسندة (انظر ج 2 ص241 حديث العنقاء) لكنه خفف من ذلك بوضع مروياتها ضمن منهج وصفي واضح يرتكز على الواقعية والتقريرية، إلا أنه اجتهد في تحسين ذلك المنهج بالاعتماد إلى حد كبير على الرحلة والمشاهدة والمشافهة للتاكد من صحة المصدر وسلامة النقل؛ فقضى فترة طويلة من عمره يجوب الأقطار وينتقل في الأقاليم، ليضمن لتاريخه أن يأتي معتمدا على معاينة الحقائق، وتسجيل المشاهد، والتقرير المباشر (مقدمة المحقق ص: ج). وهذه المبالغة في الارتكاز الشديد على

* يؤيد ذلك عرض المسعودي لعدد كبير من المؤرخين مع ملاحظات ناقدة في الباب الأول من كتابه ج1 ص 6–12. وقوله في الباب الثالث ص26: "وما ذكرناه من الأخبار في مبدأ الخليقة ما جاءت به الشريعة، ونقله الخلف عن السلف، والباقي عن الماضي، فعبرنا عنهم على حسب ما نقل إلينا من ألفاظهم ووجدناه في كتبهم، مع شهادة الدلائل بحدوث العالم واتضاحها بكونه"، وقوله في الجزء الثاني (ص241) في الحديث عن النسناس: "والله أعلم بصحة هذا الخبر، وليس لنا في ذلك إلا النقل، وأن نعزوه إلى رواية، وهو المقلد يعلم ذلك فيما حكاه ورواه".

الرحلة والمشاهدة، هي ما جعل المسعودي يخرج عن نمط سرد التاريخ في صورة سلسلة متتابعة من السنين، وسوق الحوادث" في أي مكان مسندة من غير اتصال ولا رابطة كما فعل ابن جرير الطبري وابن الأثير الجزري وأبو الفداء، ويسوق الحوادث باعتبار الأمم والدول ضمن فصول مخصصة" (مقدمة المحقق ص:د عن أحمد حسن الزيات تاريخ آداب العرب ص 432). وعلى الرغم من هذه النزعة التجديدية، إلا إن المسعودي ظل في النهاية خاضعاً لتوجيهات المنصور لابن إسحاق فبدأ تاريخه بالحديث عن مبدأ الخليقة:

> من آدم إلى إبراهيم وإسماعيل أبي العرب، والأنبياء من بني إسرائيل، وملوك الصين، والترك، والسريان، ونينوى، وبابل، وفارس، واليونان، والروم، ومصر، والسودان، والصقالبة، والإفرنجة وغيرهم، كما يتحدث عن مكة وتاريخها وأخبارها، وبيتها العتيق، وعن اليمن وتاريخه وملوكه، وعن ملوك الحيرة، والغساسنة، والبوادي من العرب، ويسهب في الحديث عن ديانات العرب وثقافتهم في الجاهلية، والديانات القديمة في العالم، كما يتحدث عن تاريخ العالم إلى حين مولد الرسول محمد، عليه السلام (مقدمة المحقق، ص:ط).

والالتزام بهذا المنهج، أوقع المسعودي، كما أوقع الكثيرين غيره، في كثير من الأخطاء والمغالطات. وكأنما أحس المسعودي بذلك، فاعتذر عنه بقوله: "وما ذكرنا من الأخبار عن بدء الخليقة هو ما جاءت به الشريعة ورواه الخلف عن السلف والباقي عن الماضي، فعبرنا عنهم على حسب ما نقل إلينا من ألفاظهم ووجدنا في كتبهم (مقدمة المحقق، ص: ي عن مروج الذهب، منشورات الجامعة اللبنانية، ص35).

بعد ذلك يتحدث المسعودي عن الرسول محمد بن عبد الله، عليه السلام، ثم يعرض لتاريخ الخلفاء الراشدين، وتاريخ الدولتين الأموية والعباسية حتى خلافة المطيع العباسي المتوفى سنة 363هـ"، وهو في عرضه لهذه الحقب والأحداث التاريخية يخصص فصولاً مستقلة تتعلق بحياة كل واحد ممن تولى مسؤولية الدولة الإسلامية يذكر فيها كثيراً من الأخبار والقصص،

والمعتقدات، والأشعار، والمنتديات، والمناظرات والطرائف والصنائع والآلات وفنون القول. (مقدمة التحقيق، ص:ي).

رابعاً – أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن الأثير المتوفى سنة 630هـ/ 1234م:

الانتقال من المسعودي إلى ابن الأثير، يعني قفزة في الزمن تبلغ حوالي ثلاثمائة سنة، كانت الخلافة العباسية قد بليت خلالها وأشرفت على السقوط. لكن الحركة العلمية والثقافية كانت لا تزال نشطة بفضل قوة الدفع الموروثة، وظهور علماء أفذاذ لم يثبط هبوط الخلافة عزائمهم. وابن الأثير واحد من أولئك العلماء. وأذا ما طالعنا مقدمته لكتاب الكامل في التاريخ، وهي مقدمة حرص على التزام السجع فيها؛ بسبب غلبة السجع على أقلام الكتاب في زمنه، فإنا واجدون ما يلي:

بعد أن أكد استمرار حبه لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها، بادر إلى نقد عام لتلك الكتب ولمؤلفيها بقوله:

> فلما تأملتها رأيتها متباينة في تحصيل الغرض، يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل إلى العرض. فمن بين مطول قد استقصى الطرق والروايات، ومختصر قد أخل بكثير مما هو آت. ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات، والمشهور من الكائنات، وسود كثير منهم الأوراق بصغائر الأمور التي الإعراض عنها أولى، وترك تسطيرها أحرى..وقد أرخ كل منهم إلى زمانه، وجاء بعده من ذيل عليه، وأضاف المتجددات بعد تاريخه إليه، والشرقي منهم قد أخل بذكر أخبار الغرب، والغربي قد أهمل أحوال الشرق. (خطبة الكتاب، ص4 – 5).

بعد ذلك، بين ابن الأثير دوافعه لتأليف تاريخه، والمنهج الذي سار عليه في إعداده فيقول:

> فلما رأيت الأمر كذلك، شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما؛ ليكون تذكرة لي أراجعه خوف النسيان، وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان، متتابعة يتلو بعضها بعضاً إلى وقتنا هذا، ولا أقول إنني أتيت على جميع

> الحوادث المتعلقة بالتاريخ.. ولكن أقول إني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد..فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبوجعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه، والمرجع عند الاختلاف إليه، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه، لم أخل بترجمة واحدة منها... وربما زاد الشيء اليسير أو نقصه، فقصدت أتم الرويات فنقلتها وأضفت إليها من غيرها ما ليس فيها، وأودعت كل شيء مكانه فجاء جميع ما في تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقاً واحداً (خطبة الكتاب، ص5).

يتابع ابن الأثير بعد ذلك حديثه عن منهجه فيذكر أنه بعد أن فرغ من تاريخ الطبري، أخذ غيره من التواريخ المشهورة فطالعها وأضاف منها ما ليس في تاريخ الطبري، إلا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب الرسول، عليه الصلاة والسلام، "فإني لم أضف إلى ما نقله أبو جعفر شيئا إلا وما فيه زيادة بيان، أو اسم إنسان، أو ما لا يطعن على أحد منهم في نقله. وإنما اعتمدت عليه (الطبري) من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقن حقا، الجامع علما وصحة اعتقاد وصدقاً" (الخطبة، ص5). وهنا يؤكد مرة ثانية أنه لم ينقل "إلا من التواريخ المذكورة، والكتب المشهورة ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه، وصحة ما دونوه" (المرجع نفسه والصفحة نفسها).

ولاحظ ابن الأثير أن هؤلاء المؤرخين الذين أخذ عنهم، كانوا يذكرون الحادثة الواحدة مقطعة على أشهر وسنين، فكان يجمع أجزاء الحادثة في موضع واحد، ويذكر كل شيء منها وفي أي شهر أو سنة كان. و ميز بين كبار الحوادث وصغارها، فكان يفرد لكل حادثة كبيرة مشهرة ترجمة تخصها، أما الحوادث الصغار، فإنه يجمعها في ترجمة واحدة في آخر كل سنة كذلك كان يذكر في آخر كل سنة من توفي فيها من مشهوري العلماء والأعيان والفضلاء، مع ضبط الأسماء المشتبهة المؤتلفة في الخط المختلفة في اللفظ ضبطا يزيل الإشكال (المرجع نفسه، ص6).

بعد هذا يوضح ابن الأثر أنه سمى كتابه اسما يناسب معناه وهو "الكامل في التاريخ" ثم يمضي في بيان فوائده فيذكر منها:

1. أن الإنسان يؤثر أن يكون في زمرة الأحياء، لذلك فإن مطالعة أخبار الماضي تتيح له فرصة شبيهة بفرصة مجالسة الأحياء ومحادثتهم والسماع إليهم.
2. أن اطلاع الملوك ومن إليهم الأمر والنهي على ما كتب التاريخ من سيرة أهل الجور والعدوان، وما أورثهم ذلك من سوء الذكر وقبيح الأحدوثة وخراب البلاد، يحملهم على استقباحها والإعراض عنها. وبالمثل فإن اطلاعهم على سيرة الولاة العادلين وحسنها، وما أورثتهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه، وتركوا ما ينافيه. وهم أيضا سيستفيدون من معرفة الآراء الصائبة التي أدت إلى دفع مضرات الأعداء، وأنقذت البلاد والعباد.
3. أن ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وعواقبها، يؤدي إلى نموه العقلي.
4. إن الإنسان يستفيد من مطالعة التاريخ، ما يتجمل به في المجالس والمحافل مما يسهم في رفع مكانته الاجتماعية.
5. أن العاقل يأخذ العبرة من تقلب الدنيا بأهلها، فيزهد فيها ويعرض عنها، ويقبل على التزود للآخرة.
6. أن العاقل إذا رأى أن مصائب الدنيا لم يسلم منها أحد من البشر، علم أنه يصيبه ما أصابهم، فيتعظ ويتخلق بالصبر ومحاسن الأخلاق(المرجع نفسه، ص7–9). في ضوء ما تقدم يتضح أن ابن الأثير سار على منهج من تقدموه من المؤرخين، مقتديا بمنهج الطبري في التعامل مع الرواية على طريقة مؤلفي الحديث الشريف، ومنظما مواده حسب السنوات وما جرى في كل سنة منها. وقد سبق أن بينا أن الطبري سار على المنهج التقليدي الذي سار عليه ابن إسحاق ومن جاؤوا بعده.

خامساً – أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، 1332 – 1406م:

ولد ابن خلدون بعد وفاة ابن الأثير بحوالي مائة عام. والناظر إلى اسلوبه في التمهيد لمقدمته (ص 1 – 11)، سيلاحظ أنه، على غرار خطبة كتاب ابن الأثير، التزم السجع، على نحو ما يفعل أئمة المساجد في خطب صلاة الجمعة، وعلى عكس أسلوبه في المقدمة والكتاب؛ فقد تميز فيهما باعتماد المنطق، وتوخي السهولة، دون تكلف أو تقيد بسجع أو بديع. وفيه يعرف ابن خلدون التاريخ بأنه فن أممي هام لا يزيد في ظاهره على أخبار عن الأيام والدول، لكنه في باطنه نظر وتحقيق، وتعليل دقيق للكائنات ومباديها، وعلم عميق بكيفيات الوقائع وأسبابها.

بعد ذلك يبدأ بالتمهيد لنقد من سبقوه من المؤرخين المسلمين، فيذكر أن الفحول منهم، استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها ودونوها، بينما خلطها المتطفلون بدسائس وهموا فيها أو ابتدعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم، وأدوها كما سمعوها دون ملاحظة أو مراعاة لأسباب الوقائع والأحوال ودون تحقيق أو تنقيح يذكر.

أما الذين ذهبوا بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة، فهم في رأيه قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل مثل ابن إسحاق والطبري وابن الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر الأسدي والمسعودي، وهنا يسرع ابن خلدون إلى القول إن كتب المسعودي والواقدي لم تخل من المطعن والمغمز، لكن الكافة اختصتهم بقبول أخبارهم واقتفاء سننهم وآثارهم في التصنيف.

وجاء من بعد هؤلاء من عدل عن الإطلاق إلى التقيد، واقتصر على أخبار عصره قطره ودولته كما فعل أبو حيان مؤرخ الأندلس والدولة الأموية بها، وابن الرفيق مؤرخ إفريقية والدول التي كانت بالقيروان، ثم لم يأت من بعد هؤلاء إلا مقلد وبليد الطبع والعقل، ينسج على المنوال لكن يذهل عما أحالته الأيام من الأحوال. وأخيرا جاء آخرون بإفراط الاختصار، واكتفوا بأسماء الملوك مقطوعة عن الأخبار والأنساب، كما فعله ابن رشيق في ميزان العمل، ومن اقتفى هذا الأثر من الهمل (تمهيد المقدمة، ص 1 – 5).

وعند هذا الحد يبدأ ابن خلدون بالحديث عن كتابه فيقول إنه نظمه في أبواب، وبين فيه علل وأسباب أوليات الدول، وبناء على أخبار الأمم الذين عمروا المغرب وهم العرب والبربر، وهذب مناحيه، وقربه لإفهام العلماء والخاصة، وسلك في ترتيبه وتبويبه مسلكاً غريباً، واخترعه من بين المناحي مذهبا عجيبا، وطريقة مبتدعة وأسلوبا، وشرح فيه من أحوال العمران والتمدن، وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية (تمهيد المقدمة ص6). بعد ذلك يبين أنه رتب هذا الكتاب على المقدمة وثلاثة كتب:

المقدمة: في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلمام بمغالط المؤرخين.

الكتاب الأول: في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية وما لذلك من العلل والأسباب.

الكتاب الثاني: في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة إلى عهد ابن خلدون، وفيه إلمام ببعض من عاصرهم من المشاهير ودولهم.

الكتاب الثالث: في أخبار البربر ومن إليهم من زناتة، وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول، مع استكماله بأخبار ملوك العجم ودول الترك في الشرق.

بعد ذلك، يقرر ابن خلدون أن كتابه هذا "استوعب أخبار الخليقة استيعاباً،... وأعطى لحوادث الدول علالاً وأسباباً، وأصبح للحكمة صواناً وللتاريخ جراباً". ثم يشرح كيف اختار له اسماً دالاً على فحواه وهو: "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر".

وإذا ما دخلنا إلى مقدمة الكتاب، فإنا سنجد ابن خلدون يبدؤها بإعادة تعريف التاريخ بأنه فن عزيز المذهب، يحتاج إلى مآخذ متعددة، ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت. وحتى لا يقع المؤرخ في الخطأ، فإنه لا بد له أن لا يعتمد على مجرد نقل الأخبار، بل عليه أن يمحصها من خلال تحكيم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني وقياس الغائب منها بالشاهد (المقدمة، ص 12). بعد ذلك يشير إلى أن المؤرخين والمفسرين

وأئمة النقل كثيراً ما وقعوا في المغالط في الحكايات والوقائع؛ لاعتمادهم فيها على مجرد النقل، دون أن يعرضوها على أصولها، أو يقيسوها بأشباهها، أو يسبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ثم يضرب أمثلة كثيرة على ذلك (ص 13 – 45) منها ما نقله المسعودي وكثير من المؤرخين من أن جيش بني إسرائيل المرافق للنبي موسى، في التيه، ممن يطيق حمل السلاح من ابن عشرين فما فوق كانوا ستمائة ألف أو يزيدون. ثم يناقش هذه الرواية ويبين خطأها وأسبابه.

بعد ذلك يعود ليستكمل بلورة المنهج الذي يحتاجه المؤرخ، فيحدد له المقومات التالية:

- العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والعصور في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأمور.
- القيام على أصول الدول والملل ومبادئ ظهورها، وأسباب حدوثها، وأحوال القائمين بها وأخبارهم.
- عرض الخبر المنقول على ما عند المؤرخ من قواعد وأصول فإن وافقها كان صحيحاً وإلا زيفه واستغنى عنه.
- الانتباه للغلط الخفي في التاريخ والاحتراس منه، وهو الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل العصور، حتى لا يقع المؤرخ في أخطاء الحكم على الماضي بإسقاط مقاييس حاضره عليه (المقدمة، ص 45 – 46).
- توخي الاعتدال في الخبر (الموضوع)، والاحتراس من التشيع لرأي أو نحلة؛ لتجنب الوقوع في قبول الكذب ونقله.
- تجنب الثقة بالناقلين إلا بعد تمحيص ما نقلوه بالرجوع إلى التعديل والتجريح.
- الاحتراس من الذهول عن المقصود؛ لأن كثيرا من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع، وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فبقع في الكذب.

- الاحتراس من توهم الصدق الذي كثيراً ما ينجم عن الثقة بالناقلين.
- الاحتراس من الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع.
- الاحتراس من التزلف لذوي الجاه والمراتب.
- الاحتراس من الجهل بطبائع الأحوال في العمران، لأن لكل حادث من الحوادث طبيعة خاصة به، والمعرفة بطبائع الحوادث والأحوال ومقتضياتها تعين في تمحيص الخبر لتمييز الصدق من الكذب (الكتاب الأول من المقدمة، ص 57 – 58).

في ضوء ماتقدم، يتضح أن ابن خلدون قفز قفزة نوعية كبرى في إرساء منهج علمي متطور لكتابة التاريخ، على الرغم من أنه تابع السابقين فيما يختص بالكتابة من بدء الخليقة كما في كتابه الثاني (ص بأعلاه). وقد أحسنت الموسوعة العربية الميسرة وصف هذا المنهج بأنه قام على:

> قواعد للبحث في تلك الوقائع، وأهمها أن الوقائع يرتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول، وبهذا جعل ابن خلدون علم التاريخ فرعا من الفلسفة، وجعل له موضوعا هو الحياة الاجتماعية، وما يتصل بها من حضارة مادية وعقلية للجماعة التي رأى أنها تتطور من حال إلى حال، كالبداوة والتنقل، وحال الأسرة الحاكمة أو القبيلة، وحال الدولة المتحضرة المستقرة في مدينة، بوجوه برهانية، فكان فذا بين فلاسفة المسلمين.

والواقع أن منهج ابن خلدون في كتابه التاريخ، تجاوز المناهج التقليدية لسابقيه من المؤرخين المسلمين، وأرسى منهج تاريخي علمي، كان القاعدة التي نشا عليها المنهج التاريخي الحديث، الذي هو خلدوني في جوهره، عصري بما أفاد من التسهيلات المعلوماتية والتكنولوجية المعاصرة، ومعرفة المؤرخين المسلمين المعاصرين باللغات الأجنبية، وسهولة الحركة والوصول إلى مصادر المعرفة، وتسهيلات الطباعة بما فيها إعداد الخرائط والجدول والفهارس.

5. الخاتمة:

بعد هذه الرحلة الخاطفة الشاقة مع المؤرخين المسلمين مناهجهم عبر ما يزيد على ستة قرون فيما بين ابن إسحاق (ت 768م) وابن خلدون (ت 1406م)، وفي ضوء المعطيات المعاصرة فيما يتعلق بمختلف نواحي الحياة، وفي مقدمتها قضية العولمة، والهيمنة الأميريكية الرامية إلى تطويع الأمم والشعوب للسير في ركابها، واعتبار أن الصحيح هو ما تقوله الولايات المتحدة أو ما تقبله، أما ما عداه فهو الخطأ بعينه، ولذلك لا بد من إزالته من خلال التبعية والطاعة التامة للولايات المتحدة – في ضوء ذلك كله، لا بد من دعوى قوية صادقة للأمتين العربية والإسلامية، إلى أن تصحوا من سباتهما، وتتحررا من قيودهما الإقليمية، وتبادرا فوراً إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، بما يحمي الهوية العربية الإسلامية، ويؤكد على ما هو إيجابي يدعو إلى الوفاق، وينبذ كل ما هو سلبي يدعو إلى التفرقة والتشرذم، مع الالتزام بتعديل ما يؤخذ من مناهج التأريخ الأوربية؛ ليتواءم مع المناهج والرؤى العربية النهضوية التقدمية.

الملحق

قائمة بأسماء بعض المؤرخين البارزين وتواريخ وفاتهم

1. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن ابي الكرم، ت 630هـ – 1234م.
2. ابن إسحاق، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، ت151هـ – 678م.
3. ابن خرداذبة، عبيد الله، ت نحو 912م.
4. ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن المغربي، 1332 – 1406م.
5. ابن خلكان، أحمد، 1211 – 1282م.
6. ابن سعد الزهري، ت 230هـ – 845م.
7. ابن عذاري، أبو عبد الل المراكشي، ت 1295م.
8. ابن العربي محيي الدين، ت 638هـ – 1240م.
9. ابن كثير، إسماعيل، 1300 – 1372م.
10. ابن الكلبي، هشام، ت 819م.
11. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، ت213هـ – 828م.
12. البخاري، أبو عبد الله محمد، ت256هـ – 870م.
13. أبو حيان، التوحيدي علي، ت بعد400هـ – 1010م.
14. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ت310هـ – 23م.
15. الكلبي، ابن السائب، ت763م.
16. المسعودي، أبو الحسن علي، ت 346هـ – 957م.
17. مسلم بن الحجاج، ت 261هـ – 875م.
18. الواقدي، محمد بن عمر، 747 – 822م.
19. اليعقوبي، أحمد،ت بعد 905م.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، القاهرة، مصر، طبعة مصورة، 1961.

1. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، تدقيق الشيخ عبد الوهاب النجار، بيروت، ط4، م1، 1403هـ – 1983.
2. ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن المغربي، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، م1، 1961.
3. ابن هشام، أبو محمد عبد الله، سيرة النبي، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت بلا تاريخ.
4. الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 1988م.
5. السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، تحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي والشيخ محمد العثماني، دار القلم، بيروت، ط1، 1406 – 1986م.
6. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري(الأمم والملوك)، المجلد الأول: تاريخ ما قبل النبوية الشريفة، ط، 1407هـ – 1987م.
7. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، ج1، مايو 1968م.
8. المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،ج1، 1406هـ 1986م.
9. الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، كتاب المغازي، تحقيق الدكتور مارسدن جونس، عالم الكتب بيروت، ط3، ج1، 1404هـ – 1984م.

من أنشطة المركز

خلال النصف الثاني من العام 2000

من أنشطة المركز

خلال النصف الثاني من العام 2000

تابع المركز خلال هذه المدة تنفيذ مشروعاته وبرامجه المقررة، وفي مقدمتها ترجمة الكتب والمراجع في مختلف مجالات العلوم الأساسية والتربوية والطبية والهندسية، فقد أصدر المركز خلال هذه المدة الكتب المترجمة التالية:

1 – الكيمياء العضوية

2 – الكيمياء العامة في سؤال وجواب

3 – التطبيقات العملية في معالجة اللثة

4 – الطاقة وسلامة البيئة

5 – المدخل إلى الإحصاء الطبي

6 – الانترنيت للمعلمين واختصاصيي المكتبات المدرسية

7 – تشكيل المستقبليات

8 – سيكولوجيا التربية والتكوين

9 – الدافعية والنجاح المدرسي

10 – تنمية التفكير المنطقي عند الأطفال

كما أنجز المركز ترجمة الكتب التالية ومراجعتها، ودُفعت للطبع، وهي حالياً قيد الإصدار:

1 – التركين . دليل تدبير المريض

2 – الوجيز في الصرف الصحي في المدن

3 – حقن البنزين وتقانة الحفازات

كما يجري العمل حالياً على ترجمة الكتب التالية بعد أن تم شراء حقوق الترجمة لها من دور النشر صاحبة الحقوق وتوقيع الاتفاقيات اللازمة:

1 – الهندسة

2 – علم الأمراض العينية العام

3 – الأمراض المُعْدية المشتركة بين الإنسان والحيوان

4 – تجميع مياه الأمطار

كذلك فإن المفاوضات جارية حالياً مع دور النشر صاحبة الحقوق لشراء حقوق الترجمة للكتب التالية:

1 – التقانة الرفيعة والمجتمعات النامية – آفاق الاستخدام الإيجابي لتقانة المعلوماتية

2 – الحرب الالكترونية في عصر المعلوماتية

3 – تنظيم الحاسوب وبنيانه

4 – نظم التخلص من النفايات

علماً بأن هذه الكتب هي من المراجع المهمة والمعروفة عالمياً على نطاق واسع في الأوساط الجامعية، كل في مجال تخصصه، كما أنها قد اختيرت للترجمة من عدة لغات أجنبية . الانكليزية والفرنسية والألمانية . بهدف تنويع المدارس العلمية وإغناء المكتبة العربية بالمترجمات من مختلف مصادر العلم والمعرفة.

وفي إطار دعم الجامعات و الهيئات العربية في مجال التعريب، قام المركز بتلبية طلبات عدد من اللجان الوطنية في الدول العربية وتزويدها بنسخ كاملة من جميع إصدارات المركز.

وكذلك بتلبية طلب مجمع اللغة العربية بدمشق وتزويده بثلاث نسخ كاملة من إصدارات المركز.

كما قام المركز بعقد **ندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي** في دمشق في المدة ما بين 9 – 11 تشرين الأول/أكتوبر 2000 تحت رعاية السيد الدكتور محمد مصطفى ميرو رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية العربية السورية بالتعاون مع اللجنة الوطنية السورية وبمشاركة وزارة التعليم العالي والجمعية العلمية السورية للمعلوماتية.

وقد تناولت الندوة من خلال جلساتها الخمس التي امتدت على مدى ثلاثة أيام المحاور الآتية:

1 – تشخيص المشكلات لدى أعضاء هيئات التدريس في الجامعات العربية التي تعوق مسيرة التعريب في الوطن العربي

2 – دور المراجع العلمية وأمهات الكتب في سيرورة المصطلحات العلمية وانتشارها

3 – دور المعلوماتية وأهميتها في مجال تعريب العلوم الأساسية

شارك في أعمال الندوة 15 باحثاً من أساتذة الجامعات من 12 دولة عربية قدموا للندوة 14 بحثاً غطت وبكشل وافٍ محاور الندوة الثلاثة، وقد قام المركز بجمع هذ البحوث وجميع أوراق الندوة بما فيها التقرير الختامي والتوصيات المنبثقة عنها في كُتيب خاص بهذه الندوة، وقد تم طبع هذه الكُتيب وهو حالياً قيد التوزيع على جميع اللجان الوطنية والجامعات والمؤسسات والهيئات العلمية المعنية بالتعريب في مختلف أرجاء الوطن العربي. ونورد أدناه النص الكامل للتقرير الختامي لهذه الندوة والتوصيات المنبثقة عنها.

ومن أنشطة المركز خارج البرامج الفعاليات الآتية:

1 . المشاركة في وفد المنظمة إلى المؤتمر الثاني لوزراء التربية والتعليم والمعارف العرب الذي عقدته المنظمة بالتعاون مع وزارة التربية السورية في دمشق خلال المدة ما بين 29 - 30 تموز/يوليو 2000.

2 . حضور فعاليات افتتاح معرض الكتاب الذي أقامته دار البشائر بدمشق تحت رعاية السيدة وزيرة الثقافة السورية في المركز الثقافي العربي بدمشق يوم 2 أيلول/سبتمبر 2000.

3 . تمثيل المنظمة والمشاركة في فعاليات الاحتفال المركزي الذي أقامه المكتب التنفيذي للاتحاد العام النسائي السوري بمناسبة اليوم العالمي لمحو الأمية، وذلك في قاعة المحاضرات لمكتبة الأسد بدمشق يوم 11 أيلول/سبتمبر 2000.

4 . تمثيل المنظمة في حفل افتتاح الدورة التدريبية الثانية حول استخدام تقنيات الاستشعار عن بُعد ونظم المعلومات الجغرافية التي نظمها المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (أكساد)، وذلك في مقر مركز أكساد يوم 10 تشرين الأول/أكتوبر 2000.

5 . الاشتراك في معرض مكتبة الأسد السادس عشر للكتاب العربي الذي أقامته مكتبة الأسد الوطنية بدمشق خلال المدة ما بين 11 - 21 تشرين الأول/أكتوبر 2000.

6 . تمثيل المنظمة والمشاركة في فعاليات "ندوة اللغة العربية والتعليم" التي أقامها مجمع اللغة العربية بدمشق بالتعاون مع وزارتي التعليم العالي والتربية والسوريتين، وذلك في دمشق خلال المدة ما بين 22 - 25 تشرين الأول/أكتوبر 2000.

7 – المشاركة في فعاليات أسبوع العلم الأربعين الذي يقيمه المجلس الأعلى للعلوم السوري في رحاب جامعة تشرين في مدينة اللاذقية/ سورية خلال المدة ما بين 4 - 9 تشرين الثاني/ نوفمبر 2000.

8 – حضور المحاضرة التي نظمتها الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية حول "البيئة التعليمية المبتكرة في الجامعة الافتراضية" والمشاركة في مناقشتها والتي جرت في دمشق بتاريخ 14 تشرين الثاني/نوفمبر 2000.

9 – المشاركة في فعاليات حفل افتتاح "الملتقى الحضاري" الذي نظمته جامعة دمشق خلال المدة ما بين 28 - 29 تشرين الثاني/نوفمبر 2000.

10 – يجري التباحث حالياً حول عقد اتفاقية مع كل من مجموعتي العمل في كلية الهندسة المعمارية بجامعة دمشق وكلية الهندسة المعمارية بجامعة آخن/ألمانيا، وذلك لتكليف المركز القيام بالترجمات اللازمة للبحث المشترك الذي تقوم به هاتان الكليتان والمتعلق بتطوير وتجديد المدن القديمة التاريخية على ضوء التحولات الاجتماعية في المحيط العربي

والإسلامي، ومن ثم إصدار هذا البحث على هيئة قرص حاسوبي مدمج CD بالإضافة إلى النسخة الورقية، وكذلك نشره على شبكة الانترنيت مجاناً لتعميم إمكان الاستفادة منه في التدريس والبحث العلمي، علماً بأن هذه البحوث ستنشر باللغات الثلاث العربية والإنكليزية والألمانية حتى يكون مجال الاستفادة منها على نطاق عربي وعالمي.

11 – متابعة إنجاز المرحلة الأولى من الدراسات والمخططات اللازمة لإنشاء المطبعة الخاصة بالمركز وتجهيزها، وذلك مع وزارة التعليم العالي السورية ومع الجهة المكلفة من قبل دولة المقر بهذه المهمة.

12 – تسيير الأمور المالية والإدارية للسادة الأساتذة والخبراء الموفدين من قبل مختلف إدارات المنظمة، وتأمين الحجوزات والترتيبات اللازمة لإقامتهم وسفرهم.

التقرير الختامي

لندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي

في الوطن العربي

المنعقدة بدمشق ما بين 9 - 2000/10/11

دعا المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر إلى عقد ندوة للمسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، وذلك بالتعاون مع اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم بوزارة التربية، وبمشاركة وزارة التعليم العالي والجمعية العلمية السورية للمعلوماتية.

وقد انعقدت هذه الندوة أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء في 9 و10 و11 تشرين الأول/أكتوبر 2000 في قاعة الباسل للمحاضرات في مبنى وزارة التعليم العالي برعاية السيد الدكتور محمد مصطفى ميرو رئيس مجلس الوزراء.

وجرى حفل الافتتاح في الساعة الحادية عشرة من يوم الاثنين في التاسع من شهر تشرين الأول/أكتوبر 2000، بحضور السادة وزراء التعليم العالي والتربية والثقافة والدولة لشؤون البحث العلمي ورئيس مجمع اللغة العربية ، وعدد من أعضاء المجمع وأساتذة الجامعة والأعضاء المشاركين بالندوة، وعدد من رجال الثقافة والإعلام والخبراء والمهتمين.

وقد ألقيت في الحفل الكلمات التالية:

1 – كلمة ممثل راعي الندوة الأستاذ الدكتور حسان ريشة وزير التعليم العالي.

2 – كلمة الأستاذ الدكتور محمود السيد وزير التربية ورئيس اللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم.

3 – كلمة الأستاذ الدكتور موفق دعبول ممثل جامعة دمشق والجمعية العلمية السورية للمعلوماتية.

4 – كلمة الأستاذ الدكتور غسان حلبوني مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر وممثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وقد أشار السادة المتكلمون إلى أهمية اللغة العربية في كيان أمتنا العربية وتكوين هويتها الحضارية والتعبير عن ثقافتها الأصيلة والثرية، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، ودعوا إلى الاهتمام بعملية تعريب تدريس العلوم في جميع مراحل التعليم ولاسيما الجامعي منه، وضرورة تأمين مستلزماتها وتذليل العقبات التي تعترضها ودفعها إلى الأمام حتى تستكمل خطواتها وتعطي ثمراتها المرتجاة.

وقد عقدت في الندوة أربع جلسات يومي الثلاثاء والأربعاء في 10 و2000/10/11 في قاعة الباسل للمحاضرات بوزارة التعليم العالي، وألقى فيها السادة الباحثون بحوثهم التي بلغ عددها (14) بحثاً وجرت مناقشاتها من قبل الحضور. ودارت هذه البحوث حول محاور ثلاثة:

1 – تشخيص المشكلات لدى أعضاء هيئات التدريس في الجامعات العربية والتي تعوق مسيرة التعريب في الوطن العربي.

2 – دور المراجع العلمية وأمهات الكتب في سيرورة المصطلحات العلمية وانتشارها.

3 – دور المعلوماتية وأهميتها في مجال تعريب العلوم الأساسية.

ونرفق ربطاً قائمة بأسماء الباحثين والمشاركين وموضوعات البحوث التي تقدموا بها.

وفي ضوء التقارير والدراسات والمناقشات التي جرت، أقرت الندوة في جلستها الختامية التوصيات الآتية:

التوصيات

أكد السادة الباحثون المشاركون في بحوثهم ومناقشاتهم على أمور جوهرية تتصل بكيان الأمة العربية حاضراً ومستقبلاً، والحفاظ على ذاتيتها الثقافية، وصيانة أمنها الثقافي الذي يتعرض لمحاولات الغزو والاختراق.

ومن هذه الأمور، أن للغة العربية دوراً كبيراً في تشكيل هويتنا القومية لأنها أهم معالم الانتماء القومي ومقوماته، وأن استخدام هذه اللغة، على وجه الشمول في مجمل نشاطات أبناء أمتنا الفكرية والاجتماعية والعلمية عنصر أساسي في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تسعى أمتنا لتحقيقها.

ومن هنا تتضح أهمية التعريب ولاسيما تعريب التعليم العالي في الجامعات والمعاهد في جميع البلدان العربية، وضرورة إنجازه في أقرب وقت وبأنجع السبل.

أولاً : الكتاب الجامعي

1 – العمل على توفير الكتاب الجامعي وفق المناهج التدريسية المقررة على أن يكون غنياً بمضمونه، حديثاً بمعلوماته، مؤدَّىً بلغة عربية سليمة، والعناية بحسن طباعته وإخراجه.

2 – الاستفادة القصوى من المراجع الجامعية وأمهات الكتب المعربةالتي يصدرها المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، والتي تساعد على توسع الدارسين في تخصصاتهم العلمية.

3 – تقديم الدعم المعنوي للمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، وزيادة الاعتمادات المالية المخصصة له، من قبل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والجهات الأخرى ذات العلاقة، ليتمكن من متابعة جهوده الخيِّرة في إصدار الكتب المرجعية والتوسع في عمله ليشمل الكتب المنهجية وأمهات الكتب وجميع ما يُحتاج إليه في التعليم العالي من الكتب

والمنشورات العلمية، والتصدي بنجاح للعلوم الحديثة الكونية والطبية والهندسية والفيزيائية والبيئية... إلخ.

4 – دعوة الجامعات والمؤسسات العلمية والتعليمية في الوطن العربي إلى التعاون مع المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر باقتناء ما يصدر من كتب مؤلفة ومترجمة ووضعها بين أيدي المستفيدين، وتزويده باقتراحاتها وطلباتها ليقوم بتأمين احتياجاتها من الكتب المنهجية والمرجعية وذلك بموجب اتفاقات مشاركة وتعاون تعقدها معه، مع دعوة المركز المذكور إلى إيصال منشوراته إلى جميع الجهات المعنية في الوطن العربي، بيعاً أو إهداء.

5 – مطالبة المسؤولين بتسهيل انتقال الكتب العلمية المؤلفة بالعربية والمترجمة إليها من كل قطر عربي إلى آخر، ولاسيما من القطر العربي السوري إلى جميع الجامعات والمعاهد والمؤسسات العلمية في الوطن العربي.

6 – دعوة وزارات التعليم العالي في الدول العربية إلى عقد اتفاقات ثنائية فيما بينها حول تبادل الكتب الجامعية، والقيام بأعمال مشتركة في التأليف والترجمة والنشر. ويمكن لمركز التعريب أن يقوم، في هذه الحال، بدور تنسيقي مهم يؤدي إلى توحيد الثقافة العلمية على المستوى الجامعي في الوطن العربي.

ثانياً : المدرس الجامعي

7 – الحرص على إعداد المدرس الجامعي ليكون قادراً على إلقاء دروسه العلمية بلغة عربية سليمة، وحثه على المشاركة في أعمال الترجمة والتأليف.

8 – السعي الحثيث إلى تنفيذ خطة ترمي إلى تحويل المدرسين الجامعيين العلميين من التدريس بلغة أجنبية إلى التدريس باللغة العربية، عن طريق دورات تأهيلية تكسبهم القدرة علىالتعبير باللغة الفصحى الميسرة، والقيام بزيارات للأقسام المعربة في غير أقطارهم.

9 – دعوة الجامعات في البلدان العربية إلى الاهتمام بالبحث العلمي وتوفير الدعم المعنوي والمالي له وتشجيع المدرسين الجامعيين على إجراء البحوث والدراسات العلمية باللغة العربية.

وكذلك الاهتمام بالمكتبات الجامعية وتزويدها بالكتب والمجلات العلمية الحديثة التي يحتاج إليها أعضاء هيئة التدريس الجامعيون في أعمال التدريس والترجمة والتأليف.

ثالثاً : المصطلح العلمي

10 – دعوة مكتب تنسيق التعريب بالرباط إلى متابعة جهوده في تنسيق المصطلحات وتوحيدها وإصدراها في معجمات متخصصة، وأن يوفق بين مشروعاته المستقبلية وحاجات التدريس العلمي في الجامعات وحاجات المجتمع، بصورة عامة. وكذلك دعوته إلى استكمال إصدار المعجمات الموحدة، ثم القيام بجمع ملاحظات المختصين بشأنها تمهيداً لمراجعتها وتوسيعها لجعلها تستوعب ما يجدّ من مصطلحات في حقول العلم المختلفة. وكذلك الطلب من مكتب التنسيق أن يتولى رصد ومتابعة المولدات المصطلحية العلمية والثقافية والحضارية في العالم والعمل السريع على وضع مقابلات عربية لها، مستعيناً بالخبراء المختصين واللجان العلمية.

11 – دعم مراكز التعريب وهيئاته ولجانه في الوطن العربي معنوياً ومادياً لتمكينها من أداء دورها على الوجه المطلوب.

12 – تعزيز دور مجامع اللغة العربية لتنهض بدورها مرجعاً في شؤون اللغة والمصطلح، وقيِّماً يحافظ على سلامة العربية ويعمل على تنميتها بوضع المصطلحات وإقرارها وإصدراها في معجمات، وفق الطرائق والمبادئ المعتمدة، لتكون لغة علمية معاصرة، وتعميم اجتهاداتها اللغوية على أوسع نطاق. وكذلك التأكيد على دور اتحاد المجامع اللغوية جهةً منسقة بين المجامع القائمة والتي هي في طور التكوين، وإعطاء قراراته شرعية ملزمة في الأمور اللغوية.

13 – دعوة مختلف الهيئات والمؤسسات العاملة في مجال المصطلحات إلى تطوير طرائق عملها المصطلحي بمواكبة ما يستجد من نظريات ومنهجيات مصطلحية تطبيقية تتعلق بإعداد المصطلحات وبناء منظوماتها المفهومية وتوحيدها وتقييسها ونشرها، والمشاركة في النشاطات الأجنبية والدولية ولاسيما في إطار المنظمات ذات العلاقة.

رابعاً: في مجال المعالجة المعلوماتية للمصطلح العربي

14 – دعوة الدول العربية ولا سيما جامعاتها ومراكزها العلمية والهندسية إلى إيلاء دراسة اللغة العربية، أكبر قدر من اهتمامها وعنايتها وإثرائها بواسطة استخدام تقانات المعلوماتية، وذلك بإحداث التخصصات الأكاديمية في مختلف فروع تقانات المعالجة الآلية للغة العربية وبتشجيع البحوث المشتركة بهدف إيجاد نظم التشغيل واللغات والبرمجيات الصالحة لمختلف التطبيقات ولاسيما التطبيقات المصطلحية المساعدة على تذليل صعوبات التعريب.

15 – دعوة الدول العربية إلى إنشاء مصارف للمصطلحات لتكون في خدمة العمل والإعلام المصطلحيين، والسعي إلى إنشاء مصرف عربي مركزي للمصطلحات.

16 – تأكيداً للتوصية الخامسة عشرة من توصيات ندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي (الخرطوم 1998) بشأن استخدام الترجمة الآلية لتطوير عملية تعريب العلوم، ارتأت الندوة إحالة المشروع المقدم من قبل الدكتور حسام الخطيب، تنفيذاً للتوصية السابقة، إلى المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ليتولى تدارس الموضوع مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والجهات العربية المعنية بترجمة العلوم إلى العربية.

خامساً : في مجال التوثيق والإعلام المصطلحي

17 – دعوة الدول العربية إلى إنشاء مكتبات متخصصة تضم مراجع الترجمة والتعريب، ودعوة المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر إلى العمل على إنشاء شبكة عربية مُحَوْسبة لها، وكذلك إلى إصدار قوائم (ببليوغرافيا ورقية) بتلك المراجع يتم استكمالها وتحديثها باستمرار، وذلك تسهيلاً لمهمة المعربين والمترجمين والمؤسسات والهيئات العاملة في مجال التعريب.

18 – دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى العمل على إنشاء "شبكة عربية للإعلام المصطلحي" في شكل رابطة للأجهزة والمؤسسات العربية الحكومية وغير الحكومية والأفراد المعنيين بالمصطلحات العربية، بما يساعد على نشر المصطلحات تفادياً لتكرار الجهود وازدواجية العمل وخدمة للباحثين والمستفيدين. ويكون اتحاد المجامع العربية ومكتب تنسيق

التعريب في الوطن العربي والمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر حلقات أساسية ضمن هذه الشبكة اللامركزيّة.

سادساً: توصيات عامة

19 – دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى تنفيذ ما اشتملت عليه الخطة الشاملة للثقافة العربية، واستراتيجية العلوم والتقانة، واستراتيجية تطوير التربية العربية من توجهات تتصل بالتعريب والترجمة والتأليف، ودعوتها إلى تنفيذ الخطة القومية للتعريب والخطة القومية المُحدَّثة للترجمة اللتين قامت بوضعهما، ودعوتها إلى إحكام صلات التعاون بينها وبين اتحاد الجامعات العربية والاتحاد العلمي العربي في هذا المضمار.

20 – حرصاً على التعجيل في تعريب التعليم العالي وحث السلطات السياسية على اتخاذ القرارات الملزمة بشأنه وجعله مطلباً شعبياً، تدعو اللجنة إلى تشجيع التأليف والكتابة حوله بصورة كُتب ودراسات ومحاضرات ومقالات ومقابلات إذاعية وتلفازيّة.

21 – سعياً إلى تنظيم المساعي والجهود من أجل تحقيق التعريب تدعو الندوة إلى تشكيل جمعيات أهلية مهمتها نشر الوعي بين فئات الشعب المختلفة بضرورة التعريب وفوائده. وبهذه المناسبة تُرحّب الندوة بقيام جمعية في مصر لهذا الغرض باسم "الجمعية المصرية لتعريب العلوم". ومن الممكن مستقبلاً أن تلتقي هذه الجمعيات في اتحاد عربي للدفاع عن اللغة العربية فيشكل دعامة متينة لمساعي التعريب وجهود الجهات الرسمية المعنيّة بهذا الأمر مثل الجامعات والمعاهد والمجامع اللغوية والمجالس العلمية في الوطن العربي.

22 – تحيّي الندوة التجربة السودانية في تعريب التدريس العلمي في السودان، وتثني على جهود القائمين بها، وتدعوهم إلى متابعة الجهد لإنجاز هذا التحول الكبير، كما تدعو البلدان العربية التي خطت بعض الخطوات في ميدان التعريب إلى متابعة الجهود وتكثيفها.

23 – أبدت الندوة ارتياحها للقرار الذي أصدره المجلس الأعلى للأزهر الشريف بتعريب التدريس في مختلف كليات جامعة الأزهر، وتتمنّى لهذا التوجّه القومي الأصيل النجاح التام والعاجل.

24 – تُبدي الندوة ارتياحها لتوجه مكتب تنسيق التعريب بالرباط إلى حوْسبة نشاطه المصطلحي وتأسيس مصرف لمصطلحاته، كما تحبذ اعتزامه إتاحة مشتملات هذا المصرف للمعنيين بالمصطلحات العلمية بحثاً واستخداما.

25 – حث الأقطار العربية التي أنجزت التعريب كلياً أو جزئياً على إجراء الدراسات والبحوث التي تقيّم حصيلة التعريب وتقيس آثاره التربوية والمعرفية والثقافية والاقتصادية، بما يساعد على تطوير التعريب وإقناع المتردّدين بجدواه.

26 – ضرورة المزيد من العناية باللغة العربية دون إغفال تدريس اللغات الأجنبية – وفي مقدمتها الانكليزية – في التعليم العام والجامعي، وتطوير طرائق تدريسها وأساليبه بما يؤمن اكتساب الطلاب لها اكتساباً جيّدا.

27 – ضرورة إفادة الأقطار العربية من جهود كل منها في مجال التعريب، وذلك عبر تبادل المطبوعات والدراسات والكتب المدرسية والجامعية والمعاجم...إلخ، ودعوتها إلى اتخاذ التدابير الكفيلة بتحقيق هذه الغاية.

28 – دعوة الدول العربية إلى إصدار قوانين للحفاظ على سلامة اللغة العربية على غرار ما صدر في بعض الأقطار العربية.

29 – دعوة المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر إلى تشكيل لجنة عربية يعهد إليها بوضع كتاب عربي موحَّد بعنوان "العربية للمترجمين العلميين"، يتوجه بشكل أساسي إلى أساتذة العلوم في الجامعات العربية وإلى طلابهم وإلى كل المعنيين بالترجمة المتخصصة إلى العربية، ويعرِّف بأساسيات الصرف والنحو العربيين، والرموز ووحدات القياس، وأهم المنهجيات والتوصيات المصطلحية، وأسس وضع المصطلح العربي... إلخ.

30 – يتقدم المشاركون في الندوة بالشكر الجزيل إلى السيد الأستاذ الدكتور غسان الحلبوني مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر على الجهود التي بذلها في التخطيط لهذه الندوة وتنظيم شؤونها وتهيئة أسباب النجاح لها، كما يتقدمون بجزيل الشكر إلى مساعديه والعاملين معه في المركز.

قائمة بأسماء السادة الباحثين وموضوعات البحوث المقدمة من قبلهم

اسم الباحث	موضوع البحث
1 – **الأستاذ الدكتور دفع الله عبد الله الترابي** رئيس الهيئة العليا للتعريب في السودان	من مشكلات أعضاء هيئة التدريس وآثارها على مسيرة التعريب في السودان.
2 – **الأستاذ الدكتور سعيد عبد الله حارب المهيري** نائب مدير جامعة الإمارات العربية المتحدة لشؤون خدمة المجمع	تشخيص المشكلات لدى أعضاء هيئات التدريس في الجامعات والتي تعوق مسيرة التعريب في الوطن العربي.
(اعتذر عن الحضور، ووزع الموضوع الذي قدمه على المشاركين)	
3 – **الأستاذ الدكتور صالح بلعيد** قسم اللغة العربية بكلية الآداب واللغات، جامعة تيزي وزو بالجزائر – الجزائر	تعريب الأستاذ الجامعي في الجزائر – صعوبات وحلول.
4 – **الأستاذ الدكتور يحيى حسن عباس** قسم العمارة بمعهد الفنون الجميلة في الجامعة اللبنانية بيروت – لبنان	التعليم العالي في لبنان بين التعريب والتغريب.
5 – **الأستاذ الدكتور سليمان داود الواسطي** كلية الآداب في الجامعة المستنصرية، بغداد – العراق	أبرز المشكلات التي تعوق مسيرة التعريب لدى أعضاء هيئات التدريس في الجامعات العربية.
6 – **الأستاذ الدكتور أحمد علي الهمداني** نائب رئيس جامعة عدن لشؤون الدراسات العليا والبحث العلمي في اليمن	واقع الترجمة والتعريب في الجامعات اليمنية – حالة جامعة عدن.
(اعتذر عن الحضور، ووزع الموضوع الذي قدمه على المشاركين)	

اسم الباحث	موضوع البحث
7 – **الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبيد** أستاذ المعاجم والمصطلحات في المعهد العالي للغات بجامعة تونس– تونس	دور التوثيق والإعلام المصطلحيين في تطوير المصطلحات العربية وانتشارها.
8 – **الأستاذ أسلمو ولد سيدي أحمد** تخصصي أول في مكتب تنسيق التعريب بالرباط – المغرب	بنك المصطلحات – المنهج والوظيفة: بنك مصطلحات مكتب تنسيق التعريب نموذجاً.
9 – **الأستاذ شحادة الخوري** الخبير السابق في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – دمشق/سورية	دور المراجع العلمية وأمهات الكتب في سيرورة المصطلحات العلمية وانتشارها.
10 – **الأستاذ الدكتور محمد يونس عبد السميع الحملاوي** أستاذ هندسة الحاسبات، كلية الهندسة، جامعة الأزهر – مصر	نحو رؤية علمية لبعض مفردات قضية التعريب.
11 – **الأستاذ الدكتور محمد يونس عبد السميع الحملاوي**	الرقم العربي: القضية والحل.
12 – **الأستاذ الدكتور حسام الخطيب** كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية في جامعة قطر	مشروع تعريبي شامل من خلال أحدث تطورات الترجمة الآلية.
13 – **الدكتور راكان رزوق** مركز الدراسات والبحوث العلمية بدمشق/ سورية	دور المعلوماتية في تعريب العلوم.
14 – **الأستاذ الدكتور محمد أبو حرب** كلية العلوم بجامعة دمشق – سورية	التعليم والذاتية الثقافية العربية

قواعد النشر في المجلة

تنشر المجلة المواد المتعلقة بأحد مجالات اهتمامها من دراسات وبحوث وترجمات وفق القواعد التالية:

1 ـ أن لايكون البحث أو المادة المقدمة للنشر في مجلة التعريب قد سبق لها أن نشرت أو قدمت للنشر في أي وعاء من أوعية النشر، وعلى الباحث أن يرفق ببحثه تصريحاً خطياً يفيد بأنه لم يسبق له أن نشر أو أرسل بحثه للنشر لدى أي جهة أخرى.

2 ـ أن تتسم المادة المقدمة للنشر بالمنهجية العلمية في العرض والمعالجة والاستنباط، وأن تتميز بالمتانة في الأسلوب والدقة في الإسناد والتوثيق.

3 ـ ترسل المادة المراد نشرها مرقونة على الآلة الكاتبة بمسافات مزدوجة بين الأسطر وعلى نسختين، ويراعى في حجمها أن لايتجاوز عدد صفحاتها /20 صفحة/ من الحجم العادي (6000 كلمة).

4 ـ تتلقى المجلة المواد المقدمة للنشر من الرعايا العرب من داخل الوطن العربي ومن خارجه مكتوبة باللغة العربية على أن ترفق المادة بملخص واف ودقيق لها بحدود 20/1 من عدد صفحاتها.

5 ـ ترفق المادة المقدمة للنشر بنبذة عن سيرة المؤلف متضمنة اسمه بالعربية وبالحروف اللاتينية مع عنوانه البريدي الكامل.

6 . تُستهل المادة بمقدمة في سطور تبين أهميتها والنتائج والاستنتاجات المفادة منها، كما تُذيل بثبت للمصادر والمراجع المستخدمة بحيث يكتب اسم المؤلف أولاً، فاسم المصدر أو المرجع، يليه مكان النشر، فاسم الناشر (دار النشر)، وأخيراً تاريخ الصدور فرقم الصفحة.

7 . تقدم الرسوم والأشكال، في حال وجودها، على أوراق منفصلة مرسومة بالحبر الصيني على ورق مصقول أو شفاف بحيث تتضمن جميع الشروح والايضاحات اللازمة، ويقدم كل شكل أو رسم على ورقة منفصلة بحجم الورق المستخدم في كتابة نص المادة على أن يشار بشكل واضح إلى أمكنتها في متن النص.

8 . يتم تعريب المقالات والبحوث الصادرة بلغات أجنبية وفقاً لـ "تعليمات تعريب البحوث والمقالات" المعمول بها في المركز والتي تقوم رئاسة التحرير بتزويد المعرِّب بها في حال الموافقة المبدئية على تعريب البحث أو المقالة المقترحة من قبله، وعلى المعربين الالتزام التام بهذه التعليمات.

9 . تنشر المجلة عروضاً للكتب والبحوث والرسائل الجامعية الحديثة التي لايتعدى الفاصل الزمني بين ظهور المادة المعروضة ووصول العرض إلى المجلة أكثر من عام، هذا ومن الضروري عند تقديم العروض مراعاة التعليمات التالية:

. أن يتضمن العرض ملخصاً يتسم بالايجاز المحكم للمادة المعروضة.

. أن يكون تركيز العارض على رأيه في المادة المعروضة وتقويمه لها.

. أن لايتجاوز عدد صفحات العرض 7 صفحات /2000 كلمة/.

. أن يصحب العرض بمعلومات ببليوغرافية دقيقة عن المادة المعروضة.

10 . يتم ابلاغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بتسلم موادهم وبالموافقة المبدئية أو عدمها على النشر، وذلك خلال شهرين من تاريخ تسلم المجلة لها.

11 . تعرض المواد المقدمة للنشر في حال قبولها مبدئياً على محكم أو أكثر من ذوي الاختصاص، وذلك على نحو سري، لبيان مدى أصالتها وقيمتها العلمية وسلامة منهجيتها ومن ثم صلاحيتها للنشر، وللمجلة أن تأخذ بتقرير المحكمين أو أن تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر، ولها أيضاً أن تتبنى قراراً بالنشر أو عدمه إذا رأت خلاف ما يراه المحكم.

12 . يحق للمجلة . إذا رأت ضرورة لذلك . إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، أما إذا رأت المجلة أو المحكم وجوب إجراء تعديلات جوهرية عليها حتى تصبح صالحة للنشر فإنها تعيدها إلى صاحبها للقيام بهذه التعديلات اللازمة.

13 . يتم إبلاغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بالقرار النهائي بالموافقة على النشر أو عدمها وذلك خلال ستة أشهر من تاريخ تسلمها، علماً بأن المجلة ليست ملزمة بابداء أسباب عدم النشر، كما أنها ليست ملزمة برد المواد التي لا تنشر لأصحابها.

14 . تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات أهمها: تاريخ التسلم والأهمية العلمية للمادة المقدمة، ومدى صلاحيتها وجاهزيتها للنشر، وكذلك تنوع مادة العدد والتوزع الجغرافي لمصدرها من مختلف الدول العربية.

15 . لايحق لصاحب المادة المنشورة في مجلة التعريب، ولا لأي جهة أخرى، إعادة نشرها في أي وعاء آخر للنشر إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشرها في المجلة،

وبموافقة خطية من رئيس التحرير مع ضرورة الاشارة إلى هذه الموافقة، وإلى رقم وتاريخ العدد الذي نشرت فيه من المجلة.

16 ـ إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المركز أو المجلة.

17 ـ تقدم المجلة مكافأة مالية رمزية عن كل مادة تنشر فيها تصل إلى /200/ دولار أمريكي.

18 ـ ترسل المواد وتوجه المراسلات باسم الأستاذ الدكتور رئيس التحرير إلى العنوان:

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر
دمشق ـ ص.ب: 3752
هاتف: 3334876 (11. 963+)
فاكس: 3330998 (11 ـ 963+)
البريد الالكتروني: E-mail:acatap@net.sy
الموقع على الانترنيت: www.acatap.htmlplanet.com

إصدارات المركز من الكتب المعربة

1 . هندسة الفيزياء النووية

1 - Nuclear Physics Engineering

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 – عدد الصفحات: 232 – السعر 12 دولار

2 . هندسة المفاعلات النووية . الجزء الأول

2 - Nuclear Reactors Engineering - Part 1

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 208 – السعر 12 دولار

3 . هندسة المفاعلات النووية . الجزء الثاني

3 - Nuclear Reactors Engineering - Part 2

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب – تاريخ الإصدار: 1991 – عدد الصفحات: 186 – السعر 12 دولار

4 . الإشعاع النووي والوقاية من الإشعاع والتلوث

4 - Nuclear Radiation and Protection

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب – تاريخ الإصدار: 1991 – عدد الصفحات: 448 – السعر 20 دولار

5 . دليل التنمية المائية في الوطن العربي

5 - Water Development guide in Arab World

تأليف: د. محمد شفيق الصفدي – تاريخ الإصدار: 1992 – عدد الصفحات: 78 – السعر 3 دولار

6 . الاتصالات بالألياف البصرية

6 - Fiber Optic Communications

تأليف: جوزيف باليه – ترجمة: أ.د. جورج صنيج – تاريخ الإصدار: 1992 – عدد الصفحات: 608 – السعر 18 دولار

7 . معالجة الصور الرقمية

7 - Digital Image Processing

تأليف: ر.غونزاليز & ب. وينتز – ترجمة: د. معن عمار – تاريخ الإصدار: 1992 – عدد الصفحات: 728 – السعر 20 دولار

8 . الجيوفيزياء التطبيقية

8 - Applied Geophysics

تأليف: فريق من المختصين الألمان – ترجمة: أ.د. فارس شقير – تاريخ الإصدار: 1992 – عدد الصفحات: 384 – السعر 21 دولار

9 . عروبة البربر

9 - The Berbers are Arab in Origin (the Ignored Fact)

تأليف: أ. محمد علي مادون – تاريخ الإصدار: 1992 – عدد الصفحات: 240 – السعر 12 دولار

10 . الأسس الفيزيائية لليزرات التقانية

10 - Physical Fundamentals of Technological Lasers

تأليف: ف. غولوبيف & ف. ليبيديف – ترجمة: أ.د. محمد غانم – تاريخ الإصدار: 1992 – عدد الصفحات: 224 – السعر 12 دولار

11 . الأسس الهندسية لإنشاء الليزرات التقانية

11 - Engineering Fundamentals of Technological Lasers Buildup

تأليف: ف. غولوبيف & ف. ليبيديف – ترجمة: أ.د. محمد غانم – تاريخ الإصدار: 1992 –

عدد الصفحات: 240 – السعر 12 دولار

12 . طرائق المعالجة السطحية بالليزر

12 - Methods of Surfaces Treatment by Lasers

تأليف: آ. غريغوريانتس & آ. سافونوف – ترجمة: أ.د. محمد غانم – تاريخ الإصدار: 1992 –

عدد الصفحات: 264 – السعر 12 دولار

13 . معالجة المواد غير المعدنية بالليزر

13 - Treatment of Non-metallic Materials by Lasers

تأليف: آ. غريغوريانتس & آ .سافونوف – ترجمة: أ.د. محمد غانم – تاريخ الإصدار: 1993 –

عدد الصفحات: 256 – السعر 12 دولار

14 . مناهج العلوم الاجتماعية . الكتاب الأول

14 - Methods of Social Sciences-Book 1

تأليف: مادلين غراويتز – ترجمة: د. سام عمار – تاريخ الإصدار: 1993 – عدد الصفحات: 454 –

السعر 14 دولار

15 . مناهج العلوم الاجتماعية . الكتاب الثاني

15 - Methods of Social Sciences-Book 2

تأليف: مادلين غراويتز – ترجمة: د. سام عمار – تاريخ الإصدار: 1993 – عدد الصفحات: 200 –

السعر 10 دولار

16 . نظم التصوير الطبي

16 - Medical Imaging Systems

تأليف: ألبيرت ماكوفسكي – ترجمة: د. محمد موسى – تاريخ الإصدار: 1993 – عدد الصفحات: 336 –

السعر 18 دولار

17 . المدخل إلى ميكانيك الكم

17 - Introduction to Quantum Mechanics

تأليف: ر.ديكه & ج. ويتكه – ترجمة: د. آحو يوسف – تاريخ الإصدار: 1993 – عدد الصفحات: 474 –

السعر 15 دولار

18 . الاتصالات الراديوية المتنقلة . أسس التصميم

18 - Mobile Communications Design Fundamentals

تأليف: وليم لي – ترجمة: د. زياد سيد سليمان – تاريخ الإصدار: 1993 – عدد الصفحات: 480 –

السعر 20 دولار

19 . أنظمة الاتصالات الالكترونية المتقدمة

19 - Advanced Electronic Communications Systems

تأليف: وين توماسي – ترجمة: د. عمر شابسيغ – تاريخ الإصدار: 1994 – عدد الصفحات: 448 –

السعر 15 دولار

20 . كهربة الريف

20 - Electrification of Rural Areas

تأليف: كشيشتوف مايكا – ترجمة: أ.د. عبد الله سعيد – تاريخ الإصدار: 1994 – عدد الصفحات: 576 –

السعر 15 دولار

21 . الاستشعار عن بعد وتفسير المرئيات

21 - Remote Sensing and Image Interpretation

تأليف: ت. ليليساند & ر. كيفر – ترجمة: أ.د. حسن حلمي خاروف – تاريخ الإصدار: 1994 –

عدد الصفحات: 984 – السعر 30 دولار

22 . طب الأمراض المُعْدية والتغذوية

22 - Tropical and Geographical Medicine

تأليف: وارن & محمود – ترجمة: لفيف من أساتذة كلية الطب بجامعة دمشق – تاريخ الإصدار: 1995 –

عدد الصفحات: 1200 – السعر 32 دولار

23 . المعالجات الراهنة في الممارسة السنية

23 - Current Treatment in Dental Practice

تأليف: نورمان ليفين – ترجمة: لفيف من أساتذة كلية طب الأسنان بجامعة دمشق – تاريخ الإصدار: 1995 –

عدد الصفحات: 624 – السعر 25 دولار

24 . الآلات الكهربائية والميكروية

24 - Electric Machines and Micromachines

تأليف: د. بروسكين – ترجمة: د. عبد المطلب أبو سيف – تاريخ الإصدار: 1995 – عدد الصفحات: 480 –

السعر 18 دولار

25 . التجاوب المغنطيسي النووي

25 - Magneto - nuclear Resonance

تأليف: د. سهام طرابيشي – تاريخ الإصدار: 1995 – عدد الصفحات:232 – السعر 8 دولار

26 . حفظ اللحوم بالتبريد والتجميد

26 - Meat Conservation

تأليف: د. عبد العزيز عروانة – تاريخ الإصدار: 1995 – عدد الصفحات: 128 – السعر 4 دولار

27 . المعادلات التفاضلية . الكتاب الأول

27 - Differential Equations - Part I

تأليف: د. قيصر فيازمينسكي – تاريخ الإصدار: 1995 – عدد الصفحات: 288 – السعر 12 دولار

28 . المعادلات التفاضلية . الكتاب الثاني

28 - Differential Equations - Part II

تأليف: د. قيصر فيازمينسكي – تاريخ الإصدار: 1995 – عدد الصفحات: 176 – السعر 8 دولار

29 . الكيمياء التحليلية

29 - Analytical Chemistry

تأليف: ج.د. كريستيان – ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق – تاريخ الإصدار: 1996 –

عدد الصفحات: 760 – السعر 30 دولار

30 . الكيمياء الفيزيائية

30 - Physical Chemistry

تأليف: ألبيرتي & سيلبي – ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق – تاريخ الإصدار: 1996 –

عدد الصفحات: 1136 – السعر 36 دولار

31 . الكيمياء الحيوية المصورة

31 - Biochemistry Illustrated

تأليف: كامبل & سميث – ترجمة: أ.د. أبو سمرة & د. حمود – تاريخ الإصدار: 1996 –

عدد الصفحات: 304 – السعر 15 دولار

32 . علم البيولوجيا . الجزء الأول

32 - Biological Science - Part I

تأليف: سوبر وآخرون – ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي العلوم والطب بجامعة دمشق – تاريخ الإصدار: 1997
عدد الصفحات: 620 – السعر 25 دولار

33 . علم البيولوجيا . الجزء الثاني

33 - Biological Science - Part II

تأليف: سوبر وآخرون – ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي العلوم والطب بجامعة دمشق – تاريخ الإصدار: 1997
عدد الصفحات: 704 – السعر 25 دولار

34 . الفيزياء المتقدمة

34 - Advanced Physics

تأليف: ك. جيبس – ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق – تاريخ الإصدار: 1998 – عدد الصفحات: 616 – السعر 20 دولار

35 . بحوث العمليات

35 - Operations Research

تأليف: رافيندران وآخرون – ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي الهندسة والاقتصاد بجامعة دمشق – تاريخ الإصدار: 1998 – عدد الصفحات: 640 – السعر 25 دولار

36 . كيمياء تحليل الأغذية

36 - Analytical Chemistry of Food

تأليف: سيروين س. جيمس – ترجمة: أ.د. العودة & أ.د. سمينة – تاريخ الإصدار: 1998 – عدد الصفحات: 208 – السعر 8 دولار

37 . الكيمياويات الزراعية والبيئة

37 - Agricultural Chemicals and the Environment

تأليف: هيستر & هاريسون – ترجمة: د. عبيدو & د. حجار – تاريخ الإصدار: 1998 – عدد الصفحات: 184 – السعر 7 دولار

38 . معالجة الاضطرابات الفكية والإطباق

38 - Management of Temporomandibular Disorders and Occlusion

تأليف: جيفري ب. أوكسون – ترجمة: لفيف من أساتذة كلية طب الأسنان بجامعة دمشق – تاريخ الإصدار: 1999 – عدد الصفحات: 616 – السعر 25 دولار

39 . الكيمياء المتقدمة . الجزء الأول

39 - Advanced Chemistry – Volume 1

تأليف: فيليب ماتهيوز – ترجمة: د. توفيق ياسين . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 952 –

السعر: 35 دولار

40 . الكيمياء المتقدمة . الجزء الثاني

40 - Advanced Chemistry – Volume 2

تأليف: فيليب ماتهيوز – ترجمة: أ.د. هيام بيرقدار . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 700 –

السعر: 28 دولار

41 . توليد الطاقة الكهربائية بالديناميك الهيدروطيسي

41 – Magnetohydrodynamic Electrical Power Generation

تأليف: هوغو ميسيرل – ترجمة: أ.د. محمد هاشم أبو الخير & د. محمد نوار العوا – تاريخ الإصدار: 2000 –

عدد الصفحات: 268 – السعر 10 دولار

42 . الكيمياء العضوية

42 - Organic Chemistry

تأليف: موريسون & بويد – ترجمة: لفيف من كبار أساتذة كليات العلوم في الجامعات السورية – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 1416 – السعر 50 دولار

43 . الكيمياء العامة في سؤال وجواب

43 – General Chemistry – Questions and Answers

تأليف: أ.د. عبد الحليم منصور – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 452 – السعر 12 دولار

44 . الطاقة وسلامة البيئة

44 – Umweltschonende Energietechnik

تأليف: نيكولاي خارتشينكو – ترجمة: د. بسام حمود . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 476 – السعر: 18 دولار

45 . التطبيقات العملية في معالجة اللثة

45 – Periodontal Instrumentation

تأليف: باتيسون & باتيسون – ترجمة: د. ميسون صيداوي خوري – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 516 – السعر: 15 دولار

46 . المدخل إلى الإحصاء الطبي

46 – An Introduction to Medical Statistics

تأليف: مارتن بلاند – ترجمة: أ.د. أحمد ديب دشاش & أ. شفيق ياسين & د. وائل الإمام – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 528 – السعر 15 دولار

الكتب التربوية

47 . تكوين معلمين مهنيين . الاستراتيجيات والكفايات

47 - Former Des Enseignants Professionnels: Quelles stratégies? Quelles Compétences?

تأليف: ليوبولد باكي وآخرون – ترجمة: أ.د. نور الدين ساسي – تاريخ الإصدار: 1998 –
عدد الصفحات: 276 – السعر 10 دولار

48 . تدخلات الصحة النفسية في أطفال ما قبل المدرسة

48 - Mental Health Interventions with Preschool Children

تأليف: ليمان & كيجن – ترجمة: أ.د. سليمان ريحاني وآخرون – تاريخ الإصدار: 1998 –
عدد الصفحات: 340 – السعر 12 دولار

49 . إعداد التلاميذ للقرن الحادي والعشرين

49 - Preparing Students for the 21st Century

تأليف: دونا أوتشيدا وآخرون – ترجمة: أ.د. محمد نبيل نوفل – تاريخ الإصدار: 1998 –
عدد الصفحات: 112 – السعر 4 دولار

50 . تطوير نظم الجودة في التربية

50 - Developing Quality Systems in Education

تأليف: جيفري دوهيرتي – ترجمة: أ.د. عدنان الأحمد وآخرون – تاريخ الإصدار: 1998 –
عدد الصفحات: 388 – السعر 12 دولار

51 . صعوبات القراءة . منظور لغوي تطوري

51 - Reading Disabilities: A Developmental Language Perspective

تأليف: كامحي & كاتس – ترجمة: أ.د. حمدان علي نصر وآخرون – تاريخ الإصدار: 1998 – عدد الصفحات: 408 – السعر 13 دولار

52 . تعليم العلوم لجميع الأطفال

52 - Teaching Science for all Children

تأليف: مارتن وآخرون – ترجمة: أ.د. هاشم إبراهيم وآخرون – تاريخ الإصدار: 1998 –
عدد الصفحات: 608 – السعر 20 دولار

53 . التصميم المنظم للتعليم

53 - The Systematic Design of Instruction

تأليف: ديك & كيري – ترجمة: أ.د. محمد ذيبان غزاوي – تاريخ الإصدار: 1998 – عدد الصفحات: 392 –
السعر 15 دولار

54 . التربية الأساسية النخبة . تطوير الكفاءات

54 - Quality Basic Education: The Development of Competence

تأليف: جوان فريمان – ترجمة: أ.د. صالحة سنقر – تاريخ الإصدار: 1998 – عدد الصفحات: 288 –
السعر 9 دولار

55 . إدارة نظم التعلم عن بعد

55 - The Management of Distance Learning Systems

تأليف: غريفيل رامبل – ترجمة: أ.د. فاطمة الجيوشي – تاريخ الإصدار: 1998 – عدد الصفحات: 100 –
السعر 3 دولار

56 . المرجع في جهود محو الأمية

56 - A Source Book for Literacy Work

تأليف: هـ . س. بولا – ترجمة: أ.د. صالح عزب – تاريخ الإصدار: 1998 – عدد الصفحات: 220 –
السعر 8 دولار

57 . الانترنيت للمعلمين واختصاصيي المكتبات المدرسية

57 – The Internet for Teachers and School Library media Specialists

تأليف: إدوارد فالاوسكاس & مونيكا إرتل – ترجمة: د. عبد الرازق يونس – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 280 – السعر 8 دولار

58 . تشكيل المستقبليات . التعلم من أجل الكفاية والمواطنة

58 – Shaping Futures: Learning for Competence and Citizenship

تأليف: كارين إيفانس – ترجمة: أ.د. خميس بنحميده – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 208 – السعر 6 دولار

59 . سيكولوجيا التربية والتكوين

59 – Manuel de Psychologie de L'Éducation et de la Formation

تأليف: ألان ليوري وزملاؤه – ترجمة: أ. وجيه أسعد – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 484 – السعر 14 دولار

60 . الدافعية والنجاح المدرسي

60 – Motivation et Réussite Scolaire

تأليف: ألان ليوري & فابيان فونوبيه – ترجمة: أ.د. محمد الطيب سعداني – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 132 – السعر 5 دولار

61 . تنمية التفكير المنطقي عند الأطفال

61 – Developing Logical Thinkers

تأليف: داريل فيلبس & ديل فيلبس – ترجمة: د. إبراهيم المومني – تاريخ الإصدار: 2000 –

عدد الصفحات: 560 – السعر 15 دولار

كتب قيد الإصدار

1 . ترجمة كتاب:

Taschenbuch der Stadtentwässerung

المترجمون: د. غسان دره الحداد & د. جورج زهر

2 . ترجمة كتاب:

Benzineinspritzung und Katalysatortechnik

المترجمون: د. بسام حمود

3 . ترجمة كتاب:

Sedation - A Guide to Patient Management

المترجم: د. محمد تيناوي وزملاؤه

4 . ترجمة كتاب:

Geometry

المترجمون: د. مها النبهان & د. محمود باكير